ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

مارس ١٩٥٧

ثقافة الهند

[illegible]

[illegible] في الهند [illegible] في الخارج [illegible]

[illegible]

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية ، بتودي هوس ، دلهي الجديدة نمرة ١

مطبعة «ق» بالهند
صاحب حنيف شرف الدين ، ٢٩ شارع محمد علي ، بمباي ٣
طبعت لـ مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهنـــد للروابط الثقـافية

المجلد الثـامن	مارس سنة ١٩٥٧	العدد الأول

17385
29 9 05

محتويات هـذا العـدد

			صفحة
١	الفنون فى الهند — فن الموسيقى	للاستاذ محمود فهمى زكى	٢
٢	البيغاء المسحورة		٦٢
٣	من أخبار الهند الثقافيـــة		٩٤

الفنون فى الهنـد

فن الموسيقى

بقلم الأستاذ محمود فهمى زكى

كانت الموسيقى منـذ بدء الزمن، وستظل حتى انتهاء الزمن ذات صلة وثيقة بالنفس البشرية. فهى مظهر من مظاهر الحياة، وأداة صادقة لترجمـة المشاعر والتعبير عن مكنونات النفس.

أ ليس فى حفيف الأشجار حين تلتق، ودعابات النسيم. وخرير المياه على درر من الحصباء، وتسبيح الطيور كل صباح ومساء، ونعيق الضفادع فى صفاء الأصيل وسكون الليل، أ ليس فى ذلك كله موسيقى عذبة ساحرة؟

نعم، هى الموسيقى لغة الطبيعـة، ثم هى كذلك لغة النفس، فأنت تحادث نفسك ونفسك تحادثك بلغة صادقة. فان كنت صافى الروح، مرتاح الضمير، تحـدثك إلى نفسك بموسيقى مرحـة لتعبر عن السعادة ولتعبر عن صفاء الضمير. وإن كنت فى تفكير عميق أوكانت روحك مليئة بالألم تحدث إلى نفسك وتحدثتَ نفسك إليك بموسيقى الأسى والحسرة، وأنت فى الحالتين تخرج سعادتك وأساك إلى حيز الوجود فى موسيقى رائعة.

ثم أ ليست الموسيقى لغة دولية يفهمها كل البشر؟ أو لستم تحكمون على شعب بأسره بما يصوره لكم موسيقيوه من نغمات؟ أ ليست الرموز الموسيقيـة (النوتة الموسيقية) أو التدوين الموسيقى هى اللغة العالمية الوحيدة التى يستطيع كل من تعلم الموسيقى فى العالم أن يقرأها؟

وما هى اللغة التى نعتبرها رمزاً للوطنية والقومية؟ أ ليست هى الموسيقى؟ أ لا ترون كيف يعنى كل شعب بأن يكون له نشيد قومى يبعث الحمية والحماسة فى نفوس الجيل، ويكون رمزاً للامة، وموضعا لاجلالها واحترامها؟

الواقع إن كل إنسان موسيقى بطبعه — فمن لم يستطع أن يؤلف النغمات أو يلحن الأغانى فهو على الأقل يستطيع أن يقدر الجيد من الموسيقى، على قدر فهمه. فالموسيقى فى كل بلد هى مقياس «صادق» يدل على ما بلغه ذلك الشعب من درجة فى المدنية والحضارة.

وما تصنعه يد الانسان يدل على مقدار ما فيه من حذق أو فطرة، ومجموع ما تخرجه أيدى الصناع فى أية صورة فى أمة من الأمم صورة من عقليتها ومرآة لحضارتها.

ولذلك اتفق المؤرخون على أن فى تتبع تطور الصناعة فى أى بلد إهتداء إلى مقياس استعداده الطبيعى للتقدم. وهذا الرأى يتجلى صحته فى صناعة الآلات الموسيقية خاصة.

لقد عنى جميع الباحثين من أقدم فلاسفة اليونان إلى علماء العصر الحاضر عناية خاصة بأقدم الموسيقات، أى موسيقات المدنية الشرقية بما فيها من أغراض ومنزلة الموسيقيين وتطور الآلات الموسيقية والدرج الموسيقى إذ تنطق بصحتها الصور والنقوش ويؤيدها العلم والتاريخ.

الموسيقى عند العرب

قال أفلاطون الحكيم اليونانى:

إن الموسيقى غذاء النفس ومبعث الفطن والاتزان، وهى الثانية بالشعر الحماسى (الفروسية) والثالثة بالخطابة. والرابعة بالغناء. والخامسة بالرثاء. والسادسة بالروايات

المحزنة (تراجيديا)، والسابعة بالروايات الهزلية (كوميديا)، والثامنة بعلم الفلك، والتاسعة بالرقص.

وذكر أفلاطون أيضا فى كتابه «الجمهورية»:

إن الموسيقى علم يجب تعلمه كالرياضة البدنية — فالأولى تهذب النفس وتصلح ما فسد منها، والثانية تقوى الجسد. وهى أيضا ناموس أدبى. يهب الكون روحه والعقل اجنحته، ويمنح المخيلة قوة الطيران. ويكسب الحزين لذة، والكائنات حبورا وبهاء.

وقال شكسبير الشاعر الانجليزى:

من لم تنعم عليه الطبيعة بالميل إلى الموسيقى ولا تهزه الأصوات المطربة لخليق بالدسائس والفتن والمكر.

وكتب خليل مطران عن الموسيقى فقال:

هى تأليف أصوات تحدث طربا فى قلوب المستمعين. والطرب هذا قد يكون مسرآ وقد يكون شجوا. ومن أوصافها أنها فى بناء الأصوات كفن العمارة فى تشييد الأبنية. ومن المعلوم أن الموسيقى شقيقة الأدب مطبوعة على غراره، فكيف كان الأدب تكون الموسيقى. فالذى ينظم نغمة موسيقية إنما ينظمها على مثال ما يشعر به فى نفسه من العواطف، فيقال عنها أنها لغة العواطف.

وقد عرف العرب الموسيقى بأنها علم يعلم به النغم والايقاع وأحوالها وكيفية تأليف الألحان وإيجاد الآلات الموسيقية. وليست فى هذه أية غرابة. فالموسيقى من الفنون الجميلة التى يطرب لها الانسان وترتاح إليها نفسه، وليس يخاف أنه لا توجد أمة من الأمم أغفلت هذا الفن الجميل، وإن كانت متوغلة فى التوحش والهمجية لما يحيط بها من العوامل الطبيعية، ويكتنفها من المظاهر المؤثرة التى تكسبها

جذلا ومرحا وتثير في نفوسها الميل إلى محاكاتها وتقليدها.

ماهية الموسيقى

إن للأصوات الموسيقية درجات وأبراجا متتابعة، الواحدة تلو الأخرى إلى عـدد غير متناه . والأبراج الأصلية عند العرب تبتدىء باليكاه، فعشيران، فعراق، فرست، فدوكاه، فسيكاه، فجهاركاه. ويقال لهذه «الديوان» وفوق هذا الديوان ديوان آخر له أبراج النوى، فالحسني، فالأوج، فالمـاهور، فالبزرق فالموهاران. وما ارتفع عن ذلك فهو جواب لما يقابله في الديوان الذى تحته... وهكذا، وبين هـــذه الأبراج فسحات يختلف بعضها عن بعض في الكبر. وقـد قسمها العرب إلى «كبيرة» وتتألف من أربعـة أرباع و «صغيرة» ومؤلفــة من ثلاثة أرباع. ويحتوى الديوان كله على أربعة وعشرين ربعا، وتختلف الألحان العربية بعضها عن بعض، ويرجع هذا الاختلاف إلى أسباب منها:

طبق النغم، وتعويض الأبراج، وتضعيف الألحان وإختلاف الايقاع. فطبقة النغم هي إتخـاذ برج من الأبراج كمنتاح والانتقال في سلم من الأبراج صعودا ونزولا مع حفظ المسافات التي تتغـير بتغيرها. وتعويض الأبراج هو تعويض الأبراج بأرباع. أما تضاعيف اللحن فهو الايقاع على برج يكون جوابا لما تحته والصعود والنزول على سلمه بحيث يبقى الجواب طبقا للنغم ولهذا يتضاعف الصوت. وكان عند العرب أنغام عشرة كل منها على برج من الأبراج الديوانية، تتفرع منها أنغام فرعية.

تاريخ الموسيقى في الهند

نظرة عامــة

الهند كالصين، واليابان، ومصر وغيرها من الممالك القديمة تربط الموسيقى بالدين ارتباطـا وثيقا، بل قد تغلو في هـــذا السبيل غلوا لم تبلغه إحدى تلك الأمم.

والهند تعتقد أن الموسيقى هبة من الآلهة مباشرة، ولهم فى ذلك أساطير قديمة تدل على رسوخ عقيدتهم فى ذلك. فالمعبودة «سارسوتى» (Saraswati) هى التى منحت آلة «وينا» (Vena)، وكان الاعتقاد السائد أنها أكثر آلات العالم سحرا. كذلك كان الاعتقاد فى المعبود «نارادا» (Narada) أنه المسيطر على الموسيقى والمشرف على فنونها. وإن أسطورة هندية قديمة تمثله عازفا بآلة وينا. وآلة وينا هذه كان يطلق عليها اسم خاص «ماهاتى» (Mahati).

ولقد وهب البراهما (الاله الخالق) شعبه الهندى الموهوب فى الموسيقى طائفة من الأغانى المقدسة التى تتصل اتصالا مباشرا بالعبادة، والتى يرجع عهد ألحانها إلى عصر قديم جدا. وما هذه الألحان الالهية التى يطلقون عليها اسم «راجا» (Raga) معناها اللون، إلا ما نعرفه فى الموسيقى العربية باسم المقام أو النغم. فالهند تعتقد أن «الراجاز» (المقامات) ألحان إلهية، لها سحر فوق طاقة البشر، وتأثير تتغلب به حتى على قوى الطبيعة. فنها ما يحدث نزول الأمطار، ومنها القادر على كسوف الشمس، بل ومنها ما يمتد حوله إلى الاخلال بمقر الملك أو تركه فى ظلام دامس.

وكما كان لأزوريس إله الموسيقى عند قدماء المصريين فرقة من أمهر النابغين والنابغات فى هذا الفن، كذلك أحاط الهنود معبودهم «إندرا» بجميع عباقرة العازفين الذين يطلق عليهم إسم «جراندهاروا» ومهرة الراقصات ويطلق عليهن «أباراسا». والأساطير الهندية مفعمة بالروايات العديدة عن هؤلاء. بل إن إعتقاد الهند فى ارتباط الموسيقى بالدين يتعدى كله. فهم يعتقدون أكثر من هذا أن الموسيقى حتى فى قواعدها تنسب إلى الآلهة. فالسلالم للموسيقى الهندية أبدعها الالهان «اسوارا» و «هانومان». والمقامات المقدسة أى «الراجا» التى سبقت الاشارة إليها بلغت فى عهد الاله البطل كرشنا ١٦٠٠٠ مقاما. وقد جاء

فى اسطورة هندية أن هـذا الاله — وقد نزل إلى الأرض — ليعيش فيها فترة من الزمن على هيئة راع، تنافست فى حبه ١٦،٠٠٠ من انصاف الآلهات يطلق على كل واحدة منهن اسم « جوبى » اللواتى نزلن مثله إلى الأرض يعشن فيهـا راعيات أيضا تقربا من ذلك الاله، يتبارين فى كسب حبه والتسلط على فؤاده متنافسات بما كن يبدعنه، كل على حدة، من ألوان الموسيقى، لعله يتخذ أجودهن فنا خليلة. وكان لكل من هـذه لحن خاص يعرف « بالراجا » أى المقام تنفرد به، وتتغنى به، وتتفنن فى سحر إلحانه. وهناك صور، منها شكل يمثل إحداهن أى الجوبى تعزف بآلة « وينا »، وقد بلغ من عذوبة ألحانها أن كانت الغزلان تشغف بها وتقبل عليها مأخوذات بسحر تلك الألحان.

ثم اختصر عدد المقامات فيما بعد إلى ٩٦٠ مقاما ثم إلى ٣٦، وأخيرا إلى ٢٣ مقاما. وقـد جاء ذكر مسميات الستة والثلاثين مقاما فى كثير من الكتب الهندية.

وكذلك يعتقـد الهنود فى ارتباط الدين بالموسيقى وبالرقص أيضا. فهناك طائفـة من الغيد الحسان يقدمن أنفسهن لخدمة الآلهة بالرقص فى المعابد. يطلقن عليهن إسم خادمات الآلهـة يتفرغن لطهـارة نفوسهن، ويخلصن من دنس الأبدان، ويقبلن على دراسة الموسيقى دراسة جيـدة إرضاء للآلهـة، ويتفنن فى حركات الرقص البديعة. وعلى صدر كل منهن صورة الاله وقد وردت فى ذلك أساطير عديدة.

وفى الهند كتاب مقدس من بين عديد الكتب، يسمونه « نارايان » يشمل قواعد الموسيقى بالنظم. ومجموعة من الأغانى، ثم الآلات الوترية، ثم الرقص. وفى الهنـد غير ذلك مجاميع متعـددة من أغانيهم المقدسة مسطورة فى كتبهم القديمة التى ترجع إلى عهد بعيد. وتعد تلك الأغانى من أنفس ذخائر التاريخ الموسيقى.

أما عن السلم الموسيقى. فان الهند فيها. مثل بقية الممالك القديمة الأخرى، أقدم ما عرف من السلالم. السلم الخماسى. ثم تحول هذا السلم فى الهند إلى سلم سباعى يدعى «الدياتونى» الشائع استعماله الآن وأسماء نغماته بالهنديه:

سا - رى - جا - ما - پا - دا - نى

وتكرر هذه النغمات ثلاث مرات مؤلفة ثلاثه دواوين.

إلا أن الهند تنفرد دون سائر ممالك العالم بتقسيم الديوان (الأوكتاف) إلى ٢٢ بعدا صغيرا غير متساو. وليس إلى ٢٤ بعدا كما هو الحال فى الموسيقى العربية.

سا رى جا ما پا دا نى سا

٠٠، ١,٢,٣,٤ ، ٥,٦,٧، ٨,٩، ١٠,١١,١٢,١٣ ، ١٤,١٥,١٦,١٧ ، ١٨,١٩,٢٠، ٢١,٢٢.

والمسافات التى بين النغمات السبع الأساسية ثلاثة أنواع. إما كبيرة وتنقسم إلى أربعة أبعاد، أو متوسطة وتنقسم إلى ثلاثة أبعاد. أو صغيرة وتنقسم إلى بعدين. وعلى هذا النحو انقسم الديوان فى الموسيقى الهندية إلى ٢٢ بعدا صغيرا.

فالموسيقى الهندية كما يظهر من نظام مقاماتها وتقسيم أبعاد ديوانها قريبة من الموسيقى العربية. شبيهة بأنظمها، وهى مثلها موسيقى لحنية، أهم عناصرها اللحن والايقاع.

أما الآلات الموسيقية الهندية فقليل منها يرجع إلى أصل هندى بحت. وغالبية الآلات المستعملة فى الهند آلات أجنبية عنها. انتقلت إليها بعد تحوير بسيط فيها من الدول المجاورة لها أو التى فتحتها. فقد اتصلت بالفرس كما اتصلت آشور بالهند منذ سنة ١٬٢٠٠ قبل الميلاد، وغزتها جنودها الواحدة بعد الأخرى كما تغلب عليها فى العصور الأولى بعد الميلاد المغول فالعرب. وقد ظهر أثر هذه الفتوحات فى الآلات الموسيقية. فالآلة الهندية البحتة هى آلة «وينا»

وهى أقدم الآلات الهندية وأقدسها وأوسعها انتشاراً. وهى آلة الطبقـة الراقية، صندوقها المصوت قصبة جوفاء، طولها ثلاثة أقدام، مركب فوقها سبعـــة أوتار معدنيـة مثبتة فى مثل هـذا العدد من المفاتيح، وعليها دساتين لمواضع العنق. ويمكن العزف بها ديوانين كاملين، ويستعملها العازف وهو جالس ويضمها إلى جسمه مائلة، فيقع صدره بين نهايتيها.

ومن الآلات الوتريـة آلة الماجودى، وتشبه الطنبور العربى. ومن الآلات الوترية ذات القوس آلة السارانجى، أوتارها كانت تصنع من الحرير.

أما الآلات النفخية، فأهمها الفلوت الشبيه بالناى العربى. وآلات الايقـاع متعددة من طبول ودفوف، كثيرة الشبه بمثيلاتها فى البلدان القديمة كمصر والصين واليابان.

الموسيقى الهندية قبل العصر الاسلامى

يرجع تاريخ الموسيقى الهندية إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام. ولقد كان لها سجل مجيـــد قبل مجىء الاسلام والثقافة الاسلامية إلى الهند، وأنها كانت دائما مفتوحة الأبواب للنغمات والألحان الأجنبية، ترحب بها فتمتص وتتشرب منهـا ما يوافق المزاج الهندى. فمن المستطاع أن نستقصى تطور الموسيقى الهندية حتى عصر « موهينجو دارو » و « هرابا » — وفى نفس الوقت لا يمكن لنـا الرجوع بهذا التطور إلا إلى أقاصى العصر الويدى كما تدل على ذلك الآثار والسجلات. وتعتبر موسيقى « سافاند شانتت » أول ما عثرنا عليه من الموسيقى الهندية. وهناك آثار خلفتها الموسيقى الويدية عن المدارس التقليدية فى جنوب غرب الهنـد وبعـــد العصر الويدى استطاع « بوراناس » أن يكشف عن مختلف مظـاهر الموسيقى الهنـــدية بما فيها من طرائق، منهـا « مودشاناذ » و « جاماكس » و « جراماكس » و « راجاهاز ».

وقيل إن الاله شيوا هو خالق الفن الموسيقى. ثم تلى عصر لمعت فيه أسماء «نارادا» و «بهاراتا» ضمن مبدعى الفن الموسيقى. وتعتبرا البهارا تيس ناتيا شاسترا أكبر موسوعة للفن الموسيقى فى الهند. وتشتمل على فصول تبحث بالتفصيل عن «أل- سوارس» و الشروتيس و الجراماس والمرشاناس، والجاتيس. ويعتبر المؤرخون الجدد أن بهاراتس ناتيا شاسترا يرجع عهدها إلى القرن الخامس بعد الميلاد. ويعتبر «سارنج ديو» بلاشك الموسيقى الوحيد الذى يعرف حقائق الموسيقى الهندية. فقد وضع ألحان «سانجيت راتناكر» (Sangit Ratnakar) الشهيرة قبل ظهور تأثير الاسلام وثقافته.

ولو أنه ينتسب إلى جنوب الهند وعاش ضمن بلاط الأسرة المالكة اليادوية لديواجيرى فى الدكن، فان مصنفاته الموسيقية وألحانه يعرفها الموسيقيون فى شمال الهند وجنوبها.

فقد شرح أسس الموسيقى الهندية بما فى ذلك طرق «جاموت» (Gamut) وأساليبها مثل راجاز و جراماس، كذلك أوضح جميع أساليب «ألاپ» (Alaps) والأغانى.

إن أوضاع الموسيقى الهندية أو الهندوستانية، قد وضعت على أسس موسيقى راتناكر وتطورت تدريجيا إلى وضعها الحالى من راجاز و راجينيز والتى عرف عنها اختلاطها بالموسيقى الفارسية فيما بعد. وبطبيعة الحال لم تكن قد اختلطت الموسيقى الهندوستانية بالموسيقى الفارسية فى الأزمان الغابرة، وكانت الأوضاع المستعمله حينذاك قائمة على أسس نظريات راجاز و راجينيز. وزعموا أن هذه الموسيقى كانت تعبر عن شعور الاله شيوا، ولكنها سجلت وظهرت للاله «هانومان» كما ذكر فى الكتب المقدسة. وقد قيل إنها دونت بخط «نارادا ريشى» *(Narada Rishi)* واستعملت الراجاز قبل عصر الاسلام فى الألحان المسماة

« پراباندهـاس » (Prabandhas). كما أنه لم يظهر فى ذلك العصر أى أثر « للدهرپادا » (Dhrupada) أو للخيال، بل ظهرت أنواع من الموسيقى. وأغانى پراباندها تسمى جيتاز وسميت طرق الايقاع « چهنداس » (Chhandas).

وألف أول تآليف فى الموسيقى بأسلوب « گيتا گوبندو » (Gita Gobindo) چانى ديو من بيهار.

وإليكم بعض أمثلة من أنواع الأغانى أل « پراباندهاس » أو « الجيتاس ».

١ — لحن شرى انجا (Sri Anga)

لهذا اللحن أربع نغمات من الراجاز (المقامات) وله أربعة ضروب (أوزان) من أل « تال » (Tals).

٢ — لحن شرى دالاس (Sri Dalas)

استعملت فى هذا اللحن خمس نغمات من الراجاز وخمسة ضروب (أوزان) من أل تال.

٣ — لحن ترپادى (Treepadi)

استخدم فى هذا اللحن ثلاثة أنواع من الأوزان بالتتابع الواحدة تلو الأخرى.

٤ — لحن چاتوسپادى (Chatuspadi)

استخدم فى هذا اللحن أربعة أنواع من الأوزان متتابعة.

٥ — لحن منگلچار (Mangalchar)

استخدم فى هذا اللحن أربعة مقطوعات شعرية وبنغم ووزن واحد. وقد عبر فيها بشىء إلاهى وروحى.

من ذلك نستنتج أو نستخلص أنه كانت تستخدم فى ذلك الوقت، أى قبل عصر الاسلام عدة نغمات من الجيتاز. ومعظمها كان يدور على الأساطير البورانية والأقاصيص أو الأغانى الالهية استخدمت فى مناسبات الأفراح مثل دل - ليلا (Dolhila) و رام ليلا (Ramlila) وبعض الأحايين كانت تستعمل فى بعض التمثيلات، أو الدراما، أو أغانى كاتهاك (Kathak). وكان إذ ذاك لا يترنم رواة الأقاصيص أو أساطير كاتهاك أقاصيصهم الخاصة رامايانا (Ramyanas) مها بهاراتا (Mahabharata) بالاستعانة بأنغام الجيتا (Gitas).

النشيد الوطنى الهندى

فى ٢٤ يناير سنة ١٩٥٠ قررت الجمعية التاسيسية الهدية إعتبار نشيد « چانا جانا مانا » النشيد الوطنى. وقـد ألفه الراحل رابندر نات طاغور فى عام ١٩١٢. وتقرر أيضا استعمال « بندى ماترام » اللحن الروحى للمؤلف بانكيم تشاندرا تشاترجى. وهو ياخذ نفس المكانة.

واللحن الأخير، أقـدم من اللحن الأول، فقد نشر عام ١٨٨٢. وأول مناسبة سياسيه غنى فيها هذا اللحن عام ١٨٩٦ حيث كان إجتماع المؤتمر الوطنى الهندى. ووضع الموسيقى الفيلسوف الكبير رابندر نات طاغور. وأصبحت الكلمتان مطلع النشيد تدريجيا رمزا للحركة القومية وشعارا للتضحية والجهاد، والصعوبة التى اعترت نشيد بندى ماترام، كانت عدم قابلية اللحن من قبول إدخال الهارمونى عليه.

ولقـد وصف زعيم وأب الأمـة الهندية المهاتما غاندى نشيد چانا جانا مانا، بأنه ترنيمة تكريس. ونشر أول مرة فى يناير ١٩١٢ فى صحيفـة تاتوا بودهينى پاتريكا (Tatvabodhini Patrika) التى كان الدكتور طـاغور نفسه يحررها. ونشره الشاعر باللغـة الانجليزية بعنوان أغنية الهند الصباحية. وأنشدت الأغنية فى اجتماع سياسى عقـد فى ٢٧ ديسمبر ١٩١١ ثانى يوم فى دورة المؤتمر الوطنى

الهندى وحاز إعجاب الحاضرين باعتباره لحناً مميزاً. وهو هذا :

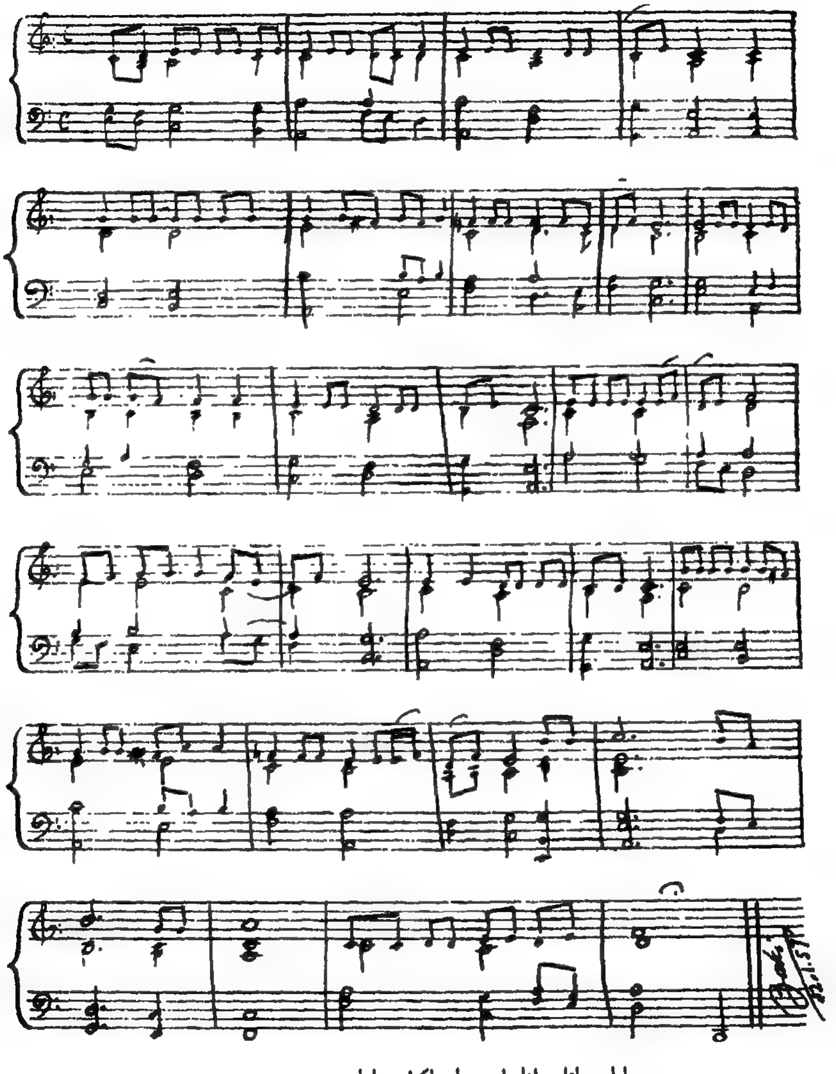

چانا جانا مانا ادهينا ياكا چاياهيه

بهاراتا بهاجيا ويدهاتا

بنجابا سندهو گجرات مراثها
دراويد أوتكالا بانجا
ويندهايا هيماچال يامونا گنگا
أوشيشاهالا چالادهى تارانجا
تافا شوبه نامى چاجى
تافا شوبه اشيش ماجى
جاهى تافا چايا جاثها
چانا جانا مانجال وايكا چاياهيه
بهارات بهاجيا ويدهاتا
چاياهيه چاياهيه چاياهيه
چايا چايا چايا چاياهيه

النشيد مترجما إلى اللغة العربية

تباركت يا محرك العقل البشرى، يا من بيده مصائر الهند. باسمك تعمر قلوب الناس فى البنجاب، والسند، وفى گجرات ومراثها، وفى الدراويد واوريسا والبنغال بين الوديان والجبال فى ويندهيا والهيمالايا، يتردد ذكرك، وبالموسيقى المنبعثة من نهرى يامونا وجانجا يمتزج اسمك، وبه تتغنى الأمواج فى بحر الهند كلها تسبح بحمدك، وترتل آلاءك ونعمك أنت، يا من تهيمين على مصائر الهند المجد، المجد، المجد لك.

المقام والراجا

المقام فى الموسيقى يطلق إصطلاحا على مجموعة من الأصوات الموسيقية مرتبة ترتيبا خاصا يجعلها ذا طابع ولون لحنى معين. إذن فالمقام معناه النغم الذى يخضع فى اختياره لقانون معين ومن هنا كثر استعمال النغمة بدلا من المقام

فيقال هذه القطعة من نغمة راست مثلا أى مقام راست. ويسمى عادة المقام فى البلاد المختلفة كالآتى :

مصر	—	نغمه	
سوريا، لبنان، تركيا			
العراق، ايران	—	مقام	
تونس	—	طبع	
الجزائر	—	صناعة	
الهند	—	راجا	معناها اللون

كل هذه المسميات تؤدى إلى معنى واحد برغم اختلافها، فانها ترمى إلى تأكيـد ما يحتفظ به « المقام » من طابع خاص ولون لحنى معين. والذى يكسب « المقـام » طابعه الخاص ولونه اللحنى المعين هو تتابع درجات أو مجموعة معينة من السلم الموسيقى تحمل فى ذاتها هذا الطابع وذلك اللون بصرف النظر عن كل درجة قائمة بذاتها من الدرجات التى تتألف منها تلك المجموعة. فانك لترى فى بعض الأحيان تغييرا يدخل على بعض الدرجات أو « المجموعـــة » وبرغم ذلك يظل المقام محتفظا باسمه ما دامت المجموعة محتفظة بطابعها الخاص ولونها اللحنى المعين. ولا بد لكل قطعة موسيقية أن تحمل فى مجموعها طابع مقام من المقامات يسهل على الأذن الشرقية المتدربة تمييزه بمجرد سماع تلك القطعة.

هـــذه هى خاصية طالما أفادت الموسيقيين الشرقيين، فقوت من ذاكرتهم وساعدتهم على حفظ الكثير من الألحان، سيما الذين يعتمدون على السماع كلية لعدم إلمامهم بالنوتة الموسيقية أو التدوين الموسيقى.

والمقام فى وجوب احتفاظه بطابعه الخاص، يقيد اللحن بالتزام حدود هذا الطابع مع إطلاق حريته فى صوغ الألحان التى يبتدعها منه. وتقاس مهـارة

المنحى بمدار سعة تصرفه فى المقام الذى يقصد التلحين منه دون أن يدخل عليه ما يخل بطابعه أو يفسد لونه اللحنى.

وتعدد المقامات فى الموسيقى العربية وكذلك فى الهند. وتسمى المقامات بأسماء مختلفة منها ما هو إسم بلد أو قطر. أو نسبة لقبيلة أو علم. ومنها ما يحمل إسم إله يعبده قوم من الأقوام. سيما فى الموسيقى الهندية وعلى سبيل المقارنة بأسماء المقامات العربية والراجا الهندية نجد أن:

عربى		جنوب الهند		شمال الهند
الصبا	يقابل	سارا كا سابجى	—	واسنت ـ لايت
نهاوند		كيراوانى	—	پيلو
كرد		شكرا واكن	—	أهر بهيرون
حجازكار		مايامولا واجاولا	—	بهيروى
سيكاه		هادى كامبودى	—	كهماج
فرحفزا		كاماوادهانى	—	بيودبك دهانا چرى
راست		شنكرابهادانان	—	پيلاول

مقارنة السلمين الموسيقيين الهنـدى والعربى

ه ه	دو سا	ل	٥٠٠٠	١/٢	ل	١٢٠٠
د	سى نى	ك	٥٢٥٠	١٩/٤٠	ك	١١١٠
ج ب			٥٥٥٦			١٠٢٠
ب م	لا دها	ى	٥٨٣٣	٥/١٢	ى ط	٩٣٠
يز ين			٦٣٥٠		ح	٧٩٢
يه يه	صول پا	ز	٦٦٦٧	١/٣	ز	٧٠٢
يد خ						
يب يب	فا ما	و	٧٥٠٠	١/٤	و	٤٩٨
يا	ى جا	ه	٧٨٧٥	١٧/٨٠	ه	٤٠٨
ط ى			٨٣٢٣			٣١٨
ح ح	ره رى	د	٨٧٥٠	١/٨	د ج	٢٢٨
و ز			٩٥٢٤		ب	٩٠
ه	دو سا	ا	١٠٠٠٠	مطلق	ا	٠

ق ن س ع ف ص م

السلم الهندى السلم العربى

مقارنـــة

راجا كهاماتش
(شمال الهند)
راجا هارى كمبودى
(جنوب الهند)

	سا	رى	جا	ما	پا	دها	نى	سا
ذبذبه	١	١٠ ٩	٥ ٤	٤ ٣	٣ ٢	٥ ٣	٧ ٤	٢
النسبه الهندية	١	١٫١١١	١٫٢٥٠	١٫٣٣٣	١٫٥٠٠	١٫٦٦٦	١٫٧٥٠	٢
النسبة التقريبية	١	١٫١٠٠	١٫٢٠٠	١٫٣٠٠	١٫٥٠٠	١٫٦٠٠	١٫٨٠٠	٢
النسبة العربية	١	١٫٠٨٥	١٫٢٢٢	١٫٣٧٥	١٫٥٠٠	١٫٦٣٠	١٫٨٦٥	٢
سيكاه	ا	ب	ه	ح	يا	يب	يه	ا
	سيكاه	محير	كردان	أوج	حسين	نوا	جهاركاه	سيكاه

من البيانات نجد أن الفارق فى النسبة ضئيل جدا وخاصة فى «الجهاركاه» وما يقابلها «رى» فى الراجا الهنـــدية. كذلك فى «محير» وما يقابلها «نى». فالاختلاف يمكن التغاضى عنه وخصوصا أن الأذن الموسيقية الحساسة فقط هى التى يتبين لها هذا الفارق فى ضبط الأوتار للآلات الموسيقية الوتريه.

راجا بهيروى
(شمال الهند)
راجا مايا مالاوا
جولا (جنوب الهند)

	سا	رى	جا	ما	پا	دها	نى	سا
ذبذبة	١	١٦/١٥	٥/٤	٤/٣	٣/٢	٨/٥	١٥/٨	٢
النسبة الهندية	١	١٫٠٤٢	١٫٢٥٠	١٫٣٣٣	١٫٥٠٠	١٫٥٧٣	١٫٨٧٥	٢
« التقريبية	١	١٫٠٥	١٫٢٥	١٫٣	١٫٥	١٫٦	١٫٨	٢
« العربية	١	١٫٠٧٢	١٫٢٥	١٫٣٢١	١٫٥٠١	١٫٦٠٧	١٫٨٧٥	٢
مقام حجازكار	ا	ج	د	ح	يا	يج	يو	ا
	رست	زيركولاه	مين بوسلك	جهاركاه	نوا	حسين	ايم حس	كودان

تشير النسب إلى اختلاف عشرى بسيط فى النغمتين «رى» الهندية و «زيركولاه» العربية. وكذلك فى النغمتين «دها» الهندية و «حسين» العربية. إذن المقام حجازكار يشابه الراجا الهندية بهيروى، بل هما متساويان.

وهكذا بالتحليل للسرعة و الذبذبة يمكن المقارنة بين جميع المقامات العربية و الراجاز الهندية.

الآلات الموسيقيه

نظرة عامة

تنقسم الآلات الموسيقية التى يتألف منها الأوركسترا الكامل إلى ثلاثة أقسام أو مجاميع.

١ ــ المجموعة الأولى: المجموعة الوترية:

وهى التى تحدث أصواتها من تذبذب الأوتار أو اهتزازاتها.

وهذه الأوتار إما أن تكون مصنوعة من الأسلاك أو الجلد «أمعاء القطط».

٢ ــ المجموعة الثانية: المجموعة النفخية:

وهى التى تحدث أصواتها من ذبذبة العمود الهوائى داخل قصبة آلة النفخ

٣ ــ المجموعة الثالثة: المجموعة الايقاعية أو القرعية:

وهى التى تحدث أصواتها من اهتزازات أغشية مشدودة من الجلد كسائر أنواع الطبل أو إصطدام أجسام مرنة من المعدن كالأجراس والمثلثات والصنج.

ولكل من هذه المجاميع الثلاثة أنواع خاصة من الآلات.

ولنتحدث عن آلات المجموعة الأولى:

المجموعـة الوترية

يمكن الحصول على الأصوات من الآلات الوترية بواسطة الاهتزازات ولهذه الاهتزازات أو الذبذبات ثلاث طرق :

أولا : الاحتكاك كما هو الحال فى آلة الكمان وفصيلتها التى يلعب عليها بواسطة جر القوس على الأوتار.

ثانيا : نبر الأوتار بالأصابع كما هو الحال فى القيثارة والصنج (الهارپ)

ثالثا : نقر الأوتار بواسطة « ريشة » كما هو الحال فى الماندلين أو بواسطة المطارق كما هو الحال فى البيانو.

وأهم هذه الطرق الثلاثة، هى الطريقة الأولى. لأنه إذا ذكرت الآلات الوترية فانما يقصد منها تلك الآلات التى يعزف عليها بواسطـة جر القوس. والنوع الأكثر إستعمالا فى الأوركسترا هو فصيلة الكمان التى هى أربعة أنواع مختلفة :

الكمان
الويولا
الويولينشيل (شيلو)
الكنتراباس (باس)

الكمان هى أصغر هذه الآلات وأعلاها طبقة وتليها الويولا ثم الويولينشيل أما الكنترباس فهى أكبر هذه الفصيلة وأغلظها صوتا.

وكثيرا ما تتعدد الآلات الوترية فى الأوركسترا وقلما يتضاعف عدد الآلات النفخية والقرعية فيها. وتقسم الكمان عادة إلى قسمين أو (درجتين) كمان أولى (بريمو) وكمان ثانية (سكندو) كل منها مستقل عن الآخر، وقـد يعزف عليهما أحيانا قطعة واحـدة. كما أن الويولينشيل والكنترباس يعزف عليهما دائما فى

دائرة القرار والجواب (الأوكتاف)، وعلى ذلك تكتب النوته أو موسيقى الآلات الوترية فى أربعة أسطر مرتبة بالترتيب الآتى :

السطر الأول	كمان أولى (بريمو)
السطر الثانى	كمان ثانية (سكندو)
السطر الثالث	ويولا
السطر الرابع	ويولينشيل وكنترباس (باس)

لذلك يطلق على الآلات الوترية اسم المجموعة الرباعية كوارتيت (Quarrtett). وقد يطلق هذا الاصطلاح على الموسيقى التى تكتب لأية أربعة آلات فردية ومن الآلات التابعة للنوع الثانى أى التى تحدث أصواتها بنبر أوتارها بالأصابع آلة الصنج (الهارب) فهى مستعملة فى الأوركسترا. وأما القيثارة فقليلة الاستعمال فيها.

وأما آلات النوع الثالث (ذات المضارب) فالبيانو أهم هذه الآلات، وهو مع ذلك قليل الاستعمال فى الأوركسترا ولا يستعمل إلا فى الحالات الفردية فقط . (Solo)

والآن ننتقل بكم إلى تقسيم «آلات المجموعة النفخية»

وهى تنقسم إلى قسمين أولها «خشبية» والأخرى «نحاسية» ولو أن التقسيم هذا لا يحدد بالدقة الآلات، فقد تصنع آلة الفلوت من المعدن الأبيض وعلى ذلك سنقسم هذه الآلات النفخية إلى أنواع من جهة الأصوات الناشئة منها.

أولا : نوع الآلات التى يمر فيها الهواء فى قصبتها فتحدث تذبذبات من تموجاته فى الثقب المستدير بالقرب من الجانب المسدود من هذه القصبة. ويستعمل عادة من هذا النوع فى الأوركسترا «الفلوت» العادى، ويسمى «كنسرت فلوت» (Concert Flute) وبيكولو (Piccolo) الذى تعلو طبقة صوته ديوانا (اوكتافا)

عن الفلوت الكبير.

وهناك أنواع أخرى من هذا النوع من الآلات لا تستعمل كثيرا فى الأوركسترا بل تستعمل فى موسيقى الجيش والموسيقى النحاسية.

ثانيا: نوع الآلات النفخية المسماة بآلات ذات المزمار. ويركب هذا المزمار، (البلوخ) فى طرف القصبة الهوائية (الأنبوبة الهوائية) وتنقسم آلات ذات المزمار إلى نوعين:

١ — آلات ذات مزمار واحد:

وتكون قصبتها الهوائية اسطوانية الشكل. وأهم هذه الآلات، الكلارنيت (Clarinet)، وهو ينقسم إلى أنواع مختلفة تختلف أصواتها باختلاف أحجامها ككلارنيت سي ط وكلارنيت مى ط وكلارنيت لاط وكلارنيت دو. ونذكره علاوة على أنواعه العادية آلة «كورنو دى باسيتو» (Corno di Bassetto). وهذه الآلة لا تستعمل أبدا إلا فى فرق الموسيقى العسكرية. وصلة هذه بآلة الكلارنيت كصلة الكورانجيلة بالأبوا. والكلارنيت الباس الذى تنخفض طبقة صوته ديوانا (اوكتافا) عن الكلارنيت والسكسيفون. وهو ينقسم إلى أنواع تختلف أصواتها باختلاف أحجامها أيضا منها السكسيفون سبرانوا — والتو وتينور — وبريتون.

٢ — آلات ذات مزمارين:

وتكون قصبتها الهوائية مخروطية الشكل تتسع من جهة الفم تدريجيا إلى النهاية أى (الطرف الآخر) ومن أكثر هذا النوع استعمالا الأبوا (Oboe) والباسون (Basson) وأقلها استعمالا لا سيما فى الموسيقى القديمة الكوارنجيلية (Coranglais) الذى هو فى الحقيقة آلتو أبوا (Alto oboe) وطبقة صوته منخفضة خامسة والكنترا فاجوتو (Contrafagotto) وهو إسم طليانى للباسون

المزدوج (Double Basson) وطبقة صوته تنخفض ديوانا عن الباسون العادى.

وتختلف آلات ذات المزمار الواحد عن الآلات ذات المزمارين بأن قصبة الأولى أسطوانية بينما قصبة الثانية مخروطية الشكل ولو أن قطرهما واحد. وهذا الاختلاف يحدث فى الحقيقة اختلافا كبيرا فى ميكانيكية الآلات. وقد تصنع الآلات ذات المزمار الواحد من قصبات مخروطية الشكل كفصيلة السكسيفون. ولكن هـذه محصورة فقط فى موسيقى الجيش ولو أن بعض المؤلفين الفرنسيين قد أدخلوا هذا النوع فى أوبراتهم.

ثالثا: وهذا النوع من آلات المجموعة النفخية هو الآلات النحاسية وطريقة اللعب بهـذه الآلات هى إدخال الفم فى الجزء الصغير المستدير لنهاية القصبة وتحدث الأصوات من اختلافات ضغط النفس فتكون أصواتا متآلفة(Harmony) والآلات النحاسية المستعمله عادة فى الأوركسترا هى الباص (Horn) على إختلاف انواعه ترمبيت (Trumpet) و ترمبون (Trombone). والترمبيت هى أعلاها طبقة. ويطلق عليها سبرانو ـ هذه الفصيلة ـ ولما كان الذين يجيدون العزف بآلة الترمبيت قليلين، فكثيرا ما يؤدى الجزء الخاص بها بواسطة آلة الكورنيت بيستون، فهى أسهل استعمالا منها فى الممارسة، ولكنها أقل جمالا فى الصوت بالنسبة للترمبيت وقد شاع استعمالها كثيرا بدلا عنها.

ويستعمل فى إنجلترا وألمانيا من آلة الترمبون ثلاثة أنواع تسمى بأسماء طبقاتها «ترمبون التو» و «ترمبون تنور» و «ترمبون باص» ويستعمل فى فرنسا وإيطاليا ترمبون تنور فقط. ولم تكن هذه الآلة مستعملة عند المؤلفين القدماء.

لم يبق من آلة النفخ إلا آلة الأرغن التى تختلف اختلافا بينا عن كل الآلات السابقة فى إمكانية إصدار عدة أصوات فى وقت واحد، مثلا الآلات الأخرى تسمى مونوفونيك (Monophonic) أى ذات الصوت الواحد، والأرغن بولى

فونيك (Polyphonic) أى تحدث جملة أصوات متآلفة ـ هارمونى (Harmony) فى وقت واحد ويستعمل الأرغن فى الأوركسترا لمصاحبة الموسيقى الدينية، وأحيانا فى الأوبرا. ويستعمل أحيانا كآلة فردية (Solo)، تتفق ألحانها الهارمونية والأوركسترا المؤلف منها. ولا يعتبر الأرغن من الآلات النفخية الشائعة الاستعمال فى الأوركسترا وهو فى تركيبه كآلة ال هارمونيم (Harmonium) التى تحدث أصواتها من ذبذبة مزامير خاصة بكل صوت أو درجة.

الآلات الموسيقية

آلة الكمان ومقارنتها بالبيانو

تشغل آلة الكمان المحل الأول من جميع الآلات الموسيقية فى العصر الحاضر وقد زاحمت هى وأسرتها سائر الآلات الوترية كما أصبحت لها السيادة عليها منذ أكثر من قرنين لا تزاحمها فى تلك السيادة آلة أخرى غير البيانو الذى أصبح أكثر الآلات ذيوعا فى العالم. وإن لم يستطع أن يضعف من مركز آلة الكمان أو أن ينال من سيادتها على الآلات الأخرى، ذلك لأن البيانو والكمان آلتان لا يتضاربان، فلكل منهما ناحية من الفن لا تزاحم إحداهما فيها الأخرى.

أما البيانو فانه كما يقول الموسيقار المعروف «ليزت» قد استطاع بقوة الهارمونى التى يشتمل عليها أن يحصر فيه جميع الفن الموسيقى. وإن فى السبعة الدواوين التى يحتويها ما يغنى عن مجموعة آلات فرقة موسيقية، وإن الأصابع العشرة لكافية أن تخرج على البيانو من الهارمونى ما يخرجه مجموع فرقة بها مائة آلة.

فأفضلية البيانو إذن هى من ناحية سهولة الاستعمال وما أودع فيه من قوة تعدد التصويت مما لا يمكن لآلة أخرى أن تجاريه فيه. وأما الكمان فتتبوأ مكانة أخرى من الفن، ذلك بأنها سلطانة العواطف وملكة الآلات جميعها فى الترجمة عن الشعور، ومن أبدع ما كتب فى ذلك قول «هاينى» الفيلسوف والشاعر

الألمانى الكبير:

« الكمان آلة لها أمزجة البشر، تتكلم بشعور العازف بها، وتكشف أسرار عواطفه تنقل عنه فى جلاء ووضوح أقل التأثيرات وأضعف الانفعالات. ذلك لأنه يضعها أثناء التوقيع على صدره فتحمل على أوتارها ضربات قلبه ».

ومن المدهش أنه رغم ما للكمان من المنزلة الرفيعة فى جميع العالم فانه لم يتطرق إليها أقل تغيير فى صناعتها منذ أكثر من قرنين ونصف قرن، وذلك بالرغم من محاولات الكثير من الفنانين، مع أن البيانو لم يستكمل شكله الحالى إلا فى أوائل هذا القرن.

وأقدم آلة وترية وقع عليها بالقوس فى تاريخ العالم كله آلة هندية قديمة جداً يرجع عهدها إلى خمسة آلاف عام قبل الميلاد اسمها « راواناسترون » (Ravanastron) كانت ذا وترين غير أنها لم تتقدم فماتت. ويرجع للعرب الفضل فى إحياء آلات القوس فقد أوجدوا فى القرون الأولى بعد الميلاد الآلة الوترية المعرفة « بالرباب » وكانت ذات وتر واحد. ثم تقدمت بهمة العرب أيضا فأصبحت ذات وترين متساويين فى الغلظ. ثم ذات وترين متفاضلين فيه. ثم أربعة أوتار يتفاضل غلظ كل اثنين منها على الآخرين وتنوعت أشكالها. وتلك الرباب العربية هى أثاث آلة الكمان فقد انتقلت تلك الآلة مع العرب إلى الأندلس ومن ذلك الحين فقط بدأت فكرة صنع الآلات الوترية ذات القوس تظهر فى أوروبا، فقد صنع الفرنسيون آلة تماثل الرباب وسموها ربيبة (Rubebe) أو ربيلة (Rubella) كما صنع الطليان نفس هذه الآلة وسموها ربيكه (Rubeca) أو ربيك (Rebec). وظاهر من كل هذه الألفاظ اشتقاقها من كلمة « رباب ».

انتشرت تلك الآلة بعد ذلك وعمت فى أوروبا فى القرن الرابع عشر وأخذ يدخل عليها التغيير شيئا فشيئا حتى آخر القرن الخامس عشر. فسميت تلك

الآلات « الويولا » ومعناه الوتر وقد صنع منها على مرور الزمن أنواع مختلفة الحجم.

وفى القرن السابع عشر عم لفظ « ويولا » (Viola) وجميع الآلات الوترية نوعان. الأول سمى ويولا الذراع (Viola De Breccia) وكانت تحمل أثناء التوقيع على ذراع العازف بها كما هو الحال الآن فى آلة الكمان. وأما الثانى فسمى ويولا الركبة (Viola Du Gamba) وكان يضعها العازف بين رجليه أثناء التوقيع على النحو الذى تستعمل فيه آلة « الويولينشيل ».

وكانت كل تلك الأنواع ذات ستة أوتار مشدودة فى مستوى واحـــد. ولذلك كان من المتعذر على العازف أن يوقع على الأوتار الوسطى منها. بل كان لا بد له من العزف على ثلاثة أوتار فى وقت واحد. وبعد أن عاشت « الويولا » بهذا الشكل أى (ذات ستة أوتار) أكثر من قرنين. عدل الأوروبيون عن ذلك ورجعوا إلى فكرة العرب فى وجوب عدم زيادة الأوتار على أربعة. كما كان الحال فى الرباب. وبذلك تطورت « الويولا » فى منتصف القرن السابع عشر وصنعت آلة أصغر منها قليلا مشدود عليها أربعة أوتار فقط. أطلق عليها إسم « ويولون » أو « ويولينو » مصغر « ويولا » وتلك آلة هى ما نسميه حتى الآن آلة الكمان.

وقد صادفت آلة الكمان على شكلها الأخير إقبالا عظيما من سائر الشعوب فى العالم سيما بعد أن منحها الموسيقار « منتفردى الطليانى » السيادة على آلات الأوركسترا فيما وضعه من الأوبرات التى انتهج منهجه فيها جميع معاصريه وخلفائه.

واختص بصنع آلة الكمان فى بادئ الأمر منطقـــة محدودة من أوربا هى تلال البترول فى شمال إيطاليا، وكانت أسرة أماتى (Amati) أخلد الأسر التى اشتهرت فى صناعة هذه الآلة فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فى « كريمونا »

إحدى مقاطعات «سهول لومباردى» بإيطاليا، وأخذت عنها أسرة «ستراديوارى» (Stradivari). وبفضل هاتين الأسرتين الايطاليين بلغت صناعة الكمان أوج الكمال فى أوائل القرن الثامن عشر. وإنه رغم إقبال الشعوب على هذه الآلة إقبالها العظيم وتسابقها فى تأسيس المصانع المتعددة خصوصا فى ألمانيا. فقد ظل اسم أسرتى «أماتى» و «ستراديوارى» علما على نهاية ما بلغته صناعة آلة الكمان من الجودة والاتقان وقد فشلت كل محاولة أريد بها بز الآلات التى خلفتها لنا هاتان الأسرتان.

وتصنع آلة الكمان من خشب الصنوبر ويخزن الخشب قبل صناعته حتى يتم جفافه فلا تتغير نسب الأبعاد التى صنعت عليها القطع مختلفة الكون منها الصندوق المصوت والتى يجب أن تبقى دائما ثابتة على النحو الذى ضبطها عليه الصانع حتى تتوافق الاهتزازات الصوتية الناشئة من كل من تلك القطع على الاهتزازات الصوتية الناشئة من الصندوق الكلى المصوت. وتتوقف جودة آلة الكمان على جودة الخشب وإتقان الصنعة ومراعاة دقة النسب بين القطع المكونة منها الآلة.

وكلما قدمت الكمان فى الاستعمال أصبح خشبها أكبر مرونة والأصوات الصادرة منها أرق وأحلى.

الفلوت

نبدأ بالكلام عن الناى لأنه أقدم آلات النفخ ذات الثقوب على جانب القصبة الجوتار المفتوحة الطرفين. وعرفته مصر قبل الأسر الفرعونية وذاع فى الممالك القديمة وظل منتشرا فى الشرق إلى وقتنا هذا، بل ظلت موسيقى التخت (الأوركسترا العربى) اليوم مقتصرة عليه دون سواه من آلات النفخ. وصوته هادئ لين. ولخلو هذه الآلة من المفاتيح، تعجز عن أداء مختلف الدرجات

الصوتية التى تستخدمها الموسيقى ، ولذلك يضطر العازف بتلك الآلة إلى استعمال أكثر من آلة واحدة منها فى أثناء تأديته الألحان.

ظهر الفلوت فى الممالك القديمة أيضا إلا أنه انتقل إلى المدنية الغربية وفى أوروبا فى أوائل العصور الوسطى ، ومنها تطورت آلة الفلوت إلى الكمال. والفلوت آلة نفخية ذات قصبة جوتار مثل الناى ينفخ فيها من ثقب على جانبها قريب من نهايتها العليا. ويحدث الصوت فيها بالنفخ فى الثقب المشار إليه بحيث يقع هواء النفخ على حافته وأصوات هذه الآلة أقوى من أصوات آلة الناى وأضبط وأكثر ثراء وقوة وتعبيراً.

ولقد صادف آلة الفلوت من يوم انتقالها إلى أوروبا أن ذاع استعمالها ولازمتها فى الغالب الآت الطبول لاستخدامها فى السير المنتظم. والايقاع لسير الجيوش وما شاكلها.

وكانت ثقوب هذه الآلة فى أول انتقالها إلى أوروبا كثقوب آلة الناى تستخدم بغير مفاتيح ويقتصر عددها على ستة ثقوب ، ثم زيد فيها ثقبان متقابلان فى النهاية السفلى للآلة مخصصتان لخنصرى اليدين تبعا لوضع اليد اليمنى فى العزف أسفل اليسرى أو العكس. وباستعمال العازف لأحد هذين الثقبين يغلق الآخر بالشمع.

وقد كان يفتح أحيانا ثقب على جدار تلك الآلة من الخلف فى موضع الابهام.

وفى القرن السابع عشر بدأت تلك الآلة تسير فى طريق الكمال فأصبحت القصبة على شكل مخروطى يتسع فى النهاية العليا ويضيق فى النهاية السفلى كما أصبحت الآلة نفسها مكونة من ثلاث قطع بد لا من قطعة واحدة ، وذلك تسهيلا لحملها وتيسرا لضبط طبقة أصواتها ، لتوافق طبقة أصوات الآلات الأخرى التى تصحبها فى العزف. وجهزت تلك الآلة بمفاتيح على جدارها لامكان الحصول

على أنصاف الأبعاد الطنينية. وقد كان عدد تلك المفاتيح ثلاثة ثم أربعة ثم زادوا إلى الستة، ويتحتم أن يكون وضع اليد اليمنى أسفل اليسرى، وأعد مفتاح واحد للخنصر اليمنى فى النهاية.

جاء بعد ذلك تيوبولد بيم (Theobald Boehm) وهو موسيقى ألمانى من أمهر العازفين بآلة الفلوت تفنن فى صناعة تلك الآلة وتطور بصناعتها إلى حد الكمال حتى أطلق اسمه على هـذا النوع الحديث. كان شغله الشاغل الاهتمام بالأصوات الموسيقية الصادرة من الآلة ووجوب صفائها واستكمالها من الناحية الصوتية فحدد طول قصبة الفلوت وصنعها أسطوانية الشكل بدلا من المخروطية. وأوسع فتحات الثقوب ووزعها على جدار الآلة بحيث يضمن صفاء الصوت ونقاءه من غير أن يجعل مراعاة راحة الأصابع أثناء العزف فى الدرجة الأولى من عنايته كما كان الحال أولا، ثم مد آلاته بجهاز من المفاتيح عجيب الصناعة سهل الاستعمال دقيق الأداء يغطى جميع ثقوب الآلة. وقد بلغت الستة عشر ثقبا حتى يستطيع العازف أن يؤدى الصوت الواحد بأوضاع عدة يختلف باختلاف حركة العزف صعودا أو هبوطا وبذلك جمعت تلك الآلات إلى الصفاء الصوتى وقوته وسهولة الاستعمال وراحة الأصابع إلى درجة منقطعة النظير.

وآلات الفلوت عادة تصنع من الخشب وفى كثير من الأحيان تصنع من معدن الفضة ومركباتها. وفى النادر من الذهب والزجاج. وبرغم اختلاف مادة الصناعة على نحو ما تقدم فان آلة الفلوت فى جميع هذه الأحوال تعتبر دائما من آلات النفخ الخشبية.

وسجلت بعد ذلك محاولات أخرى للفلوت لتؤدى أرباع الأصوات حتى تنتفع بها الموسيقات الشرقية ولكن لا يعرف مدى نجاح هذه التطورات.

الآلات الموسيقية عند العرب

ذكر ابن خلدون فى مقدمتــه بعض الآلات الموسيقيــة التى كانت تجمع فى المجالس لقضاء الوقت والطرب والأنس وقسمها إلى قسمين: ا — الآلات الوترية ب — آلات النفخ.

فمن أهم الآلات الوترية:

١ — البربط ويسمى بـ «العود» أو «المزهر». وكان يتألف من أربعــة أوتار فزاد عليها زرياب الأندلسى وترا خامسا أحمر متوسطا ولون الأوتار الأربعة وطبقها على الطبائع. وهو الذى اخترع ريشة النسر بدلا من مرهب الخشب. وقد سمى كل وتر باسم خاص. فالأعلى سماه «البم» والثانى «المثلث» والثالث «المثنى» والرابع «الزير» والخامس «الحد». ورتب هذه الأوتار بصورة مخصوصة بحيث يعادل كل وتر ثلاثة أرباع ما فوقه والمسافة ما بينهما ربعا.

٢ — القانون: وقد اخترعه الفيلسوف أبو نصر الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩.

٣ — القيثارة: يشبه شكلها مثلثا متساوى الأضلاع المتكونة من عشر أوتار.

أما آلات النفخ فتشتمل على:

١ — الشبابة وهى عبارة عن قصبة جوفاء ذات ثقوب معدودة فى جوانبها ينفخ فيها فتصوت وإذا أريد أن يقطع الصوت فتوضع الأصابع جميعها عــلى الثقوب وضعا متعارفا حتى تحدث النسب بين تلك الأصوات فيه، ثم تصل إلى السمع متناسبة فيلتذ لها السامع.

٢ — المزمار: هى آلة تشبه الشبابة تتكون من قصبة خشبية منحوتة الجانبين جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها، وتتألف من قطعتين منفردتين توجد بينهما ثقوب معدودة كذلك. ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل الهواء فينفذ النفخ بواسطتها

إليها فتصوت بنغمة حادة لطيفة.

٣ — الزلامى : (نسبة لزلام) الذى وضعها وتدعى كذلك بـ « الناى ».

٤ — البوق : وهى من آلات الزمر أيضا تتكون من نحاس أجوف فى مقدار الذراع يتسع أن يكون انفراجا مخرجه فى مقدار دون الكف فى شكل برى القلم، أى أنه مخروطى. ينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدى الهواء إليه من الفم فيخرج الصوت غليظا دويا. وفيه ثقوب معدودة أيضا تقطع النغمات فيها بالأصابع. وقد بقى على هذا التركيب حتى زمن الخليفة الأموى (الحكم الثانى) حيث أدخل عليها بعض التحسينات.

الأوركسترا العربى ـ التخت

العود ـ القانون ـ الكمنجه ـ الناى ـ الدف ـ الطبلة

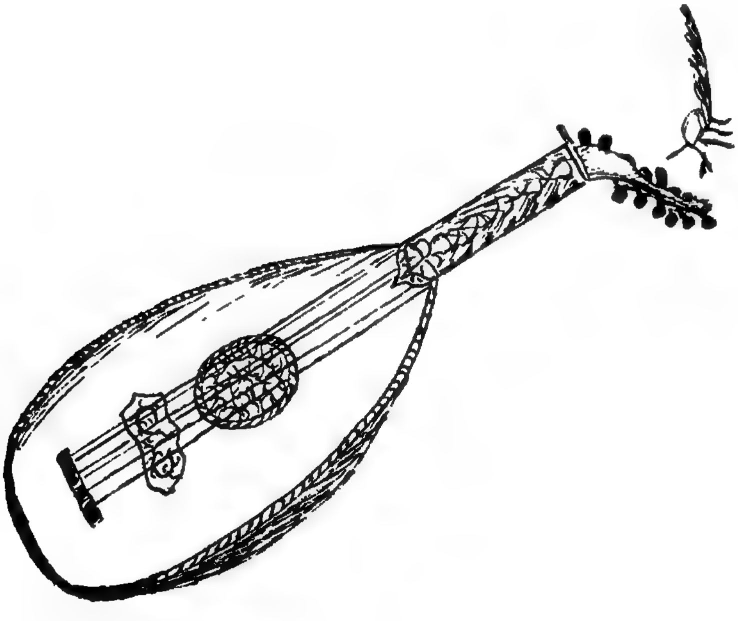

آلة العود

هو نوع من آلة الطنبور يعزف بريشة وهو آلة قديمة عزف بها أشهر موسيقى العرب فى القرون الماضية. وقد وصفه أحد البلغاء بقوله: طوله من القاع إلى زاوية الرقبة خمسة وعشرون بوصة ونصف بوصة. وصندوقه الصوتى محفف بالأبنوس ومكون من تلاصق أضلاع خشبية مرققه ومقوسة. وله رقبة آبنوسية ذات وجه صندوقى محفف بالأبنوس أيضا. وفى وجه العود فتحات مستديرات ثلاث، إحداها أكبر الآخرين. وفوق كل منها غطاء من الأبنوس، وتعرف « بالشمسات » وتحت الأوتار فى موضع استعمال الريشة تجد الرقبة مغراة على الوجه لتق خشبه من البلى الذى يعجل به إحتكاك الريشة. وللعود خمسة أوتار مزدوجة، كل زوج منها نغمة واحدة. ويعزف بالعود بالضرب على أوتاره بريشة الرخ أو الرخم.

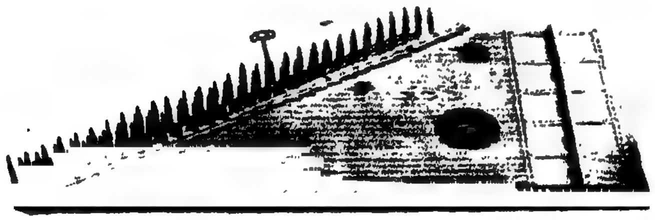

القانون

وهو اسم إغريق مطابق لمعناه المعروف. القانون الذى يشرع به. أو القاعدة أو العرف والعادة.

أطلق الاسم على تلك الآلة الموسيقية لأنها أغنى الآلات أنغاما ولذلك فهى فى التخت أساس الكمال.

ومن القوانين ما يعرف بالكبير، لأن طوله يزيد على طول معظم القوانين ببوصة أو اثنتين، ويبلغ طوله الكلى تسع وثلاثين وثلاثة أرباع بوصة وعرضه ستة عشر بوصة وسمكه بوصتين و ١/١٠ بوصة.

يصنع القانون عادة من خشب الجوز إذا استثنينا منه بعض ما يحلى به. وللقانون «وجه» و «ظهر» مصنوعان من خشب رقيق (ورقه). أما سواره و «المسطرة» والأنف على امتداد حافته الداخلية التى تمر فيها الأوتار فمن خشب شجر الخوخ. وملاوى القانون مصنوعة من خشب الرمان ولكن «الفرس» فمن خشب «الورقه». وفى منتصف «الوجه» تجد «الشمسه» وهى قطعة مفرغة من الخشب الأحمر ذات ثقوب. وفى مقابل الزاوية الحادة فى «الوجه» تقع «شمسة» أخرى كسابقتها. و «للفرس» خمسه أقدام يرتكز بها بخفة على قطعة من جلد السمك. سعتها تسع بوصات (الرقمه)، مغراة فوق خمس طاقات مستديرة الشكل. وأوتار القانون مصنوعة من مصارين الحمل، وتتركب من أربع وعشرين مجموعة، لكل مجموعة ثلاثة أوتار تؤدى نغمة واحدة. وأقصر الجوانب فى القانون (القبلة) مكسوة بطبقة من خشب الجوز المطعم بالصدف.

ويعزف بالقانون بضرب أوتاره بريشتين صغيرتين رقيقتين مصنوعتين من قرن الجاموس، وتحصران بين السبابتين وحلقتين مقربتين تحيطان بهما (كسابين). ويوضع القانون عند استعماله على ركبتى العازف به، وفى أيامنا هذه يوضع على منضدة صغيرة.

آلة السنتور

السنطور أو السنتور، يشبه القانون ويختلف عنه فقط فى أن له جانبين مائلين بدلا من واحدة، وأوتاره زوجية من سلك. ويعزف على أوتاره بالضرب بعصائين. وهـذه الآلة تستخدم فى العراق. وفى كشمير، وإيران أكثر منها فى الدول الشرقية الأخرى.

النـاى

نوع من الصفاره وهو عبارة عن غابة بسيطة. طولها حوالى ثمانى عشرة بوصة وقطر طرفها العلوى سبعة أثمان البوصة والسفلى ثلاث أرباعها ذات ستة ثقوب أمامية. وعادة ثقب واحد من الخلف.

والناى بهـذا الحجم شائع. وهو أنواع كثيرة تختلف فى أحجامها وغلاظ قصبتها. وتستخرج الأصوات من الناى بالنفخ فيه من فتحة ضيقة بين الشفتين على حافة فوهة القصبة وتحويل الهواء الحادث من النفخ وخاصة داخل الآلة. وبالنفخ القوى أو الضعيف يصدر الناى أنغاما حادة أو غليظة. وإجادة العزف بالناى لا يسره إلا المران الطويل المتواصل، وأحيانا يكون للناى ماسورة معدنية.

نای کبیر

نای صغیر

آلة الكمنجة (الكمان)

الكمنجة

اسم فارسى لنوع من الكمان، وقد كانت تختلف فى الأزمنة الغابرة عن مثيلتها

في الوقت الحاضر والمتداول استعمالها الآن، وهي عبارة عن صندوق خشبي مصنوع من خشب الصنوبر الذى لا بد من خزنه قبل صناعته حتى يتم جفافه فلا تتغير نسب الأبعاد التي صنعت عليها القطع المختلفة المكون منها الصندوق الصوتي والتي يجب أن تبقى دائماً ثابتة على النحو الذي ضبطها عليه الصانع حتى تتوافق الاهتزازات الصوتية الناشئة من كل تلك القطع على الاهتزازات الصوتية الناشئة من الصندوق الكلي المصوت. وتتوقف جودة الكمان على جودة الخشب واتقان الصنعة ومراعاة دقة النسب بين القطع المكونة منها الآلة. وكلما قدمت الكمان في الاستعمال أصبح خشبها أكبر مرونة والأصوات الصادرة منها أرق وأحلى. ويتصل بطرف الصندوق الصوتي قطعة خشب أبونوسيه المطعم بالعاج أحياناً، ونهايته قطعة من العاج المصنوعة منه الخزانة المثبتة فيها الملاوى ذات الأجسام الخشبية أو الآبنوسية والرؤوس العاجية. وتثبت بالملاوى الأوتار الأربعة وعادة في التخت أوتار الكمان مصنوعة من الجلد وتمر فوق القطعة

النقارات القديمة (مصرية)

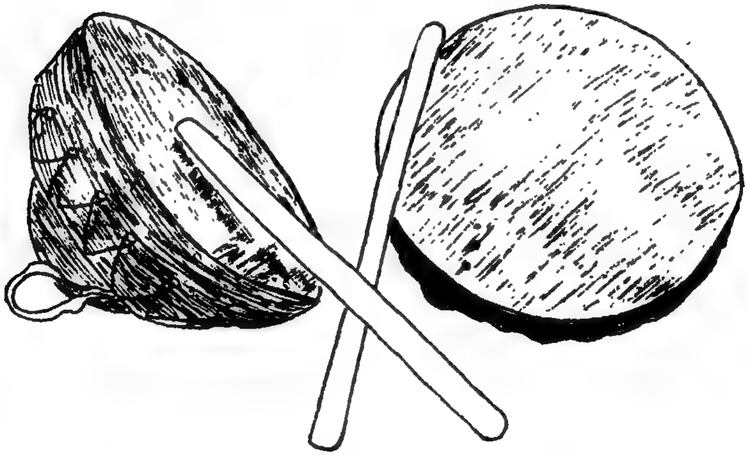

الآبنوسية وفوق الفرس (القنطرة) — وهو قطعة خشب رقيقة — ثم تتصل الأوتار من الجهة الأخرى من الكمان بقطعة خشبية آبنوسية مثبتة فى طرف الكمان.

وتصدر الكمان الصوت بالاحتكاك وجر القوس على الأوتار بين القنطرة والقطعة الآبنوسية الصدرية للكمان. وتصدر النغمات بحسب أوضاع أطراف اليد اليسرى على الأوتار فى المقابيس المختلفة على حسب القواعد والسلالم الموسيقية

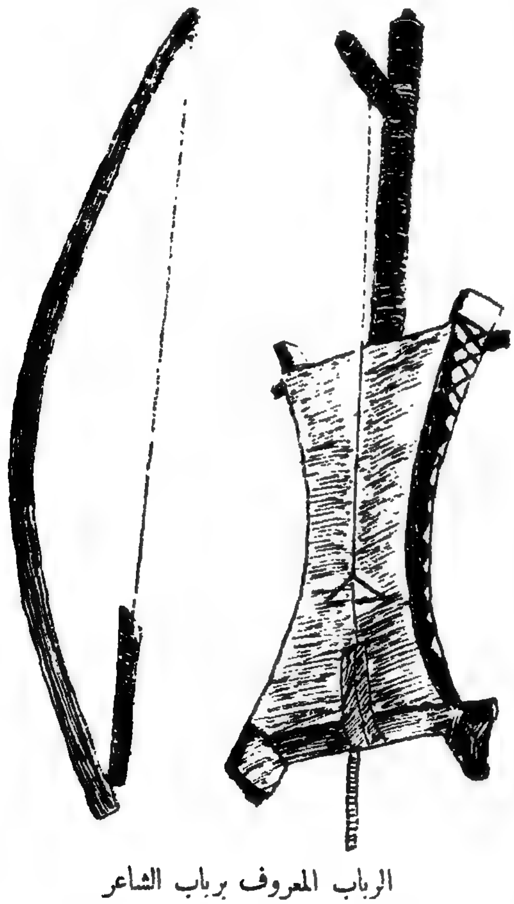

الرباب المعروف برباب الشاعر

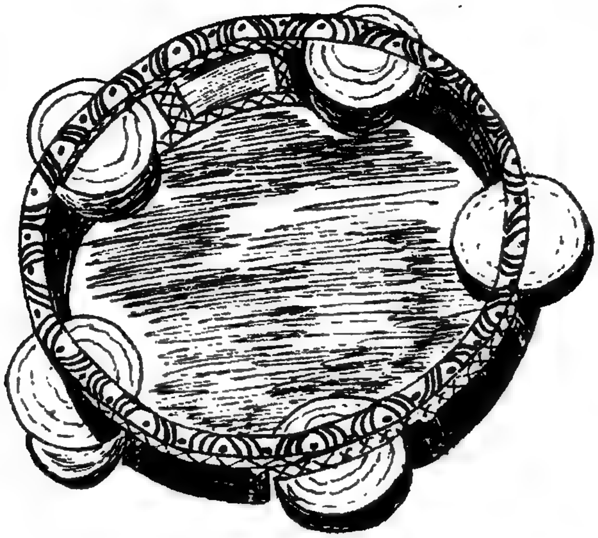

الدف [الرق]

هو آلة إيقاعية تستعمل لضبط الايقاع وتنشيطه. لذلك له أهمية كبرى فى التخت. ويبلغ قطر الدف ١٠ بوصة أو ١٢ بوصة. وله إطار مطعم بالصدف والعظم الأبيض أو العاج من الداخل والخارج. ومركب فيه عشرة أزواج من الصنوج النحاسية الرقيقة. وأما الجلد فهو جلد السمك.

الوينا (Vina)

آلة الوينا عبارة عن قطعة خشب مجوفة تعطى شكل حبة الباذلاء، مركب عليها أوتار سبعة وفرادات ٢٤. فتستعمل ثلاثة أوتار كأساس للنغم وللمساعدة على أداء الضروب والأوزان. أما الفرادات ال ٢٤ فتعطى نغمات لدوانين كاملين (أوكتافين). وعند ضبط الأوتار بشكل خاص يمكن أن تعطى أربعة دواوين. وبهذا تخرج موسيقى رقيقة عذبة تناسب الموسيقى الهندية. توضع الوينا فى أثناء العزف إما افقية عبر الركبتين أو توضع بشكل مائل متكئة على الكتف. ويعزف على الآلة بواسطة أنامل أصابع الأيدى. وكثيرا ما تستخدم الآلة فى العزف المنفرد.

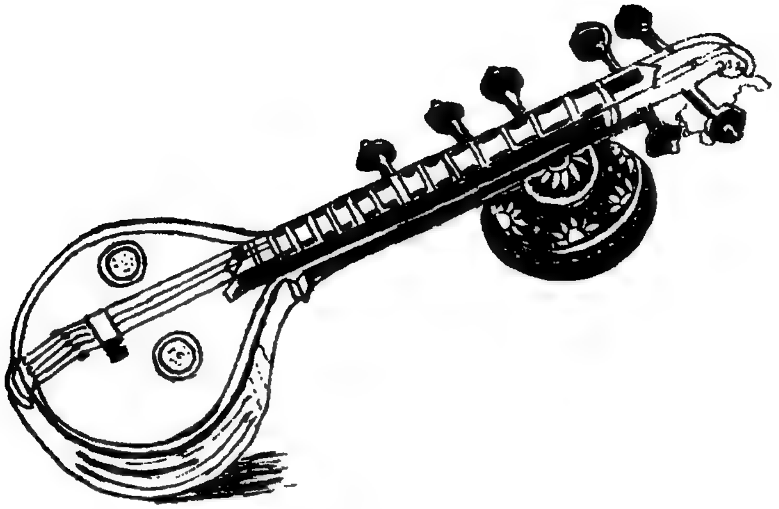

الوينا (Vina)

الطبل البلدى (الصغير)

السيتار (Sitar)

السيتار من أوسع آلات الهند الموسيقيـــة انتشارا وأهمها وخاصة فى شمال الهند. ولربما اشتهرت الموسيقى الهندية خارج الهند عن طريق آلة السيتار. وهى

آلة مستجدة بالنسبة لتاريخ الهند الموسيقى. ويعزى إختراعها إلى الشاعر والموسيقى الفارسى الأمير خسرو الذى أتى والده إلى الهند منذ حوالى ٦٠٠ عام واتخذها وطنا له. ومعنى كلمة «سه تار» آلة موسيقية ثلاثية الأوتار. وتدرجت الآلة فى النمو وتعددت أوتارها من ثلاثـة إلى أربعة ثم أضيفت إليها أوتار جانبية لتعطى نغما أساسيا، ويبلغ عددهـا حوالى الاثنى عشر لتعطى عذوبة ورقة فى العزف. أما أساس العزف على آلة السيتار فهو شبيه بالعزف على آلة الوينا غير أن الاختلاف هو أنه بينما نجد الفردات مثبتة على آلة الوينا يمكن تحريك الفردات على آلة السيتار.

الكمان (Violin)

هى نفس آلة الكمان الغربية وهى الآلة الوحيدة الأجنبية التى أمكن استخدامها فى الموسيقى الهندية فى الشمال وفى الجنوب على السواء لتعطى جميع النغمات الهندية وفق الأصول الشرقية المرعية. وتستخدم فى أداء الموسيقى الخفيفة والكلاسيكية.

وكذلك تستخدم فى العزف المنفرد أو مصاحبة الفلوت أو المغنى. تركب عليها أوتار من السلك أو الفضة أو النحاس بدلا من أوتار الجلد.

وتضبط الكمان على النحو الآتى:

سا - پا - سا - پا

وبالعكس أى دو - صول - دو - صول

والبعض يضبط الأوتار بحيث يطلق عليها الأسماء على حسب الترتيب الآتى:

رى - پا - ما - سا

أى رى - صول - فا - دو

لقد أصبحت آلة الكمان هامة جدا فى الموسيقى الهندية بل أصبحت فى منزلة لا تقل عن منزلة السارنجى. وعازف آلة الكمان الهندى يجلس القرفصاء. ويضع الكمان بين قدمه الأيمن وكتفه الأيسر وتخرج الكمان ثلاثة دواوين فقط بالنسبة لأن المغنى لا يخرج إلا دوانين ونصف على أكثر تقدير.

ماردانجم (MARDANGAM)

طبلة تختص بها جنوب الهند فى الموسيقى الكلاسيكية هى قوام رقص البهارتا ناتيا (Bharata Natya).

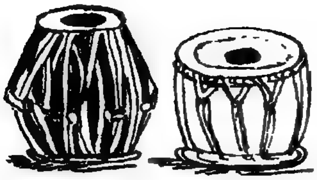

(Mahmardang) ماها مردانج
من قوام رقص كاثاك (Kathak) فى شمال الهند

الطبلة والبايا (Tabla and Baya)
أصلها طبلة واحـدة السابقــة ماهـا مردانج وقطعت إلى اثنتين

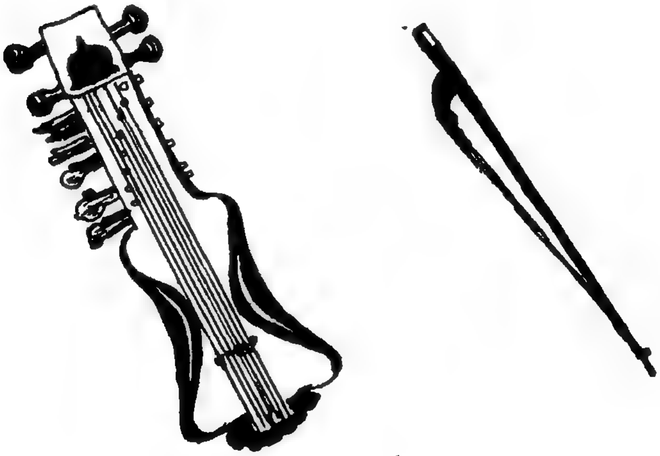

السارنجى (أصل الكمان) (Sarangi)

الشاهناى (Shahnai)

أهم خاصية لهذه الآلة الموسيقيها أن العزف لا بد أن يؤدى فى الهواء الطلق لأنها آلة قوية. آلة الشاهناى شبيهة بالأبوا (Oboe) أو بالمزمار البلدى فى البلاد العربية. وتستخدم الآلة فى الحفلات عادة خارج الدور فى الأفراح وما أشبه.

تصنع من خشب نادر طولها يقرب من القدم وعليها سبعة ثقوب وتعيز آلة ذات مزمارين.

بالاساراسواتى (Balasaraswathi)

داماراً (Damara)

طبلة « المعبود شيوا » المقدسة عندما تعفق اليد على الطبلة حول الوسط تشدد الأحبال على الوجه فى كلى الناحيتين فتعطى العقدة التى فى آخر طرف الأحبال أصواتا ايقاعية مفرحة.

دولاك (Dholak)

طبلة صغيرة تعطى صوتا ضخما نتيجة للقرع عليها باليد وبالعصى سويا.

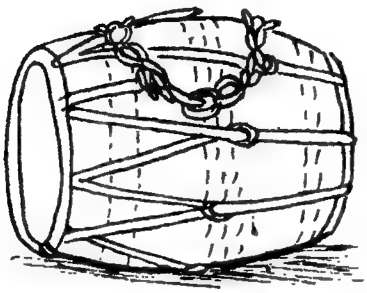

دولك

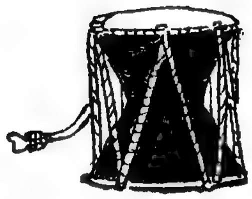

العقـدة

داماراً

الطنبورة الهندية (Tambura)

الرباب الكشميرى

تطور هذا الرباب وأصبح ما بين الرباب العربى والعود العربى، وهو كثير الشبه بالرباب الايرانى ما عدا الطفيف من الاختلاف. ويسمى الرباب فى اللغة الايرانية «طار» والرقبة أطول من الرباب الكشميرى ومائلة إلى الرفع. وأوتار الرباب الكشميرى مصنوعة من الجلد بعكس الطار الايرانى فأوتاره معدنية. والرباب الكشميرى قريب الشبه بالعود المصغر أو المندولين المكبر غير أن غطاء الوجه خشبى له فوهتان مغطاة بالجلد ويعزف عليه بالريشة أو Plectrum (الأفرنجية). وهذه الآلة منتشرة فى كشمير كانتشار العود فى الدول العربية.

ويچتراوينا (Vichitra Veena)

الويچتراوينا هى نوع من الآلات الموسيقية الهندية التى تدرجت من الآلة القديمة «الوينا» والفرق بين الآلتين هو أن الوينا لها فردات مقسمة ويعزف عليها بواسطة أنامل الأصابع ويعزف على الويچترا وينا بواسطة سحب قطعة عظمية أو زجاجية أو من مادة السليلوز على الأوتار. ومثلها فى ذلك مثل العزف على قيثارة الهوايين. وبطبيعة الحال يمكن الاستمرار فى أداء النغمة بدون توقف كما هو الحال فى الكمان مثلا. ولهذه الآلة الموسيقية قوة غنية خاصة بسحرها تبذ بها جميع الآلات الموسيقية الهندية الأخرى.

السرود

السرود من الآلات المنتمية لشمال الهند. فهى آلة وترية تصدر منها النغمات بالطرق بالريشة على الأوتار. وأصلها فارسى، وقد تحولت إلى شكلها الحالى من الرباب الشرقى. تشبه آلة السرود المندولية الغربى أو العود الشرقى. فالسرود أكبر حجما من المندولين وأصغر حجما من العود، ولكن أغنى بكثير عن المندولين فيعطى نغمات كثيرة. مركب عليه أربعة أوتار أساسية إثنان من المعدن والآخران

من النحاس .

وعادة العزف على السرود فى أداء أى راجا (المقام الهندى) يبدأ بالنوع المسمى ألاپ (Alap). وهـذا يشابه التقاسيم فى الموسيقى العربيـة، ثم ينتقل العازف إلى النوع المسمى جهالا (Jhala). وهـــذا يشابه فى الموسيقى العربيـة التقاسيم على الوحـدة. وأخيرا ينتقل العازف إلى النوع المسمى جات (Gat). وهنا تعزف مقـدمة ال راجا (Raga) على ضرب معلوم حيث يتمكن العازف من أداء ما يشاء. ولا بد أن يكون من نفس المقام أو الراجا بمصاحبة الطبلة لتعطى الضرب المضبوط.

إصطلاحات الموسيقى العربيـة

النغمـــة :

والجمع نغمات ونغم : هى الصوت المندرج تحت ضوابط الموسيقى من حيث الثقل والحدة وعدد الاهتزازات. ويقول البعض فى تعريفها إنها صوت يلبث زمانا عـلى حد من الحدة والثقل. وقال الفارابى فى كتاب الموسيقى : « وأعنى بالنغم الأصوات المختلفـــة فى الحـدة والثقل التى تتخيل كلها ممتدة ». وقال عبد القادر بن الغيبى فى كتاب مقاصد الألحان: « النغمة صوت واحد لابث زمانا ذا قـــدر محسوس فى الجسم الذى فيه يوجد ».

فكل لفظـة من الألفاظ الواردة فى الجدول الآتى هى اسم لنغمة مخصوصة ومن الخطأ أن نقول « فلان يغنى من نغمة كذا ، لأن هذا يدل عن أنه يأتى بصوت واحـد مستمر دون الانتقال إلى سواه. ومن الخطأ أيضا استعمال كلمة نغمة فى نحو « هذه المعزوفة من نغمة الحجاز » ويقصد بها هواء مخصوص وهو « لحن الحجاز ». ويعادل النغمة عند الفرنجة كلمة نوت (Note).

[illegible]		نغمات الديوان الثانية	
[illegible]	[illegible]	نوى	شهناز
[illegible]	[illegible]	نيم حصار	تيك شهناز
[illegible]	دوكاه	حصار [illegible]	محير
[illegible]	نيم كرد	تيك حصار	نيم زوال
عشيران	كرد	حسيني	زوال (سنبلة)
قرار نيم عجم	سيكاه	نيم عجم	بزرك
قرار عجم	بوسليك	عجم (...)	حسيني شد
عراق	تيك بوسليك	أوج	تيك حسيني شد
كوشت (...)	جهاركاه	نهفت	ماهوران
تيك كوشت	نيم حجاز (...)	تيك نهفت	جواب نيم حجاز
راست	حجاز (صبا)	ماهور (كردان)	جواب حجاز
نيم زركلاه	تيك حجاز (...)	نيم شهناز (...)	جواب تيك حجاز

اللحن :

هو ما تألف من نغمات مرتبة بعضها يعلو أو يسفل عن بعض على نسب معلومة ويقابله عند الفرنجه كلمة «جام» (Gumme) أو تونالائث (Tonalite) .

الهواء :

غناء أو عزف من لحن لا يشترط فيه الترتيب للنغمات من حيث الصعود أو الهبوط .

الصوت :

كالهواء ولكنه محدود المنطقة كصوت الطفل ، وصوت البلبل ، وصوت المرأة. ولا يستعمل للدلالة على النغمة. ويعادله عند الفرنجة كلمة « پارت » (Parte) فى التوزيع الموسيقى .

الديوان :

كلمة معربة معناها جريدة الحساب ثم أطلقت على: موضع الحساب واستعملت فى الموسيقى للدلالة على اللحن لما تشمله من معنى الترتيب .

ذو الأربع :

هو ديوان مكون من أربع نغمات مرتبة ويعادله عند الفرنجه « تيتراكورد » (Tetrachord). وهو أقدم نوع عرف من الدواوين .

الجنس :

هو ذو الأربع أو ذو الخمس الذى تتكون منها الألحان ويعادله عند الفرنجه كلمة « زانر » (Genre).

ذو الكل :

أى ذو النغمات كلها. ويشمل ثمان نغمات من الأساس إلى الجواب ويتكون

من الأجناس بالجموع السابق شرحها لمدى مرتبة واحدة.

المرتبة:

ديوان يشمل ثمانى نغمات من الأساس إلى الجواب.

الجماعة التامة:

تتكون من مرتبتين من الأساس إلى جواب الجواب. وأطلق «الجماعة التامة المنفصلة غير المتغيرة» على السلم الموسيقى المحتوى مرتبتين بالجمع التام المنفصل من ذى أربع واحد لا يتغير.

الأساس:

النغمة الأولى من أسفل أى ديوان.

القرار:

النغمة التى تسفل الأساس ببعد بالكل وعدد ذبذباتها نصف عدد ذبذبات الأساس.

الأراضى:

كالقرار.

الشجاع:

كالقرار.

الصياح:

النغمة التى تعلو الأساس ببعد بالكل. وعدد ذبذباتها ضعف عدد ذبذبات الأساس.

الجواب:

كالصياح.

بعد بالكل:

المسافة الصوتية بين أساس وجواب أو بين قرار وأساس وتعادلها كلمة «اوكتاو» (Octave).

بعد بالأربع:

المسافه الصوتية بين أى نغمة والرابعة فى الترتيب معها إلى أعلى أو إلى أسفل وتعادلها «برفيكت فورث» (Perfect 4th).

بعد الغماز:

المسافه الصوتية بين أى نغمة والخامسة فى الترتيب معها إلى أعلى أو إلى أسفل وتعادلها «برفيكت فيفث» (Perfect 5th).

الغماز:

هو النغمة الخامسة فى الديوان أى ثابتة الديوان (Dominant).

التجنيسات:

الألحان المكونة من الجمع بين أكثر من جنس واحد.

مجرى:

ذو الأربع «قبل القرن الرابع الهجرى».

بحر:

ذو الأربع «بعد القرن الرابع الهجرى».

مطلق فى مجرى:

ذو الأربع المبتدى بمطلق أى وتر إذا طبق على غير أساسة.

معرى:

نغمة لا دستان لها.

البعد الوترى : ٠٠ ٩

البعد الترددى : ١٠ ٩

البعد الطنينى : أو بعد المدة أو بعد العودة : ٨ ٩ .

المقام :

هو الأساس الذى بنى عليه اللحن ويستقر عليه فى الختام. ويستعمل ع سبيل المجاز بذكر البعض وقصد الكل بمعنى اللحن كقولك « مقام اليكاه » وير به اللحن .

طابع الموسيقى الهندية

كانت أهم وأعظم فترة لتطور الموسيقى الهندية فى القرون الثالث عشر والراب عشر والخامس عشر. فقد انقسمت الموسيقى الهندية فى ذلك الوقت إلى قسمي أو مدرستين ـ مدرسة شمال الهند المعروفة بالهندوستانى ومدرسة جنوب الهن المعروفه بالكرناتك (Carnatic) .

وتأثرت المدرسة الشمالية بالموسيقى الفارسية. وحدث إختلاط بين موسيقى اله وإيران منذ زمن الأمير خسرو الذى عاش فى بلاط علاء الدين خلجى ١٢٩٦ ١٣١٦ الميلادية وغيره من الملوك. ولم تظهر الصيغ الجديدة لاختلاط الموسي الهندى والفارسى مباشرة بل أخذت تتشكل تدريجيا لمدة تقرب من القرنين. وك ذلك بسبب تشجيع وشهرة الأنواع الموسيقية الهندية القديمة مثل تشهندا (handa وبرابهاندا (Prabhanda) كذلك الدهروپاد (Dhrupad) والدهامر (Dhamar ولا يوجد أثر للنوعين الأولين فقد زال أثرهما تماما. أما النوعان الأخران ف قد تمكنا من الانتعاش ولو أنهما فقدا شهرتهما القديمة إلا أنهما يمثلان أنقى أنو الموسيقى الهندية أى الدهروپاد والدهامر.

وفى القرنين الخامس والسادس عشر لم يكن النوع المسمى « الدهروپاد »

وأشهر الأنواع، إلا أنه أخذ شكلا جديدا، لا من الناحية الآلية فحسب بل الفنية أيضا. ولربما تطور هذا النوع من أوليات الأنواع السابق ذكرها «تشهندا» و «برابهاندا». وكان الفضل لظهور الدهروپاد إلى راجا مان سنج تومار (Raja Man Singh Tomar) من گواليار (Gwalior) وملكته المسماة رانى مرينجانيانى (Rani Mringnayani). فقد كان موسيقيا وملحنا يشهد له بالحذق والمهارة الموسيقية. فقد لحن العديد من الدهروپاد وصقلها بصبغة خاصة اكتسبها كيانها الهندى الحالى. وأصل كلمة دهروپاد: دهروا ـ پادا (Dhruva-Pada)، ومعناها كلمات تستخدم فى صفات الخالق الحميدة أو جمال الطبيعة أو سيرة الملوك. ويدخل تحت الدهروپاد النوع المسمى ألاپ (Alap) أى موسيقى غير موزونة تأتى سليقة وطبعا، وهى أجود الأنواع الداخلة فى نقاء الدهروپاد الغنائية. وتشابه فى الموسيقى العربية التقاسيم والليالى والكلمات التى تستخدم عادة أثناء أداء اللحن هى اناتتا هارى نارايانا أوم (Ananta Hari Narayana Om). ويؤدى اللحن بدون مساعدة آلية أو بدون مصاحبة الآلات الموسيقية. وهناك نوع آخر من «الاپ» تطور أخيرا يعرف باسم جج أنج (Jog-Ang). وفى هذا النوع لا تستخدم الكلمات بل تستخدم تراكيب خاصة جمل صوتية. ويؤدى هذا اللحن بالايقاع والضروب ويصاحبها آلة المريدانجا (Mridanga) أو آلة پاكهاواج (Pakhawaj). وهما من الآلات القرعية — نوع من الطبل.

وعند تأدية لحن ال دهروپاد يغنى بايقاع خاص يسمى تالا (Tala) وأهمها چاؤتال (Chautal). وتحتوى البطوطة الموسيقية المازورة على ١٤ وحدة. وهذا الطابع الموسيقى ثقيل على السمع ومعظمه عبادة وتقديس. وهناك أنواع أخرى فى الموسيقى الهندية تشابه ذلك النوع فى عظمته وقوته، ولا بد للمغنى الذى يريد أداء هذا النوع أن يكون متمكنا من إصدار نغمات لثلاثة دواوين كاملة أى

ثلاثة أكتاف. وذكر فى الأمثال القديمة أن الشخص الذى له قوة تضاهى قوة ثيران خمسة يسمح له بأداء لحن الدهروپاد.

والرجل الذى يعزى إليه وصول الدهروپاد إلى الذروة هو تانسين (Tansen) وربما يعتبر أعظم موسيقى فى شمال الهند. وقد تعلم على الأستاذ القديس سوامى هاريداس (Swami Haridas)، وكذلك تدرب على يد رانى مرينجنايانى عقيلة راجا مان سنج. ولربما كان بتدريبها وإشرافها تمكن تانسين من أداء الغناء لنوع الدهروپاد على أتم وجه. وقد ألف العديد منها لا زالت تعزف فى أيامنا هذه.

وإلى جانب الدهروپاد، ومن نفس الفصيلة نوع آخر يسمى هورى دهرامار (Hori Dharamar) ويعرف عادة باسم دهامار (Dhamar). ويعزف فى الوصلة عادة بعد الدهروپاد، وهو أقل ثقلا ويمتاز بخفة الموسيقية. وعادة يصف هذا النوع من الغناء اللورد كريشنا وهو فى حالة لهوه فى مناسبة «هولى» أى عيد الألوان — عيد الربيع. واللحن يمتاز بالجمال والسحر يسيطر على الأذن لأنها تطرب لسماعه أشد طرب.

وهكذا يؤخذ من الكلام السابق على الدهروپاد أنه نوع الموسيقى القوية الثقيلة نوعا.

وعلى عكس ذلك توجد الموسيقى المرحة الخفيفة السريعة الحركة والأداء، ويسمى هذا النوع توپا (Tupa). نوع من الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة فى أول الأمر كانت موسيقى ساخرة ولكنها زادت حسنا ونقاء فهى نوع بسيط للموسيقى ولأغانى الشعبية فى ولاية البنجاب. ويذكرنا أداء هذه الموسيقى برجال القافلة، وهم يغنون فى الصحراء ينتقلون من مكان إلى مكان فيغنون ليعبروا عن فرحهم وسرورهم بالطبيعة. فهم كالحادى فى البادية وضروبهم تتساوى

فى حركاتها مع حركات ومشية الجمال. ويرجع الفضل فى تقدم وتطور التوپا إلى الموسيقى الشهير غلام نبى (Gulam Nabi) الذى عاش فى القرن الثامن عشر وهو بنجابى الأصل وأخذ من غناء سائق الجمال نبراسا له وتمكن من صقله إلى الذورة. فبعد أن كانت الجمل صغيرة أو غير منظمة جعل منها جملا منظمة منسقة الصغيرة منها والكبيرة السريعة منها والبطيئة، ثم عاش معظم أيامه فى لكناؤ. ومعظم تأليفه دونها فى كتابه المسمى شورى ميان (Shori Mian). واللغة التى استعملها إما البنجابية أو الخليط ما بين الهندية والبنجابية. وكلها كرسها للحب ووصف الحبيب والطبيعة ومحاسنها.

والآن ننتقل إلى نوع آخر من الموسيقى الهندية الخفيفة ويسمى تومرى (Thumri). ولا يعنى ذلك أن أداء هذا النوع من السهولة بمكان، فان عدم انتظام الضروب والأوزان والسرعة والصعود والنزول تحيط هذا النوع بالحذر والاهتمام لأدائه على خير أداء.

والوزن المستخدم فى التومرى هى من الضرب المسمى البنجابى تريتال (Trital) كالضروب المستعملة فى الموسيقى الغربية والأعرج فى الموسيقى العربية. ولكون هذا النوع من الموسيقى الهندية خفيف الطابع يمكن استخدامه فى المقامات الهندية السهلة أى الراجاز مثل كهاماج (Khamaj) وكافى (Kaphi) وتيلانج (Tilang) وبهيروى (Bhairavi) المقابلة للسيكاه. وكافى والحجاز والحجازكا. ولا يمكن استخدام التومرى فى مقام شديد مثل مالكوس (Malkauns). والقريب من التومرى فى العربية الأهزوجة أو الطقطوقة.

الخيال: (Khayal)

هو نفس المعنى فى اللغة العربية. انحدر أصل هذا النوع من الموسيقى الهندية عن الدهروپاد ويعتبر ثورة على الموسيقى القديمة. فقد جمع بين الموسيقى الشديدة

الكلاسيكية والخفيفة. ويعزى التطور بهذا النوع إلى موسيقيين عظيمين هما سادرنج (Sadrang) وإدارنج (Adarang) يمتاز هــذا النوع بسعة الخيــال الموسيقى والإيقاع الجميل وله ضروب مختلفة سريعة ومجراها اللحنى عــذب نقى ملئ بالشعور والوجدان.

ويوجد خيالى نسق آجرا (Agra Style) ألفه فياض خان
وخيال نسق أمرناث (Amarnath) ألفه أمر ناث
وخيال نسق كيرانى (Kairana) ألفه عبد الكريم خان

والآن ننتقل إلى المدرسة الموسيقية فى جنوب الهند أى الكارناتك.

أهم الأسس لهذه الموسيقى الوارنم (Varnam) أى الدراسة المتوالية وينقسم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام:

پالاوى (Pallavi) ويليه انو پالاوى (Anupallavi) وهو أكثر توسعا واتقانا عن الأول. ويلى ذلك شتا سوارام (Chitta Swaram) عبارة عن مازورتين أو بطوطتين يغنى بعــد انوپالاوى. ثم تختم اللحن بالنوع پالاوى (Pallavi).

والنوع الثــالث هو إدخال جملتين موسيقين فى مازورة واحــدة ويسمى چارانام (Charanam) ويلى هذا النوع أربعة أو خمسة چيتاسوارام (Chitta Swaram). ويعاد الچارا نام بعد تعدية چيتا سوارام وهذا يشبــه البدنيات الأول، والثانية، والثالثة، والرابعة فى المشارف التى يعزف بعد كل منها التسليم.

وروح لحن ورنام (Varnam) تكرس للعبادة والحب ومعظم الأوزان إما أربعة وحدات للمازورة أو ثمانية أو ١٤.

فيطلق اسم اتاتالا (Ata Tala) للمازورة الرباعية الوحدة

ويطلق اسم أدى تالا (Adi Tala) للازورة الثمانية الوحـدة

ويطلق اسم تانا تالا (Tana Tala) للازورة ذات الأربعة عشر وحدة

تيلانا (Tillana):

هذا النوع لحن جنوب الهند يسيطر فيـه الايقاع على النغم فمثلا بدلا من نطق السلم الموسيقى الهندى المعتاد أى:

سا	رى	جا	ما	پا	دها	نى
sa	ri	ga	ma	pa	dha	ni

تستخدم جمل التقريب من الخمسة والثلاثين وعلى سبيل المثال تنطق هكذا:

تا	دهى	توم	نام	لا	نجام	ديرى
Ta	Dhi	Tom	Nam	La	Njam	Diri
	ديرى	دانى	يودانا	تادانا	تى لابا	تيليلانا
	Diri	Dani	Udana	Tadana	Tillaba	Tillillana

الخ:

ومن أحد هذه العبارات تستنتج النوع المسمى تيلانا (Tillana).

وهذا النوع شهير بالمربع فى الموسيقى العربية.

ويستخدم هـذا النوع فى الرقص الهنـدى فى الجنوب المسمى بهاراتا ناتيام (Bharata Natyam).

سوراجاثى (Swarajathi):

هذه الكلمة مكونة أصلا من كلمتين سوارا أى العبارة «سلفيج» السلم الموسيقى والثانية جاثى أى الايقاع. وفى أى لحن يسيطر الايقاع على النغم. وهذا النوع على شبه كبير بالنوع المسمى وارنام. وهو يشبه التمهيد فى الموسيقى العربية.

ويستخدم عادة الغناء فى العبادة والتقديس أو الحمد الاله أو تمجيد البطل.

جاوالى (Javali) ·

هذا النوع من الموسيقى حديث العهد فى جنوب الهند ويتغنى بلغة التلجو — أنغام خفيفة تعلق فى الأذن سريعا لخفة روحها الموسيقية وكأنها موسيقى شعبية. وعادة عندما تؤدى فاصلة موسيقية من الموسيقى الثقيلة الكلاسيكية تختتم الفاصلة بهذا النوع بمعزوفة أو معزوفتين من «جاوالى» لكن تدخل بعض المرح والسرور على السامعين.

النظام الشائع فى تأدية الفاصل الموسيقى العربى

— أى الوصلة —

الموشحة أو الموشح — الليالى والتقاسيم — الموال والمواليا — الدور — القصيدة — الطقطوقة أو الأهزوجة — المنولاج وما يتبعه.

الموشح أو الموشحة:

يكتب باللغة الدراجة ويغلب فيه الغزل ووصف التأثر بالخمر، الميزان الشعرى من الفنون السبعة. ويشترك فى أداء اللحن جميع أفراد الفرقة الموسيقية عازفين ومغنى ومصاحبين (سنيده) ويشترط أن تلزم ضربا معينا فى إيقاع الموشحة وأن تكون من نفس طابع اللحن الذى منه الفاصل الموسيقى (أى الوصلة الموسيقية) وقل أن تحول أثناء العزف إلى أقرباء اللحن. ولكن يمكن ارذياد السرعة فى أداء الجزء الأخير أشعارا بختام اللحن.

الليالى والتقاسيم:

ينفرد المغنى بكلمة ياليل ويصبح منوعا على نفس الدرج أو طابع الفاصل الموسيقى من غير أن يتبع ضربا معينا. وقد تصاحبه بعض الآلات الخفيفة كالناى أو الكمان تاركة القانون ملازما للغنى الاستمراء فى نغمة المقام حتى إذا تصرف المغنى فى آداء اللحن رجع إلى أصل المقام.

الموال أو المواليا :

يماثل الموال الموشح فى اللغة الدراجة وأوزان الشعر من الفنون السبعة، ويغلب فى معانيه الشكوى من الهجران. وسميت بالمواليا نسبة لموالى أو عبيد البرامكة حينما كانوا يندبون أسيادهم على القبور بعد فتك الرشيد بهم. والموال كالليالى من حيث الأداء الموسيقى أى بمصاحبة آلة خفيفة والاستمرار من نغمة المقام بواسطة آلة ثقيلة. وفى كثير من الأحيان تعزف فواصل صغيرة تسمى باللازمات كموسيقى آلية فقط من فترات سكوت المغنى، ولا يشترط فى الموال أن يسير على ضرب معين، ولكن لا بد وأن يكون لحنه من نفس مقام الفاصل الموسيقى أو الوصلة.

الدور :

نوع من الزجل الغزلى العامى يتوسطه قطعة من المجزوء ليسهل على المغنى التنويع فيها والتلاعب بألفاظها وإدخال الأخذ والرد عليها ويعرف هذا باسم « الهنك » ويطيل المغنى الأدوار بما يدخله عليها من « آهات » ليست واردة فى مضمون ألفاظها. والدور عادة هو أكبر قطعة موسيقية تستغرق زمنا فى الفاصل الموسيقى أى الوصلة.

والأصل فى الدور أن يسير على ضرب مخصوص ويتغير هذا الضرب فى « الهنك » وعند الختام. ولا يحيد الدور عن لحنة المختاو إلا على سبيل التحويل. ومن الأدوار ما له طراز فى تكرار أغصانه إذا كان له هواء يتكرر وتشترك الفرقة الموسيقية كلها فى أداء الدور وينفرد المغنى ببعض أجزاء الهنك والآهات.

القصيدة :

قطعة من الشعر فصيح اللغة وعادة لا تخرج معانيها عن الغزل والنسيب والشكوى والأنين وذكر أوصاف الحبيب، ومنها ما هو صوفى وينشد فى الأذكار

وفى الموالد. والأصل فى تأدية القصيدة الغنائية أن لا يصاحب منشدها آلات أو مساعدون بل يتمكن المنشد التصرف فى غناء الألفاظ كما يتراءى له على شرط أن يتماشى مع طابع اللحن أو مقام «الوصلة» وفى حالة خروجه عن المقام له كامل الحرية فقط عند التحويل.

الطقطوقة أو الأهزوجة:

دور صغير الهواء. يتركب من قطعتين — مذهب أو مدخل — وعدد من الأغصان أو الشروح وعند الأداء تبتدى الفرقة الموسيقية بغناء المدخل. وينفرد المغنى بغناء أحد الأغصان بعد الفرقة. ويعاد المدخل ويتبعها المغنى بالغصن الثانى وهكذا حتى ينتهى عدد الأغصان وتختتم القطعة باعادة المذهب كما ابتدأت بالشعر المحبوك الطرفين.

ونظرا لأن المغنى لا يشترك مع المساعدين فى غناء المذهب فيطلق عليهم إسم «مذهبجية» لان عملهم قاصر على إعادة المذهب بخلاف حالهم فى الأدوار حيث يعاونون المغنى بأصواتهم فيسمون بذلك سنيده.

المولوج — الديالوج — التريالوج:

المنولوج:

قصة خيالية زجلية أو شعرية يلقيها شخص واحد بمصاحبة الآلات. ويا حبذا لو كانت الموسيقى تصويرية.

الديالوج:

محاورة زجلية أو شعرية بين ثلاثة أشخاص تصاحبهم الآلات.

التريالوج:

محاورة زجلية شعرية بين ثلاثة أشخاص تصاحبهم الآلات.

الموسيقى العربية

المعزوفات

١ — البشرف ا هـ ب هـ جـ هـ ء هـ

أربعة بدنيات تنتهى كل واحدة منها بالتسليم — الوزن عادى.

٢ — السماعى ا هـ ب هـ جـ هـ د هـ

أربعة بدنيات تنتهى كل واحدة منها بتسليم — الوزن يختلف. البدنيـــة الأولى والثانيـة والثالثة ١٠/٨ أما ١٣/٨ أما ٢٢/٨ وأما البدنية الأخيرة (الخانة الرابعة) فوزنها ٦/٤ أو ٦/٨ أو ٣/٤.

٣ — الافتتاح

٤ — المربع والمخمس ا جـ ب حـ / ا جـ ب جـ د

٥ — التحميلة (الأخذ والرد) تستخدم لفرضين الأول الرقص والثانى التقاسيم
ا ب ا جـ ا د ا هـ

٦ — التقاسيم مقام خاص ونغمات موزونة أو غير موزونة

٧ — إستهلال الأغنية

٨ — الترجمـــة

٩ — اللازمة وتشمل (١) ترجمة (٢) رسم أى عزف القطعة الأولى من القطعة الثانيـة (٣) كوبرى أن عرف قطعة توصل من النغمـة التى تنتهى بها إلى الثانية للغنى (٤) استقرار أى عزف قطعة توصل من النعمة التى انتهى بها المغنى إلى قرار اللحن (٥) استذكار (٦) توضيح الصوت (٧) السياحة.

الببغاء المسحورة

هذه حكايات على لسان ببغاء، حالت دون خروج صاحبتها وراء عشاقها لمدة تسع وستين ليلة عند غياب زوجها. ولا يعرف مؤلف الحكايات، كما هي العادة عند الهندوس القدماء الذين كانوا يؤلفون الكتب ولا يصرحون بأسمائهم، ولكن ما لا شك فيه أن الحكايات كانت متداولة بين الناس قبل القرن الحادى عشر الميلادى — المدير.

تبتدأ الحكايات هكذا:

كانت هنالك امرأة اسمها « پرابهاوتى » (Prabhavati) وقد خرج زوجه « مدانا » (Madana) على سفر طويل، تاركا وراءه فى البيت ببغاءه التى كانت مسحورة. ولما طالت غيبته، ضجرت زوجته « پرابهاوتى » فأشارت عليها صديقة أن تبحث عن رجال تتسلى بهم إلى عودة زوجها. وقد قبلت المرأة نصحها فتزينت وهمت بالخروج، إذ خطر لها أن تقتل الببغاء، لأنها خافت ربما أخبره

البغاء زوجها بسوء سيرتهـا، ثم غلب عليها الرفق فقالت فى نفسها، إن هى إلا طير صغير، لا ينبغى لى قتلها، إلا أنها حـذرت البغاء من العاقبـة الوخيمة التى تنتظرها أن أخبرت زوجها بخروجها من البيت. فأجابتها البغاء قائلة :

« لك أن تخرجى، إن كنت ممن يحسنون الخروج من المآزق والورطات على نحو ما كانت تفعل « ياسوديوى » (Yasudevi) التى أعرفها:

« يحـكى فى قـديم العصر والزمان، أن أميرا يدعى « ناندانا » (Nandana) كان يحكم بلدة تحمل نفس الاسم. وكان لهـذا الأمير ابن اسمه « راجا سيكهارا » (Rajasekhara) الذى تزوج بسيـدة تسمى « ساسى برابها » (Sasiprabha) وتشاء الاقدار أن تلتقى هذه الزوجـة برجل ثرى يهيم بها إلى حد الوله ».

فقالت برابهاوتى :

« ومن تكون هذه يسوديوى ؟ »

فقالت البغاء :

« إن أنا أخـبرتك عنهـا وأخرتك من الخروج. فأخشى أن تفصلى رأسى الصغيرة عن جسدى ! »

فاجابت المرأة قائلة :

« لا تخافى وقصى على قصتك »

فانطلقت البغاء تقول :

ولما بلغ بالرجل وجده وغرامه الحد. تغيرت أحواله. الأمر الذى أثار قلق أمه « ياسوديوى » التى راحت تستفسر منه أسباب هذا التحول. فتذرف عيناه بالدموع. وتتكرر تنهداته، ثم يصارحها بحقيقة ما وقع له من لقائه بزوجة الأمير وغرامـه بها لدرجة أصبح لا يستطيع الصبر عنها، ثم يطلعها على تصميمـه على أن ينالها ويحظى بها مهما كلف الأمر.

وما إن وقفت الأم، ياسوديوى على حقيقة الأمر حتى مضت تعزيه وتواسيه مؤكدة له أنها ستدبر الأمر. وتشاهد ياسوديوى بعد أن صامت لمدة ترتدى أعلى ما عندها من ثياب. وتتوجه إلى مقابلة ساسى رابها. بعد أن اصطحبت معها كلبة. وتتظاهر بالحزن والأسى. وإذ تلتقى بغريمتها زوجـة الأمير تتنحى بها جانبا ثم تخاطبها قائلة :

« انظرى يا عزيزتى إلى هـذه الكلبة. لقد كانت شقيقتى فى حياة سابقة، والذى حدث أن شقيقتى هـذه كانت فى حياتها الأولى تتبرم بالرجال، وتعافهم ولا تتردد فى كبح شعورهم ووضعهم عند حد. الأمر الذى انتهى بها إلى دفع الثمن غاليا. إذ آلت فى حياتها الحاضرة إلى هذا المصير التعس. أما أنا فلم أتردد فى التجاوب مع ما كان من عشاق يغدقون على من آيات الحب والغرام. وها أنت كذلك ترتابين فى أمر الرجال وتعاملين على صدهم وإبعادهم ».

وإذ تصغى ساسيرابها إلى هذه الموعظة، تنفعل كثيرا، وتتأثر بها إلى أبعد حد. وما تلبث أن تلقى بنفسها على ياسوديوى متوسلة متضرعة تطلب مساعدتها والأخذ بيدها للخروج من هذا المازق الذى يهددها لأتعس المصير.

وهنا تسارع ياسوديوى فى الحال إلى تقديمها إلى نجلها.

وأما راجا سيكهارا، زوج ساسى برابها، فقـد طاوعته نفسه أن يتلقى العطايا والهدايا من الجواهر والذهب ثمنا لاطلاق سراحها والتخلى عنها لابن ياسوديوى، معتقدا أن الحظ السعيد قد واتاه!

وتخاطب الببغاء المسحورة صديقتها قائلة :

« وعلى هـذا النحو، يا عزيزتى، تمكنت ياسوديوى بكل ما آتاها الله من حـذق ومهارة، أن تخدع الأمير وتنتزع منـه زوجته، فحققت بذلك مأربها

وأغراضها. فان كنت تأنسين فى نفسك يا عزيزتى، مثل هـذا الدهاء وسعة الحيلة، فامضى فى بحثك عن عشيقك المنشود، وإلا فاقبعى فى عقر دارك، واذهبى إلى مخدعك فتستريحين وتريحين وإلا تصبحى أضحوكة للغير».

الملكة والسمكة الضاحكة

ويروى أنه كان هناك بلدة تعرف ببلدة أجايينى، ولى عليها ملك يدعى فيكراما، تزوج من سيدة تدعى كامالينا. وكانت كامالينا هذه تنحدر من عائلة كريمة، وكانت محببة إلى قلب المليك.

وحدث ذات يوم أن الملك دعاها إلى العشاء، وقدم لها طبقا من السمك المشوى. وما إن ألقت الملكة نظرها على السمك حتى أعرضت عنه قائلة:

« سيدى إنى لا أطيق رؤية هؤلاء الرجال ولا أتحمل حتى مسهم».

وفجأة تقهقة السمكات بأعلى صوتها، فتسمع قهقهتها فى جميع أرجاء المدينة. ويحتار الملك فى تعليل هذا الأمر ويستدعى بعض المنجمين ممن لهم دراية بلغة السمك، ويحاول أن ينتزع منهم تعليلا لقهقهـة السمك وضحكه. وإذا يعجز هؤلاء عن حل هذا اللغز، يضطر الملك إلى استدعاء كبير كهنة البراهمة، ويهدده وجميع الكهنة بالابعاد والنفى إذا لم يوفق إلى تعليل السبب الذى حمل السمك على الضحك والقهقهة لمجرد استماعه للعبارات التى قالت بها الملكة!

ويضطرب رئيس الكهنة لهـذا الأمر ويجزم أنه لا محالة له ولزملائه أن يتعرضوا للتشريد والابعاد، لأنهم لن يتوصلوا إلى حل لهذه الرموز الغامضة، وتلاحظ ابنة الكاهن ما يعانيه والدها من آلام مبرحة، فتحاول بدورها أن تنتزع منه سر كآبته وحزنه فتخاطبه قائلة:

« تشجع يا أبت! فأمثالك من العقلاء يجب أن يصمدوا للشدائد، وتذكر

دائما القول المأثور:

«إن الرجل الذى يحتفظ بتوازنه فى الشقاء والنعيم على السواء، والذى لا يمشى على الأرض مرحا لثروة نزلت عليه. أو الذى لا يتلاشى ولا ينهار لنكبة ألمت به. والذى يصبر على الشدائد. فان مثل هذا الرجل ما خلق إلا لحماية البشرية وصيانتها. وهو أسعد ما يكون بالدرة فى جبين هذا العالم.»

وما إن ىنتهى الابنة من هذا الشرح حتى يبادر والدها إلى إطلاعها على كل ما حدث له مع الملك وما توعد به من نفى وإبعاد. ويتطلع الكاهن إلى ابنته قائلا:

«ليس فى هذا العالم من صديق واحد يستطيع الانسان أن يعتمد عليه، فان صح هذا، ولا شك أنه صحيح. فكيف يتسنى للمرء أن يثق بملك اشتهر بالغدر والخيانة. من ذا الذى يزعم أن الغراب يعرف معنى للنظافة. أو المقامر للصدق والأمانة، أو الأفعى للنعومة. أو المرءة للقناعة فى الحب. أو الخصى للحيوية والقوة، أو السكير للاستقامة. أو الملك للصداقة. وعلاوة على كل هذا متى كتب للمرء أن يضع اعتماده وثقته بمياه الأنهار الغادرة، أو الوحوش الضارية، أو الرجال المسلحة، أو النساء والمرد. أما الملوك فما أشبههم بالجنود، لقد اشتهروا بالقسوة والوحشية، وهم كالأفاعى الزاحفة لتنفث سمومها، إنهم يرسمون على وجوههم ابتسامات قاتلة. وقد ينعمون ويغدقون فى الأنعام إلا أن هذه تحمل فى طياتها الشر المتطاير. ومن عادة الفيلة أن تودى بالانسان قتيلا برفسة واحدة، كما أن الأفعى تفتك بالمرء بفحيحها. لقد خدمت الملك طيلة هذه السنين بكل صدق وأمانة وإخلاص، ورغما عن كل هذا لقد ناصبنى العداء، وها هو على أهبة العمل لترحيلى وإبعادى أنا وبقية الكهنة، أو لم تسمعى يا ابنتى بذلك المثل القائل:

«قد يضحى المرء ببعض ما عنده دفاعا عن قريته، وقد يضحى بقريته فى سبيل وطنه، أما فى سبيل إنقاذ حياته فهو على استعداد أن يضحى بالعالم أجمع»

وتتطلع الابنة إلى أبيها قائلة:

«حقا، حقا، ولكن لا تنس يا أبت، أن من يتعرض إلى سخط المليك ونقمته، يطرد بالتالى من حظيرته، يفقد كل كرامة واحترام، أو غابت عن بالك يا أبتاه تلك الحكمة القائلة:

«قد يكون المرء على خلق عظيم، أو قد ينحدر من أصل وضيع، وإذا ما كان فى خدمة أى ملك من الملوك، فلن يجديه ذلك نفعا، ذلك أن من عادة الملوك أن يستخدموا أول شخص يعثرون عليه، لايهمهم أكان هذا الشخص جاهلا أم عالما، شريفا أم مطعونا فى خلقه. فالملوك كالأفاعى والزحافات يتلقفون ويلتهمون أقرب الأشياء إليهم. أضف إلى كل هذا أن امرأ ما قد يتحلى بأسمى الصفات، فقد يكون عالما نشيطا ماهرا بارعا، وقد يكون طموحا وعلى دراية تامة بواجباته. لكن ما عسى كل هذا يجديه إذا لم يحظ برضاء الملك والتقرب إليه. وقد ينحدر المرء من أرومة نبيلة، وقد يكون ذا كفاءة ومقدرة فاذا لم يعمل على احترام الأمير، ويؤدى واجبه نحوه فالأجدر به أن يمضى بقية حياته متسولا أو ينزوى ليحيا حياة الناسك المتصوف. إن المرء الذى يقع فريسة للامراض والتماسيح أو الملوك، وكذلك الأبله الذى لا يحسن التملص من المآزق والصعوبات، لن يقوى على الاحتفاظ بمقامه واحترامه فى هذا الكون.

«أو لم تع يا أبتاه، معنى تلك العظة القائلة:

«إن العقلاء من ذوى الدراية لا يخشون بأس الملوك وسطوتهم، فالملوك بالنسبة إليهم ليسوا بالشىء الذى يذكر. إن أمثال هؤلاء يستطيعون بما حباهم الله من قوة أن يروضوا الأسود، والفيلة، والأفاعى، ويخضعوها لأمرهم، على أن هؤلاء

الملوك فى نفس الوقت يعتمدون على عطاء الملوك وإنعامهم، وبذا يتوصلون إلى الشهرة والمجد.

«أولا تدرى أن شجرة الصندل ذات الرائحة الزكية لا تنمو وتترعرع إلا فى أعالى جبال الملايا.

«فالملوك هى التى تهب الألقاب والرتب، وتهدى الخيول والفيلة إلى أولئك الذين يروقون فى أعينهم، وبما أنك يا أبتاه موضع ثقة المليك وحبه وتقديره فلا تدع اليأس يتسرب إلى نفسك. فمن واجب المستشار أن يقوم من حين إلى آخر بتبديد الشكوك التى تقض من مضاجع المليك فتشجع يا أبتاه واستبشر. فأتولى بنفسى إماطة اللثام عن السر والسبب الذى حدا بالسمك أن يسخر من الملكة ويقهقه لأقوالها».

ويغتبط الكاهن ويعمر قلبه الفرح لتبرع ابنته للعمل على حل هـذا اللغز. وسرعان ما يتوجه لمقابلة الملك ويطلعه على ما فاهت به ابنته. ويسر الملك بهذا النبأ ويستدعى ابنة الكاهن فى الحال. وإذ تدخل على الملك وتؤدى له مراسيم التحية. تخاطبه قائلة:

«أتوسل إليك يا مولاى ألا تسىء إلى كهنة البراهمة، فالخطأ ليس بخطئهم. وتكرم على يا مولاى، بوصف نوع الضحك الذى خرج من أفواه السمك. إنى يا مولاى، لا أخرج عن كونى امرأة، ومن دواعى استغرابى أنك لا تخجل من تكليفى بكشف معالم هذا السر».

ثم استطردت قائلة:

«وقد يكون الملك شريرا، إلا أنه رغم كل هذا يتميز عن الآخرين، وأنت يا مولاى بقدر ما أستطيع استنتاجه تتمتع بسلطة سماوية، فلقد روى أن القوة

بعث من « اندرا » (Indra) وأن الجرأة تنبعث من النار (Agani)، وأن
غضب فمصدره « ياما » (Yama)، و « كوير » (Kuvera) هي مصدر الثروة.
ما الملك فينحدر من « كا » (Ka) و « ويشنو » (Vishnu) مجتمعين ».

« واسمح لى يا مولاى، أن أقول أن الأجدر بك أن توجه اللوم إلى نفسك،
ن من واجبك أن تتولى بنفسك مهمة إزالة هذه الشكوك والمتاعب.

« وأما إذا شق عليك أن تجد بنفسك حلا لسؤالك فابعث وراى ثانية. وعلى
كل فليس فى وسعك أن تشك بوفاء الملكة وإخلاصها، وهى كما تعلم لا تغادر
عمرها البتة ».

وإذ تختتم الفتاة ملاحظاتها تغادر القصر بعد أن تركت الملك وحاشيته فى
حيرة من أقوالها التى لم يعوا منها شيئا!

وياوى الملك بعد ذلك إلى فراشه ليعانى آلام الكرى والأرق ويفكر مليا
فى أقوال الفتاة عله يقف على كنهها، فلا يجد إلى ذلك سبيلا. فيمضى آناء
الليل أرقا لا تغمض له جفن، وكيف لا، وقد جاء فى بعض الأقوال المأثورة ما يلى:

« كيف يتسنى للمرء أن يتذوق طعم النوم، وهو فريسة للأوهام والأفكار
وضحية لغدر زوجه الخائنة، أو موضع عداوة الكثيرين »

ويمضى الملك ليلة تعسة ثم ما يلبث فى الصباح أن يستدعى الفتاة ويلح
عليها من جديد أن تفتيه فى أمر ضحك السمك، فترد عليه قائلة:

« الأجدر بك يا مولاى ألا تلحف بالسؤال وإلا قد تندم، كما حدث لزوجة
ذلك التاجر عند ما ألحت على معرفة مصدر الفطائر التى يأتى بها زوجها ».

ويحاول الملك أن يستفسر منها عن قضية الفطائر هذه فتتردد قليلا ثم تروى
له القصة التالية:

«تحكى فى قديم الزمن أن تاجرا يدعى «سونوماتا» (Sunomata) كان يقطن بلدة تعرف ببلدة «جايانتى» (Javanti). وكان صاحبنا هذا قد لازمه الحظ التعس وأضاع ماله وجميع ما يملك. الأمر الذى حمل عائلته أن تنبذه وتتخلى عنه. وهذه طبيعة البشر لأن من لا مال له عدم الأصدقاء والأحباء، فلقد صدق المثل المأثور إذ قال:

«إن أصحاب الثروة والمال ينعمون عادة بالأصدقاء والخلان، وإن من توفرت له أسباب الثروة توفرت له أيضا أسباب الحكمة والرشاد. وهو فوق ذلك كله يحتل مكانة بارزة».

«وقد جاء فى ملحمة المهابهاراتا ما نصه:

«هناك خمس شروط تتوفر فى أى شخص يعيش ميتا فى هذا العالم، وهذه هى الفقر، والمرض، والبلاهة، والتشرد، والنفى، والعبودية. وكذلك فان الغنى يصبح قريبا مهما بعد نسبه، أما إذا افتقر، استنكره بنوجلدته وأهل عشيرته».

وإذ تستانف الفتاة قصتها تمضى قائلة:

«وكان من عادة صاحبنا التاجر أن يتوجه إلى الأحراش يجمع قليلا من أخشاب يبيعها فى سوق البلدة. وحدث ذات يوم، بعد أن عجز من الحصول على ما يسد به حاجته من هذه الأخشاب أن شاهد تمثالا لاله جنيسا (Ganesa) فرأى فيه ضالته المنشودة»

ثم أضافت الفتاة قائلة:

«لقد كان من الطبيعى لتاجر الخشب أن يستغل أخشاب التمثال، فقد قال المثل السائر:

«إن الجائع لايتورع عن الاقدام على أى شىء، وإن الرجل الذى

دهمته الخطوب لا ضمير له، وإن أمثال هولاء لعلى استعداد لاقتراف أى جرم من الجرائم، وإن ما يبدو للرجل المحترم مشين معيب يتراآى لهم طبيعى معقول».

ثم تستأنف الفتاة القصة قائلة:

«ويستقر رأى صاحبنا التاجر نهائيا على كسر التمثال للانتفاع من خشبه، وإذ يهم بتنفيذ غايته يصيح به الاله «جنيسا» قائلا:

«أتركتنى وشأنى، فسأقدم لك يوميا خمسا من الفطائر المصنوعة من السكر والزبدة، وفى وسعك أن تأتى كل يوم لتتلقى نصيبك منها، شريطة أن لا تبوح لأحد ما بهذا السر. وإذا حدث وبحت به فأنا فى حل من وعدى».

«ويقبل التاجر بهذا العرض عن رضى وطيبة خاطره. ثم يشرع الاله جنيسا (Genesa) بتقديم الفطائر له. فيأخذها ويقفل عائدا إلى بيته، حيث يقدمها بدوره إلى زوجته، فتأخذها وتهدى ما يبقى منها إلى إحدى صديقاتها».

«وحدث ذات يوم أن الصديقة استفسرت من الزوجة عن المصدر الذى تأتى منه هذه الفطائر، ولما تعجز «بادمينى» (Padmini) عن الجواب، تهددها صديقتها بقطع حبل الصداقة إذا هى لم تعمل من ناحيتها على كشف النقاب عن مصدر هذه الفطائر».

ثم تعقب الفتاة على هذا بقولها أن من الطبيعى لخليلة بادمينى أن تتساءل عن مصدر هذه الفطائر وأن تطالب بمعرفته. ثم تستشهد بالمثل التالى:

«إن منح الهدايا، وتقبلها، وتبادل الأسرار، والأكل معا، كل هذه تعتبر برهانا على قيام صداقة بين شخص وآخر».

«وتعود بادمينى إلى خليلتها لتقول لها إن زوجها، وإن كان يعلم السر فهو

لن يبوح به مهما ألحفت عليه. وترد عليها الصديقة بقولها:

«إذا كان هذا كل ما تستطيعين القيام به فأجدر بك أن تفنى شبابك وحيدة لا صديقة لك ولا وفية!».

«وتضطر بادميني إزاء هذا التهديد أن تتابع جهودها لحمل زوجها على أن يطلعها على حقيقة مصدر هذه الفطائر، ويرد عليها الزوج قائلا إنها من عند الآلهة ثم ما يلبث أن يردد المثل التالى.

«إن الحظ إذا واتى الانسان يأتى عادة بالمعجزات ويحقق له ما يريد، مهما كان هذا مستعصيا. ومهما كان بعيد المنال سيان أكان فى أقصى المعمورة أم فى أعماق البحار»

«وإذ ينتهى الزوج من أقواله. يروى لزوجته القصة التالية.

«يحكى أن فارا كان يحفر جحرا لنفسه فاذا به يقع فى براثن أفعى، ولما كانت الأفعى تتضور جوعا لقلة ما تأكلـه بادرت إلى التهام هـذه الوجبة ثم مضت فى سبيلها، شاكرة حظها السعيد.

«ويعقب الزوج على هـذه القصة فيؤكد لزوجتـه أن الحظ هو سر سعادة الانسان.

وتستطرد الفتاة قصتها قائلة:

«ولما رأت بادمينى أن زوجها لن يطلعها عـلى السر امتنعت عن الطعام، الأمر الذى أزعج زوجها، فالتفت إليها محذرا أنه إذا أطلعها على المصدر الذى تأتى منه الفطائر فانها ستندم.

«ولكن بادمينى لم تعبأ بهـذا التهديد وأصرت على عنادها مما اضطر زوجها فى النهاية للنزول على إرادتها وإطلاعها على سر الفطائر»

ثم ما تلبث الفتاة أن تعيد على مسامع المليك المثل التالى.

« إن الآلهة عندما تسعى للقضاء على أمرأ ما فان أول ما تبادر إليه هو تجريده من عقله وحسه بحيث لا يستطيع تميز الخبيث من الطيب »

ثم تستأنف الفتاه قصتها قائلة:

« والذى حدث يا مولاى، إن الزوجة الساذجة تغلبت فى النهاية على زوجها، وانتزعت السر منه، ثم تخاطب الملك قائلة:

« ألم يبلغك ما كان من أمر « راما » الذى أبى أن يعرف الوعل الذهبى. ومن « ناهوث » الذى حمل البراهمة على جر عربته، وكيف أن أرجونا اختطف البقرة وعجلها وحتى أن « يودهيستيرا » (Yudhisthira) قامر بزوجته وأشقائه الأربعة وما أكثر ما يتعرض المرء فى الأزمات إلى حماقة زوجته. ويصبح فريسة لها! »

ثم مضت الفتاة تقول:

ونجحت بادمينى فى انتزاع السر من زوجها، وتوجهت فى الحال إلى خليلتها، فأطلعتها عليه. وما كان من الأخيرة إلا أن أرسلت زوجها إلى الإله جنيسا، الذى قدم له حصة أسرة بادمينى من الفطائر، وإذ تتوجه بادمينى وزوجها، فى اليوم التالى لتتسلم نصيبها من الفطائر يرد عليهما الاله جنيسا قائلا، إنه لا فائدة من تردهما عليه بعد الآن لأنهما أخلا بالاتفاق مما اضطره إلى إعطاء الفطائر لغيرهما. وهنا يبادر الزوج إلى تعنيف بادمينى، ويعودان إلى منزلهما بخفى حنين، ثم يندمان حيث لا ينفع الندم.

ثم توجه الفتاة أقوالها إلى المليك قائلة:

« وعلى هذا النحو والمنوال لجدير بك يا مولاى، أن تعفينى من مهمة حل مشاكلك الغامضة، وإلا ندمت حيث لا ينفع الندم، والأحرى بك أن تبادر

إلى حلها بنفسك».

وإذ تنتهى الفتاة من أقوالها تثب واقفة. ثم تقفل عائدة إلى منزلها.

أما الملك فيمضى ليلته أرقا ساهدا. محاولا أن يجد تعليلا أو تفسيرا لضحك السمك وتخزه بالملكة. وإذ يهض فى اليوم التالى فراشه يستدعى الفتاة ويطلب إليها أن تبادر فى الحال إلى تفسير اللغز الذى حيره. فترد عليه ناصحة له أن لا يحاول إرهاق الآنسة بالتوسلات. وإلا ندم كما وقع للبرهمى الذى هام بـ «ستاجيكا» (Satagika) وعشقها.

وهنا تبادر الفتاة إلى سرد القصة التالية على مسامع الملك. فتمضى قائلة:

«يحكى أنه كان هناك بلدة يقوم على أمرها ملك يدعى «ويرابهيا» (Virabhya)، ويقال إن برهميا يدعى «كاشيوا» (Kashiva) قد اتخذ من هذه المدينة موطنا له. وحدث ذات يوم أن تراآى له أن يعمل لزيادة الثروة التى خلفها له والده عاملا بالمثل القائل:

«إن المجد الذى يبنيه المرء بفضل جهوده هو أفضل الأمجاد وأصدقها، ويليه فى الرتبة المجد الذى يرثه المرء عن والده، أما المجد الذى يؤول إلى المرء عن مصدر بعيد فهو أسوأ الأمجاد ولا يغنى المرء شيئا».

ومضت الفتاة تقول:

«ومضى البرهمى مفتشا عن الجاه والمال. فجاب الأمصار والبلدان وأماكن الحج والزيارة إلى أن ساقته طريقه إلى مكان ناء منعزل، أقام فيه ناسك متصوف قد تربع على رجليه واسترسل فى لجة من التفكير والتأمل. ويتقدم البرهمى إلى هـــذا المتصوف. ثم يبادر إلى تحيته. ولما انقطع على الناسك حبل تفكيره وتأمله، التفت إلى البرهمى متسائلا:

«من ذا الذى يستحق فى هذا العالم المعاملة الكريمة، والحماية؟ ومن ذا الذى يستحق منا أن نهبه ما ليس فى وسعه ومقدوره أن يحصل عليه؟ فما كان من البرهمى إلا أن أجاب على التو، أنه هو يستحق كل هذا لأنه ينشد المال والثروة».

ثم تستانف الفتاة قصتها تمضى قائلة:

«فيدهش الناسك ويعلوه الاستغراب لتلفظ البرهمى بمثل هذه العبارات، خصوصا وإنه كان على علم أنه ينتمى إلى طبقة البراهمة فيجيبه بدوره:

«ومن نكد الدنيا على المرء رغم استعداده للبذل والعطاء أن يرى على قوم ذل. وغنى قوم افتقر، ثم أخذ يستجدى أشياء هو ليس بحاجة إليها. ومن عادة النفس الكريمة أن تبادر إلى غوث الآخرين حتى ولو كانت نفسها تعانى الأمرين. وقد يحدث لشجرة الصندل ذات الرائحة الزكية أن تتعرض للتلف إلا أنها تحتفظ دائما أبدا بعبيرها وفوحانها».

ثم يمنح الناسك البرهمى ساعة سحرية قائلا له:

«كلما حركت هذه الساعة، تعطيك خمسمائة قطعة من الذهب، شريطة أن لا تهديها إلى حدما أو تطلع أحدا على مصدر ثروتك».

وتستانف الفتاة قصتها فتمضى قائلة:

«ويبادر البرهمى إلى شكر الناسك على حسن صنيعه، ثم يغادره ومعه الساعة. وفى اليوم التالى يسارع البرهمى إلى ساعته فيهزها. وإذا بها تنقده فى الحال خمسمائة قطعة من الذهب فيسر كثيرا، ثم يتابع سفره إلى أن يبلغ بلدة تدعى «راتنا فاتى» (Ratnafati). وهنا يقع فريسة لحب فتاة تدعى، ستاجيكا وتحتار الفتاة فى مصدر الذهب الذى يقتنيه خليلها، فتسر بالأمر إلى والدتها التى أخذت تتساءل بدورها عن ماهية العمل الذى يمارسه البرهمى، وتحث ابنتها على تحرى

الأمر. وتقوم الابنة بهذه المهمة. وتوفق بعد عناء إلى انتزاع السر من البرهمى ثم ما تلبث أن تغفله أثناء نومه وتسرق الساعة منه. وتقوم هى وأمها بطرده من البيت. بعد أن فقد ثروته وأضاع ماله».

ثم مضت الفتاة تقص على مسامع الملك الحكمة التالية:

«وليس على الانسان أسهل من أن يخدع من يثقون به، وقد لا يحتاج المرء إلى كبير شجاعة لقتل شخص آخر يغط فى نومه».

ثم تقول الفتاة:

«ويهب البرهمى من نومه، وإذ لا يعثر على ساعته السحرية، يتقدم بشكوى إلى قاضى المدينة مؤكدا وقوع السرقة. وتساق الأم وابنتها إلى المحاكمة بتهمة السرقة. وإذ هى تدافع عن نفسها وابنتها تقول أن البرهمى الحقير قد تظاهر بالحب لابنتها وأنه اختلق تهمة السرقة ليستر نفسه. وإن تهمة كهذه لا يمكن أن يصدقها العقل، وهى مجرد تلفيق، ثم تمضى شارحة أن البرهمى قصد بيتها، ولما علم خدمها بأنه غريب عن البلد طردوه على التو. أما الساعة فقد أعيدت إلى الناسك الذى قدمها إليه».

ثم قالت الفتاة «إن القاضى أصدر حكمه ضد البرهمى الذى أضاع ساعته وخليلته».

وهنا التفتت الفتاة إلى الملك قائلة:

«وقد تتعرض جلالتك إلى نفس المصير إذا أمعنت فى حب الاستطلاع!»

وإذ تنتهى الفتاة من سرد القصة تغادر القصر عائدة إلى بيتها.

ويخفق الملك مرة أخرى فى حل طلاسم ضحك السمك على الملكة وسخره منها، فيبعث من جديد وراء الفتاة التى لا تتردد بتأنيبه قائلة أنه لا يليق بملك

مثله أن يلح ويسرف فى السؤال، سواء أكانت أغراضه سامية نبيلة، أم عكس ذلك، ثم تسترسل قائلة: .

« إن الملوك بالنسبة للرعايا، كالأعضاء والاطراف بالنسبة للجسم » واختتمت بانذار الملك أنها إذا باحت له بالسر، فان مصيره سيكون مصير ذلك التاجر الذى إضاع بيتـه وما ملكت يداه. وإذ يحاول الملك الاستفسار عن أمر هذا التاجر تروى الفتاة عليه القصة التالية:

« يحكى أن اميرا يدعى « ويكراما » (Vicrama) كان يقطن بلدة تعرف ببلدة « تريبورا » (Tripura) وعاش فى هذا البلد أيضا تاجر، تزوج من امرأة عابثة لعوب، إسمها « صبحاجا » (Sabhaja)، وحدث ذات يوم، أنها بينما كانت تتجول فى شوارع المدينة عابثة لاهية التقت بتاجر آخر. فتقع فى حبال غرامه فيبادلها التاجر حبا بحب وغراما بغرام، ولما تأنس منه هذا التجاوب، يستقر رأيها على الفرار معه، وسرعان ما تستدعى إحدى خليلاتها، وبعد أن تسر لها عزمها على الهرب تكلفها باشعال النار فى منزلها لتصرف اهتمام زوجها فلا يتمكن من تعقب أثرها، فتبادر الصفيـة إلى تنفيذ هذه الخطة. أما زوجها الذى كان فى ريبة من أمر عشيقها التاجر فقـد بادرإلى إقامة من يتولى حراسه منزل العاشق، بينما انصرف هو لمكافحة النيران المشتعلة فى داره على أن جهوده هذه باءت بالفشل لأن النيران أتت على آخر محتوياته،

واختتمت الفتاة قصتها قائلة:

« وعلى هذا النحو تمكنت الزوجة الغادرة من تنفيذ خطتها، بينما كان بيتها يحترق. أما زوجها فقد أضاع داره وكل ما تملك يداه ».

وهنا تخاطب الفتاة الملك قائلة إنه سيلاقى نفس المصير الذى لاقاه التاجر إذا ما أصر على انتزاع السر منها.

ثم تستأذن الفتاة المليك وتغادر القصر عائدة إلى بيتها.

ولما يعجز الملك عن ايجاد حل للغز، يبادر فى اليوم التالى إلى استدعاء الفتاة من جديد، علها تجد تفسيرا لهذا اللغز، فيذكرها بالوعد الذى قطعته على نفسها بالعمل على كشف معالم هذا السر. فتنصحه بأن يستدعى أحد العقلاء من مستشاريه للقيام بهذه المهمة. وترشح شخصا يدعى «بوشباكارا» (Pushpakara)، ويسر الملك لهذا الترشيح لما عرف عن بوشباكارا هذا من دهاء وحكمة. ولما اشتهر به من ابتسامة عذبة تشع عليه سناء كلما ارتسمت على شفتيه، وإذ يمثل بوشباكارا أمام المليك فاذا بابتسامته المألوفة ونورانيته قد فارقته، وهنا تخاطب الفتاة الملك مستفسرة منه عن الأسباب التى حملت بوشباكارا على عدم الابتسام وإذ يعجز الملك عن تعطيل هذه البادرة، تنصحه الفتاة أن يسأل بوشباكارا نفسه عن السبب، ويبادر الملك إلى استدعاء بوشباكارا. وبعد أن يغدق عليه العطاء يسأله عن السبب الذى حدا به على عدم الابتسام فى حين أن السمك لم يتردد فى ابتساماته وسخريته، ويرد هذا الداهية على مليكه قائلا :

«الأجدر بالانسان أن يتحاشى التعرض لأعراض الناس، وليس بخاف عليك يا سيدى إن الخسارة فى الأموال، وأحزان النفس، وأسرار العائلات والتزوير، والاحتقار هذه هى الأمور التى لا ينبغى الاشهار بها» ثم يمضى قائلا: إنه لما كانت إرادة الملوك هى من مشيئة الله وأقواله نافذة، ولما كان الملك الصالح العامل يبز الشمس وقارا وجلالا، فامتثل إلى أمر مولاى وأجيبه على سؤاله، فالواقع إن الذى حملنى على عدم الابتسام هو ما اكتشفته من خيانة زوجتى التى وقعت فى غرام شخص آخر. فكيف يتسنى لزوج مخدوع أن يبتسم والألم يحز فى نفسه!»

وهنا يبادر الملك فى التوالى عرض مشكلته على هذا الحكيم، ويكلفه تعليل

ضحك السمك على الملكة وسخره منها، فما كان منه إلا أن صمت برهة ثم أخذ يحدق إلى الملكة التى خارت قواها فى الحال، ووقعت مغشيا عليها.

وهنا يتفجر الحكيم بالضحك والقهقهة، وتثور ثائرة المالك، وإذا يستفسر من جديد للاسباب الذى حملت الحكيم على الضحك فيجيبه هذا على التو قائلا:

« إن الملكة يا سيدى لم يغش عليها تلك الليلة لأن نظراتها كانت منصبة على الشبان الذين كانوا فى صحبتها. أما عندما وقع نظرها علىّ فقد خارت قواها أو أنها تظاهرت بذلك ».

ويحتد الملك ويتوعد الحكيم ويستفسره إذا كان واثقا من التهمة التى وجهها إلى الملكة، ولا يتردد الحكيم أن يؤكد له أنه شاهد عبثها بنفسه، وأنه ان كان فى شك من ذلك فانه على استعداد لاثبات الأمر. على أن الملك وفر عليه هذا العناء وتولى بنفسه التحقيق بهذا الأمر، وسرعان ما وقف على الحقيقة ووجد تعليلا مرضيا لتندر السمك على زوجته وسخره منها. ويسارع الملك إلى تكريم الفتاة والداهية « بوشباكارا » (Pushpakara) أما الملكة وخليلها فيوضعان فى كيس ويطرح بجثتهما إلى عرض النهر.

الولد الموعود

وفى اليوم التالى توجهت صديقات « پربهاوتى » (Prabhavati) إليها وأخذن يغرينها قائلات لها:

« أمضى إلى حيث مرهم الصندل الذى يزيل العرق المتصبب، امضى إلى حيث أناشيد الحب والهوى، إلى حيث الخلاخل لا تحدث صوتا، وحيث كلما حولك يبعث كوامن الحب، وحيث أحكام الحب البشرى تسيطر على كل شىء فأى معنى للصحة، واللذة، والسلام، والقوة، والسيادة إذا انعدم الحب، فلقد

قال المثل المأثور.

«إن النساء ذوات العيون الحالمة الناعسة يقفن أمام المرآة تيها وإعجابا بجمالهن ورشاقتهن ليتلهفن شوقا إلى مقابلة عشاقهن. والنساء يعتمدن على فتنتهن وسحرهن فى الارتشاف من معين الحب الفياض».

وهنا تنبرى لهن الببغاء الساحرة فى محاولة منها لانقاذ صديقتها پربهاوتى، وتحصينها ضد كل هذه الغواية والاغراء فتخاطبهن قائلة:

«ليس السهل على المرأة من استهواء الرجل واستمالته إليها. والرجال من عادتهم أن يعمدوا إلى حلو الكلام وعذبه. أما الذين تمج تنبط أفواههم عن الكلام القبيح، مهما كان هذا الكلام صادقا. فهم ينفرون من حولهم ولا يجدون من يعيرهم أذنا صاغية».

وأضافت الببغاء قائلة:

«وعلام كل هذا الاطناب. فأنت يا پربهاوتى وصديقاتك قد آليتن على أنفسكن المضى فى طريق الشر والضلال». وإذ تنتهى الببغاء من فلسفتها تبادر إلى عظتهن برد القصة التالية.

«يحكى أن هناك بلدة تدعى «بادماواتى» (Padmavati) كانت أشعة الشمس تشرق على شوارعها المعبدة بالذهب فتحدث لمعانا وبريقا يحاكى بريق ولمعان الجوهر. وكانت المدينة بفضل هذا الاشراق تتحول إلى درة كالتى تحلى جبين ملك الثعابين»

ثم مضت تقول:

«وعندما تبدأ حرارة الشمس تلهب أجسام البشر وتغدو أيامهم طويلة لا تطاق ولا تحتمل عندما يتحول النسيم إلى لهب، وتجف الأشياء وتذوى بفعل القيظ

القتال، فني استعمال مرهم شجرة الصندل وارتداد الملابس الخفيفة وتناول المرطبات ما ينعش الانسان ويخفف عنه ويساعده على التغلب على القيظ. وفي وسع المرء أن يطرد القيظ ويتغلب عليه إذا ما التجأ إلى استعمال مدهون الصندل، واغتسل فى أمسيات تلك الليالى التى يعتمد فى تلطيف حرارتها على المراوح».

وإذ تستأنف البيغاء قصتها تمضى قائلة:

«وكان يقيم فى هذا البلد تاجر يدعى شاندانا، وكان من عادته وزوجته برهاوانى أن يمضيان ليالى الصيف فوق سطح منزلهما. وذلك طبيعى لأن الشمس المتكأة على أشعتها ما تلبث نفسها أن تغيب وتتوارى وراء المحيط. وماأصدق المثل القائل:

«من العبث أن يحاول المرء أن يبلغ ما يصبو إليه من مجد إذا كانت الأقدار معاكسة غير مواتية». فالمعروف أن الأشعة المتعددة التى تتكئ عليها الشمس أن لا تستطيع نفسها تحول بين الشمس وأفولها إذا قدر لها أن تغيب وتأفل».

ثم تمضى البيغاء قائلة:

«وإذ تهبط الشمس من أعاليها يفارقها وهجها، وتتحول أشعتها إلى لون المرجان. وإذ هى تتوارى عن العين، يطلع البدر وتتلألأ النجوم، وترسل أشعتها الفضية طاردة أمامها دياجير الظلام. وإذ يبزغ القمر يغدو كالشعلة المستنيرة التى تبدد سحب الكآبة والغم. وما إن يستوى على عرشه حتى يسلط أشعته وأنواره فيضىء كل ما حوله».

ثم مضت البيغاء تسرد قصتها قائلة:

«على هذه الحال، كانت الليالى والأيام التى أمضاها شاندنا وزوجته معاً، وكان للزوجين ابن يدعى راما (Rama) يتلقى على والده دروسا فى أسرار

الحكمة الالهية .

«وتبادر زوجة شاندانا ذات يوم إلى اطلاعه على ما يحز فى نفسها من ألم لأنها لم ترزق إلا غلاما واحدا، ويحاول الزوج تهدئة خواطرها والتخفيف عنها موكدا لها انها أحسن حال وأقر بال مما لو رزقت عـــددا من الغلمان، ثم يبين لها كيف أن الله قد حبا هذا الغلام بالخصائل الحسنة من لطف، ووداعة، وحذق وتكتم، وتقوى، وإنكار للذات، ثم مضى متسائلا ترى ما الفائدة فى الاكثار من النسل وهم يثقلون الآباء بالمسؤليات ويبعثون فى نفوسهم أحيانا الحزن والأسى. وطوبى للآباء الذين يقتنعون بغلام واحد وسيم الطلعة نبيل الخلق.

«على أن مثل هذا المنطق لم يكن ليقنع پربهاوتى التى آثرت أن تتدبر أمورها بنفسها، وها هى تتوجه إلى دوترامايا خليلتها وتعدها بالعطاء الجزيل إن هى ربت لها طفلا وأنشأته على مقت النساء وكرهن حتى لا يقع فريسة لمكرهن وكيدهن، ولا تتردد دوترامايا بأن تقطع على نفسها عهدا بذلك، كما توكد لپربهاوتى أنها سترد إليها ضعف ما تأخذ منها إذا وقع هـــذا الغلام فريسة لاغراء النساء ومراودتهن، وإذ تتم الصفقة بين الصديقتين، تبادر دوترامايا إلى تربية مثل هذا الغلام، ثم ترسله إلى منزل پربهاوتى حيث يتلقى كذلك دروسا فى حيل النساء ومكرهن وما اشتهرن به من ميل إلى الخداع والتضليل، والنكث بالعهود، وما يتصنعنه من عواطف كالبكاء والضحك، وما اشتهرن به من ميل إلى استعمال التافه من العبارات للتعبير عن عبثهن وآلامهن، وما يعمدن إليه عادة من الاكثار فى الأسئلة عن عدم تبصر وتفكير، وما انطبعن عليه من خصائص أخرى، كعدم المبالاة والاهمال والاتزان سواء فى السراء أو الضراء، وعدم تمييز الخبيث من الطيب والغث من السمين إلى آخر ذلك من طباع وخصائص ينفردن بها. ثم أرسل الأب، الغلام الذى تبناه إلى جزيرة «سوارنا» (Suvarna) ليجمع مالا

وثروة، وهناك يقيم الغلام زهاء العام الواحد فى صحبة امرأة تدعى كلاوتى، وحدث ذات يوم أن قال لها الغلام أن أخته أخبرته بانها. وان نبغت فى حيل النساء، ولكنها لم تستدر من عاشقا مالا إلى الآن، فهل تعرفين الطريقة التى تضمن لأختى النجاح فى مبتغاها؟ فما كان من كلاوتى إلا أن استفسرت أمها عن انجمع الوسائل التى تمكن المرأة من استمالة الرجل إليها، فتشير عليها الأم قائلة بأن تعمد إلى المداهنة والمجاملة، إذا أعيتها الوسائل الأخرى فعليها أن تحاول إقناعه بأنها متيمة فى حبه وأنها توثر الموت على الحياة إذا هو تجرأ على مفارقتها. فاذا ما نفذت هذه الخطة فان عاشقها لن يتردد بأن يتنازل لها عن كل ما يملك من مال، إلا أن الابنة تنتهر أمها وتعنفها مؤكدة لها أنها لا تبغى مالا أو جاها. وأن كل ما ترجوه هو أن تحظى لعشيقها وهنا تعيد إلى أذهان أمها المثل التالى:

« الأجدر بالمرء أن لا يسعى إلى مال أتى عن طريق معيب. وأن لا يحاول الحصول على مال عدو أهانه وحقره ».

وترد عليها الأم مبينة خطأها وعقيم تفكيرها، ومؤكدة لها أن المال والثروة هما من أسباب الحياة والموت فى هذا العالم، ثم تردد على سامعها المثل التالى:

« لقد قيل إن الهمة والنشاط يضمنان الثروة والمال للانسان لأن النشاط هو مفتاح الثروة وسر النجاح. إن الذين لم يفضحوا سرا، ولم يرتكبوا إثما ولم يقتلوا نفسا بغير حق، فقد كتب لهم المجد، وكذلك فان القدر هو مصدر قيام العدل أو انعدامه، وإليه مرد ما يلحق الانسان من عار أو شرف، والقدر هو الذى يحول ويبدل فيجعل من الثرى السخى الواهب، متسولا يعيش على صدقات وإحسان الآخرين ».

ثم تلتفت الأم إلى ابنتها قائلة:

« امضى، ونفذى نصيحتى، واتركى بقية الأمر لى فسأدبر هذا الموضوع ».

وتمتثل الابنة لأوامر أمها وتنفذها بالحرف. وتتمكن فى النهاية إغراء الغلام والتغرير به. وبعد أن تسلبه ماله وثروته، تبادر إلى طرده من المنزل وقد خوت جيوبه من كل شىء.

ويرجع الغلام إلى بلدته بخفى حنين. وما إن يطلع والده على حقيقة ما وقع له، يسارع إلى دوترامايا ويحيطها علما بما لحق نجله من أذى بفعل المكيدة التى نصبتها له إحدى فتيات جزيرة سوارنا. وتحاول دوترامايا أن تهدئ من باله مؤكدة أن مثل هذه الأمور ليست بمستهجنة لأن هذا هو حال النساء مع الرجال. ثم تذكره بالحكمة التالية:

« إن من شأن الثروة أن تثير الكبرياء فى نفوس أصحابها، كما أن من شأن الخطوب أن تفقد من تحل بهم قوة التمييز والتبصر. ومن ذا الذى حظى بصداقة الملوك واستطاع أن يفلت من الموت؟ ومن الذى لا يطاطئ الرأس ويحنيها أمام أصحاب الجاه والثروات؟ ومن ذا الذى يقع فى أيدى الأشرار ويستطيع أن ينجو بنفسه؟ »

وهنا تلتفت دوترامايا إلى الأب وتسر له عزمها على مرافقة الغلام إلى تلك الجزيرة لترد إليه ماله وثروته مرددته القول المأثور:

« لا يفل الحديد إلا الحديد، وإنما العين بالعين، والسن بالسن ». وتستقل دوترامايا إحدى السفن قاصدة جزيرة سوارنا، وقد اصطحبت معها الغلام ليرشدها إلى الذين ضللوه وغرروا به. وإذ تحل دوترامايا والغلام بالجزيرة، يلاقى صاحبنا هذا كل ترحيب وتكريم من جانب سكانها بما فيهم كالاوتى التى غررت به. وتبادر دوترامايا إلى تنفيذ خطتها لاسترداد المال المسلوب، فتتزيا فى زى امرأة منبوذة وتمضى باحثة عن غريمتها كالاوتى. وتشاء الصدف أن تلتقى بها وهى برفقة الغلام، وأن هذا عملا بأوامر دوترامايا المتفق عليها بينهما يسارع ويبالغ فى

الترحيب بها مما يثير اهتمام كالاوتى. فتستفسره هذه عمن عسى هذه السيدة أن تكون؟ فيجيبها الغلام قائلا « إنها أمه وأنه لم يحظ بمشاهدتها منذ أن فقد ثروته وماله ».

أما دوترامايا فتمضى فى تمثيل دورها بحذق ومهارة فتنكب على الغلام وتمطره بقبلاتها صائحة مولولة:

« واولداه! واولداه! لقد هبطت منزل هذه الفتاة فأوقعتك فى شراكها وبما أنك قد نجوت أخبرنى بالله عن مصير ثروتى وأموالى التى حملتها معك! »

وهنا تأخذ دوترامايا تجهش بالبكاء والعويل صائحة مقسمة إن الأموال المسلوبة هى ملكها وخاصتها. وتتخاذل كالاوتى وأمها أمام هذا المنظر المؤثر. ثم ينتحيان ودوترامايا جانبا يستفسران منها عمن عسى أن تكون. وإلى أى بلد تنتمى؟ فتجيبها على الفور بأنها زوجة الملك بربهاوتى، وأن الغلام هو نجلها، وأن الأموال التى سلبت منه هى أموالها. وإذ تصغى كالاوتى وأمها إلى أقوال دوترامايا وشرحها. ترتعد فرائصهما خوفا وجزعا، ويبادران فى الحال إلى رد الأموال المسروقة إليها، وتتردد دوترامايا فى تسلم هذه الأموال وتصر بأنها لن تتسلمها إلا بعد استئذان من ملك الجزيرة بذلك، فاذا بكالاوتى وأمها تخران على أقدامها متوسلتين متضرعين لها بأن ترأف بحالهما. وأن لا تعرضهما إلى عقاب محتم فتعطف دوترامايا عليهما وترثى لحالهما ثم توافق على أن تتسلم المال المسلوب، وتعود والغلام إلى وطنهما بعد أن شيعتهما كالاوتى وأحاطتهما بآيات الاحترام والتبجيل!

وتستمر الببغاء وتمضى على عادتها فى رد بربهاوتى صديقتها عن غيها ورد صديقاتها عن إغرائها فتروى القصة التالية:

ديوبكا وزوجها الأحمق

« يحكى أن رجلا يدعى « جراسا » وزوجته ديوبكا كانا يقيمان فى إحدى

القرى. وفى حين أن جراسا هذا اشتهر بحماقته كانت امرأته لعوب ذات سمعة سيئة. والمعروف عنها أنها أحبت أحد البراهمة وكانت تلتقى به خلسة خارج القرية، الأمر الذى أثار القيل والقال حولها وجعلها مضغة لألسنة الناس.

وحدث أن أنباء هذا الغرام وصلت إلى مسامع الزوج فعقد هذا نيته وصمم على تحرى الأمر بنفسه. ثم يسارع إلى تلك الشجرة التى اعتاد العشيقان أن يلتقيا عندها فيتسلقها ويجلس بانتظار تمثيل المسرحية.

وإذ تفد الزوجة وعشيقها ويحتلان مكانهما تحت الشجرة، يتناجيان ويطارحان الغرام على مسمع ومرآى من الزوج. وتثور ثائرة الزوج لهذا العبث السافر، ويصيح بزوجته معنفا مؤنبا متوعدا. ثم يطلب إليها أن تمكث فى مكانها إلى أن يهبط من أعلى الشجرة، وإذ تعده بذلك تدعو خليلها إلى مغادرة المكان. ويهبط الزوج إلى الأرض ثم يعنفها قائلا أنه لا مجال للانكار والتملص بعد أن عثر عليها متلبسة بالجريمة. إلا أن الزوجة الماكرة تسخر منه قائلة:

« إن كل ما رءاه هو محض خيال فى خيال، وإن الشجرة هى التى هيأت له هذه الخواطر الخاطئة لأن من خواصها أنها تمكن من يتسلقها من التثبت من وفاء واخلاص شريكها أو شريكته فى الحياة ».

وإذ تنتهى الزوجة من هذه الملاحظة، يدعوها زوجها إلى تسلق الشجرة لتتأكد من وفائه وإخلاصه، وتبادر إلى تنفيذ أوامره.

وما إن تعتلى الشجرة حتى تكيل له الشتائم والسباب متهمة إياه بالغدر والخيانة لأنه اعتاد طيلة هذه المدة على مطاردة النساء وتصيدهن!

ولما كانت هذه هى الحقيقة فلا يملك الأحمق جوابا أو ردا، ولا يرى أمامه من سبيل آخر سوى استرضاء زوجته الماكرة ومصالحتها. وإذ يسويان ما بينهما من خلاف يعودان معا إلى منزلها وكأن شيئا لم يحدث.

المرأة والنمر

وفى اليوم التالى تستأنف الببغاء الساحرة رسالتها النبيلة للعمل على إنقاذ شرف وسمعة صديقتها پربهاوتى فتنطلق حنجرتها بالقصة التالية :

« يروى أن أميرا يدعى « ديوالاكهيا » (Divalakhya) كان يقيم فى قرية تسمى « راجا سنها » (Rajasinha)، وكان لهذا الأمير زوجة اشتهرت بمناعة الخلق، وإن كانت حادة الطبع ميالة إلى التخاصم والمشاجرة. وحدث ذات يوم بعد شجار شب بينها وبين زوجها أن ارتحلت عن المنزل وتوجهت إلى مسكن والدها، وقد اصطحبت معها نجليها. وتابعت الزوجة سفرها مخترقة المدن والقرى، وإذ تبلغ إحدى الأدغال الواقعة على مقربة من الملايو، تلتقى بنمر يجوب هناك وما كاد النمر يشاهدها حتى أخذ يقترب منها محركا ذيله غضبا وحنقا، فما كان من الزوجة إلا أن أخذت تصفع طفلها على وجهه، قائلة له ما الذى يحمله على التخاصم مع أخيه حول التهام النمر، وأيهما سيتولى هذا الأمر؟ ثم تنتهره قائلة له أن يبادر الآن إلى التهام النمر! وأنه بعد أن ينتهى من هذه المهمة ستجد له نمرا آخر.

وما أن يصغى النمر إلى هذه الأقوال، لا يتردد فى الحكم على رباطة جأش غريمته، وإذ يلمس فيها الشجاعة النادرة يولى الأدبار هلعا وخوفا، وفيما هو فى جريه يلتقى بثعلب أخذ يسخر منه ويقهقه عاليا استغرابا منه لجبنه، فيرد عليه النمر ناصحا إياه أن يغادر فى أسرع وقت ممكن، وإلا فتكت به آكلة الوحوش التى حلت بالغابة. ويلتفت الثعلب الى صاحبه متسائلا عن أسباب كل هذا الوجل والخوف، سيما وان غريمتها لا تخرج عن كونها قطعة من لحم بشرى؟ فيجيب النمر واصفا له هول ما رآه وشاهده من بأسها وبطشها، على أن الثعلب لا يميل الى تصديقه ويؤثر أن يتحرى الأمر بنفسه، وإذ هو ينصح النمر أن

لا يرافقه خشية أن تتعرف عليه صاحبتنا، فيرد عليه النمر مؤكدا له المصير المظلم الذى ينتظره، سيان فى ذلك أتوجه الثعلب منفردا أم اصطحبه معه. وبعد جدال طويل يستقر رأيهما على التوجه معا فيمتطى الثعلب ظهر النمر بعد أن يشدد الى ذيله متوجها الى حيث صاحبتنا.

وإذ تشاهدهما عن بعد تضطرب المرأة لأول وهلة، ثم ما تلبث أن تتمالك أعصابها وتنهر الثعلب وتتوعد قائلة، ماذا اعتراه هذه المرة حتى يأتى بنمر واحد على غير عادته المألوفة من استقدام ثلاثة نمور دفعة واحدة، وإذ يستمع النمر لهذه الأقوال لا يقوى على الصمود من شدة الخوف، فيتحول عنها ويطلق ساقية للريح عائدا من حيث أتى. ويمضى النمر فى شوطه عابرا الأنهار والغابات والجبال، والثعلب من فوقه يقاسى الويلات. ولا يجد طريقا للخلاص، ثم لا يتمالك أن ينفجر بالضحك. وإذ يبدى النمر إستغرابه لهذا الضحك يرد الثعلب عليه شارحا أنه بعد أن نجا من الهلاك بفضل تغريره بصاحبتنا وتضليلها فلا يسعه إلا أن يضحك ويقهقه.

وهنا يتوسل الثعلب للنمر أن يحله من قيده ويساعد على الترجل حتى يبين حقيقة المكان الذى قادتهما إليه الأقدام. فما كان من النمر إلا أن توقف وسمح له بالنزول، وهنا يخر النمر ميتا لفرط ما به من تعب ويمضى الثعلب سبيله فرحا مغتبطا. ولسان حاله يقول:

«لله در الحكمة فهى أليق بالانسان من التيه والكبرياء. حقا أن من آتاه الله الحكمة احتل مكانة بين الناس وجمع مالا وثروة، وتحصن بالشرف والكرامة أما أولئك الذين حرموا ميزة الحكمة فنصيبهم من الدنيا المصائب والويلات ومن عادة العقلاء أنهم يسخرون قوة الجهلة لخدمة صالحهم على نحو ما تسخر الفيلة وغيرها من البهيمة لمصلحة الانسان».

القصة المتممة

وإذ تنتهى الببغاء من سرد قصتها ورواياتها. يعود مادانا زوج پربهاوتى من رحلته. فتستقبله پربهاوتى مرحبة مظهرة كل العطف والمودة :

وهنا تنبرى الببغاء الساحرة إلى مخاطبة الزوج العائد وتنصحه أن لا يعبأ بما تبديه پربهاوتى نحوه من ضروب المودة. لأنه لا يجدر بالرجال أن يفعلوا ذلك، وأن ما تبديه النساء عادة من ألوان الحب والكراهيـــة لا تغنى الرجل شيئا، وتحاول الببغاء أن تعزز أقوالها هـــذه فتصارح الزوج، مادانا بأن زوجته منذ رحيله عن بلده قد صادقتها وأخلصت لها الحب. على أن مادانا لا يعير أقوالها أى اهتمام، وإذ تلاحظ منه هذا التغاضى والتجاهل تنفرج شفتاها عن ابتسامة عريضة وما تلبث أن تخاطبه قائلة :

« طوبى لأولئك الذين إذا أسديت لهم النصح امتثلوا وعملوا به ».

وإذ يسأل مادانا، الببغاء عما قصدته من هذه الملاحظة، تضطرب پربهاوتى خشيــة أن تفشى الببغاء أسرارها وتفضح أمرها، وكان من الطبيعى لپربهاوتى أن توجس خيفة وتبدى قلقا وضميرها يؤنبها ويعذبها، وما أصدق المثل القائل :

« إن الأخيار من الناس يتميزون بالشجاعة والثبات، ذلك أن عنصر الطبيعة فيهم يطفو على وجدانهم، أما الأشرار فهم دائما أبدا وجلون خائفون لأن ضميرهم المعذب يشع فى نفوسهم الخوف والوجل ».

وتلتفت پربهاوتى إلى زوجها محاولة تهدئة باله بقولها. إن الببغاء العاقلة الرشيدة التى تنطق دائما بالحكمة قد برت بها أثناء غيابه. وأنها كانت لها بمثابة الزوج والابن.

وإذ تصغى الببغاء لأقوال پربهاوتى يحمر وجهها، لأنها كانت تتوقع منها تعنيفا وتأنيبا بدلا من ثناء ومديح. وهنا يتدخل الزوج سائلا پربهاوتى عما عسى أن

تكون الأقوال الحكيمة التى كانت البيغاء تواسيها وتعزيها بها أثناء غيابه فترد عليه پربهاوتى قائلة إنه وإن كان من السهل الميسور للمرء أن يصادق شخصا ينطق بالحق إلا أنه ليس من السهل عليه أن يعثر على من يعير الحق أذنا صاغية أو من يهتدى بهديه. ثم تستدل پربهاوتى على صحة أقوالها بالمثل التالى:

«إن الأقوال العذبة المعسولة تجد دائما من يصغى إليها. أما الحقائق المرة فمن شأنها أن تنفر السامعين وتجعلهم ينفضوا من حول قائلها».

وإذ تستأنس پربهاوتى حديثها. وبعد أن تؤكد لزوجها أنها منذ أن بارحها وهى دائما أبدا فى ذكراه. رغم ما وقع بينهما من افتراق. إلا أنها تعترف له أن بعض صديقاتها حاولن التغرير بها وتضليلها. غير أن البيغاء حالت بينها وبين المضى طريق السوء. فتمكنت بفضل ما سردته عليها خلال سبعين ليلة متتالية من ملح النوادر والقصص ما كبح جماحها وأحبط كل محاولة من جانبها للتردى فى هاوية الفجور والفسق. وهنا تؤكد پربهاوتى لزوجها أنها ثابت إلى رشدها وأنها من الآن فصاعدا ستكون له الزوجة الوفية المخلصة.

وإذ تنتهى پربهاوتى من أقوالها يلتفت الزوج إلى البيغاء ويطلب منها شرحا لكل هذه الرموز، وترد البيغاء عليه قائلة.

«الأجدر بالعقلاء أن يتبصروا ما يقولون، وحرى بالذين يميزون الخبيث من الطيب والغث من السمين أن يستفيدوا مما أتاهم الله من قوة تمييز. وليس بخاف عليك يا سيدى، أنى لا أقصد بكلامى الحمق من البشر، أو الذين يدمنون تعاطى الخمر، أو ذوى الأجسام المعتلة المريضة، أو الذين يعانون لوعة الحب والغرام، أو الضعفاء. أما الذين بهم مس من الجنون، أو المهملون غير المبالين بشىء، والذين عرفوا بالحياء والخجل، والذين يتضورون جوعا. فنصيبهم من الفضيلة محدود. وهناك أنواع عشرة للبشر ممن ضلوا عن الطريق القويم، وهؤلاء هم البلهاء المجانين

ثم السكيرون والمعربدون، والمهملون المقصرون، وضعفاء العقول، والشرهاء، والجبناء والمتسرعون، والمتعصبون، والشهوانيون ».

وهنا تناشد الببغاء الزوج، مادانذا أن يغفر لزوجته زلاتها وأن يصفح عنها مؤكدة له أن اللائمة لا تقع عليها، بل على صديقات السوء اللواتى التففن حولها. ثم تمضى الببغاء تروى العظات التالية:

« إن معاشرة الأشرار تفسد الصالحين من الناس، وقـد عرف عن الأمير « بشنا » (Bishna) أنه لم يـتردد فى سرقـة البقرة تحت إغراء « دوريودهانا » (Duryodhana) وتأثيره، كما أن « ويدياد هارا » (Vidyadhara) قد نجح بالتغرير بكريمة الملك. فما كان من الأخير إلا أن صفح عنها رغما عن أنها كانت ملومة ».

وإذ تنتهى الببغاء من ترديد هذه العظات تشرع فى سرد القصة التاليـة على مسامع الزوج مادانا:

« يروى أن أحد الموسيقيين المبدعين كان يقيم فى بلدة « مانوهارا » الواقعـة فى أعالى جبل الملايا، وكان متزوجا من سيدة تدعى « راتناولى » أنجب منها فتاة تدعى مادانا مانجرى، كانت على جانب عظيم من الفتنة والجمال. ولقد بلغ جمالها درجة فتنت معها كل من وقعت عينه عليها بطلا كان أم إلها، وكان من المتعذر على أبويها أن يعثر على قرين وسيم يليق بدلالها وسحرها.

« وحدث ذات يوم أن شاهدها قديس من طبقة « النارادا » (Narada) فبهر بجمالها وافتتن بها إلى درجة سلبته العقل واللب. ويشاء القدر لهذا القديس أن يثوب إلى رشده ويستعيـد كامل حواسه وعقله فما كان منه إلا أن أخـذ يصب على عشيقته اللعنات قائلا:

« أما وإن جمالك قد أثار فى نفسى هذه العاطفة الجامحة. فليحل عليك غضب

السماء ويجعلك فريسة التغرير والخداع».

«وإذ يسمع الوالد هذه اللعنات تنصب على رأس كريمته، يجثو على ركبتيه أمام القديس متوسلا متضرعا له أن يترأف بابنته ويصفح عنها. فيرد عليه القديس مؤكدا أنها لا محالة مخدوعة يوما من الأيام، وإن كانت لن تصاب بأذى. وأنها بالتالى ستوفق إلى ايجاد شريك لها فى هذه الحياة.

«وبعد أن يحدد القديس على وجه التعيين الشخص الذى ستتزوج منه، يبارح المكان إلى غير رجعة وتتحقق تنبؤات صاحبنا وتزف الابنة إلى جاندهاروا وهو الشخص الذى خصه القديس بالذكر.

«على أن زوجها سرعان ما يفارقها ويمضى فى رحلة طويلة إلى «كيلاسا» (Kailasa) وتعانى الزوجة آلاما مبرحة، ويستولى عليها الحزن. فلا تجد لنفسها عزاء على هذه البلوى فتمضى نهارها مستلقية على عمود حجرى فى صحن دارها.

«وإذ هى ذات يوم مستلقية على ظهرها على هذا النحو يشاهدها «ويديادهارا» (Vidyadhara) ويحاول أن يستميلها وينال منها مآربا، ولا تتردد المسكينة فى الاعراض عنه وعدم الاستجابة إلى مطلبه. ولكنه يعمد إلى الحيلة والدهاء فيتزيا بزى زوجها ويوهمها بأنه زوجها الحقيق. فتنخدع المسكينة وتستسلم له فى النهاية. وإذ يعود زوجها الحقيقى إليها ويلاحظ عليها كل هذا التحول، يرتاب فى سلوكها ويتسرب إليه الشك فى عفتها وطهارتها. وإذ تبدأ الغيرة تعمل عملها فى نفسه يهددها ويتوعدها، ثم يبيت النية على التخلص منها نهائيا. وتلمس المسكينة من زوجها نية الغدر فتتوجه إلى عتبات الآلهة فتصلى لها وتنشد منها العون فى هذه المحنة، وتتقبل الآلهة صلوات الزوجة وتضرعاتها فتنبرى إلى اقناع الزوج المرتاب المتشكك ببراءة زوجته، مؤكدة له أنها كانت ضحية خداع «ويديادهارا»

الذى انتحل شخصيتـه . وأوهمها أنه زوجها الحقيق ، وأنه والحالة هـذه لا يجوز أخذها باللائمة لأنها كانت على جهل بحقيقة الحال ، وأنه ما كان لهذه الحيلة أن تنجح عليها لو بسبب لعنات القـديس ناردا التى خصها بها . ثم تمضى الآلهة حاثة الزوج أن يعيد زوجته إليه على اعتبار أنها كانت ضحية اللعنات السماوية . ويمتثل الزوج فى النهاية إلى نصائح الآلهة ويعيد زوجته إلى منزله لتمضيا معا حياة زوجية ملؤها السعادة والهناء .

وإذ تنتهى البغـاء الساحرة من سرد قصتها تطلب إلى مادانا زوج پربهاوتى أن يتعظ بهذه القصة . وأن يبادر فى الحال إلى اعادة پربهاوتى إلى ذمتـه لاستقامتها وعفتها . وينزل مادانا عند رأى البغاء ويرد زوجته إليه . ثم لا يلبث أن يصطحبها معه إلى منزل والده الذى يقيم الأفراح والأعياد احتفاء بعودة نجله إليه . وبينما الاحتفالات فى دار الأب قائمة على قدم وساق تجود السماء بغيث لا من المطر بل من الأزهار . وإذا بالبغاء الساحرة خليلة پربهاوتى . وقد تحررت من اللعنة التى قضت عليها أن تتقمص على صورة بغاء . وقد استردت سيرتها الأولى ، وأخـــذت تصعد إلى السماوات لتحتل مكانها بين الأبرار الصالحين من هم على الأرائك متكئون . أما مادانا وزوجتـه فيمضيان بقية حياتهم فى هناء وحبور .

من أخبار الهند الثقافيـــة

تم الاتفاق بين الحكومة الهنـدية وبين مؤسسة فورد ودور صناعة الصلب والحديد فى الولايات المتحدة الأمريكية. فترسل الحكومة الهنـدية نحو ألف مهندس هندى خلال السنوات القـادمة للتدريب فى مصانع الصلب والحديد فى الولايات المتحدة، والاضطلاع من أحدث الأساليب فى هذه الصناعة.

* * *

أهدت حكومة ولاية كيرالا «نبات الجهان» إلى سمو الأمير الشيخ على بن عبد الله الثانى شيخ القطر، الذى قام حديثا بجولة فى البلاد الهندية.

* * *

بعث الرئيس الدكتور راجندر برساد برسالة التهانى إلى الحاكم العام لولاية «غنا» بمناسبة نيل بلاده الاستقلال، وعبر فخامته عن الأمل بأن تقوى أواصر الصداقة والمودة القائمة بين البلدين الهند وغنا.

* * *

اجتمع الدكتور أحمد سمان عميد كلية الحقوق بجامعة دمشق بالمستر نهرو رئيس وزراء الهنـد وصاحب المعالى مولانا أبى الكلام آزاد وزير المعارف الهندية، وقام الدكتور بزيارة القلعة الحمراء والمسجد الجامع وضريح همايون وغيرها من الأماكن التاريخية الهندية الأخرى.

* * *

أبرمت الحكومة الهندية مع بولندا معاهدة ثقافية، وذلك حين قيام المستر جوزف رئيس وزراء بولندا بجولة قصيرة فى الهند. وتشمل المعاهدة ثمانيـة

بنود، وتعرب عن رغبة البلدين فى تعزيز روابط الصداقة بينهما، وتنمية العلاقات الثقافية والتعاون المتبادل فى الميادين العلمية والتربوية والثقافية. فيقوم كلا البلدين بمبادلة المندوبين من رجال العلم والثقافة والفن، ويبذل الجهود فى تدريبهم فى المعاهد الفنية والصناعية، كما يمنح كل منهما للطلبة منحا دراسية، ويساعدهم على دراساتهم فى دولة محالفة. وتنص المعاهدة على أن تعمل الدولتان على إنعاش أواصر الصداقة وتسعيان لنشر المعارف والثقافة الهندية فى بولندا والثقافة البولندية فى الهند. وتساعدان على تفهم ثقافتهما بعضهما بعضا وهضمهما على وجه أعم وأوسع وتخصصان الجوائز للكتاب والمترجمين. وتوزعان الكتب والدوريات. ومما يذكر أن هذه معاهدة ثقافية سادسة أبرمتها الحكومة الهندية مع البلدان الأخرى.

* * *

عقد بدلهى الجديدة مؤتمر الكتاب حضره المندوبون من عدة دول آسيوية وغيرها، وتولى رياسة المؤتمر الأستاذ همايون كبير، وألقى فيه خطابا هاما. وتفضل الرئيس نهرو كذلك بالقاء خطاب فى المؤتمر مشجعاً المؤلفين على نشر أفكارهم وآرائهم، وذلك بمبادلة النظريات وإقامة مناقشات عامة حول المسائل المختلفة. وأقيمت تحت إشراف المؤتمر مناقشات عدة حول مواضيع طريفة منها «الكتاب والحرية».

* * *

أضيف إلى جامعة دلهى كرسى خاص لدراسة البوذية، كما كان رئيس الجمهورية الهندية قد أعلن فى حفلة تذكارية أقيمت فى السنة الماضية بمناسبة مرور ٢٥٠٠ على بوذا. وعين الدكتور ب. ف. بابت استاذا فى هذا الكرسى. والدكتور يعد من جهابذة الهنود الكبار، وكان من قبل فى جامعة بونا.

* * *

أنباء مجلس الهند للروابط الثقافية

أقام المجلس فى دلهى الجديدة، وبومباى، وكلكتا، ومدراس حفلا لاستقبال الطلبة الأجانب المقيمين فى الهند.

* * *

أقام المجلس حفلة فخمة بمناسبة قدوم صاحب الفخامة عاهل القطر إلى الهند.

* * *

أهدى المجلس كتبا قيمة على المواضيع الثقافية إلى مكاتب البلدان الأخرى ومعاهدها الثقافية والأدبية من بينها الباكستان، وتيونس، وألمانيا الغربية، وروديشيا الجنوبية، والسوريا. كما قدم إلى أمريكا كتبا نماذج من مصنوعات الهند مما تمثل الصناعة الهندية والثقافة.

* * *

عاد الدكتور كامل حسين المستشار الثقافى المصرى فى الهند إلى مصر، والدكتور عضو من أعضاء لجنة المجلس العامة.

* * *

قرر المجلس أن يبعث بأستاذ إلى الجامعة البوذية فى كموذما بان فون ليدرس اللغة السنسكريتية.

* * *

ألقى سرى شنكر داس سيكهرى تحت إشراف المجلس محاضرة فى ترجمة دارا شكوه لأبينيشاد، كما ألقت الآنسة نيلا كروك محاضرة فى الأدب الكاشميرى.

* * *

عين المجلس شرى الف. ك. شترجى فى دلهى الجديدة و. ن. س. راججوپالا فى مدراس ليشرفا على شئون الطلبة.

THAQĀFAT-U'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

in

MARCH, JUNE SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1	Fine Arts in India—Music	by Mahmud Fahmi Zaki	2
2	The Magic Parrot	.	62
3	Cultural News of India	... ...	94

ANNUAL SUBSCRIPTION: Inland Rs. 8 Abroad Sh. 8. **SINGLE COPY:** Rs. 2

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY
KHALEEL SHARAFUDDIN, 29 MUHAMMADALI ROAD BOMBAY 3 AND PUBLISHED BY
MR I. H. KHAN
SECRETARY INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

THAQĀFAT'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

MARCH 1957

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

يونيو ١٩٥٧

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات في السنة: مارس، ويونيو، وسبتمبر، وديسمبر

الاشتراك السنوي: في الهند: ست روبيات في الخارج: ثماني شلنات

ثمن العدد الواحد: روبيتان

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية، بتودى هاوس، دلهي الجديدة نمرة ١

مطبعة «ق» بالهند

لصاحبها خليل شرف الدين، ٤٦ ا، شارع ميمنوارا، بمباي ٣

طبعه ونشره مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الثامن	يونيو سنة ١٩٥٧	العدد الثانى

محتويات هذا العدد

			صفحه
١	بوذا والبوذية	ترجمة الاستاذ عامر الانصارى	٢
٢	الرقص الهندى	للاستاذ محمود فهمى زكى	٧٤
	فنون الرقص عند العرب	« « « «	٩٠
٣	كاشمير	للاستاذ عثمان حيدر مرزا	١٠١
٤	من اخبار الهند الثقافية		١٠٧
٥	انباء مجلس الهند للروابط الثقافية		١١١

بوذا والبوذية

ترجمة الأستاذ عامر الانصارى

احتفلت معظم أقطار العالم بذكرى گوتاما بوذا، مؤسس الدين البوذى، واستحسنا أن نتحف القراء بالمقال التالى الذى يفصل لهم سيرة بوذا وديانته. — المدير

حلم الملكة

ولد گوتاما، الذى قدر له أن يصبح فى المستقبل بوذا، فى قرية كاپى والاتو، الواقعة على حدود نيبال. وكان أبوه اميرا على قبيلة سكياس. وتاريخ ولادته على حسب ما يقدره أهل سيلان ٦٢٤ ق. م. ويكون عام وفاته ٥٤٤ ق. م. بعد أن عاش ثمانين سنة. ويعد البوذيون السيلانيون العام ٥٤٣ ق. م. مبدأ تاريخهم. أما علماء الغرب فيتبعون هذا التاريخ من عصر الامبراطور أشوكا، وهو مضبوط فى كتب الآثار، ويؤخرون تارخ وفاته أربعين سنة أخرى، حيث تستقيم لديهم سنة ٤٨٣ ق. م.

وإن ما نذكر فى السطور التالية، عن ولادة بوذا، لا ينتمى إلى التاريخ، بل إلى الأساطير التى تبين نظرية «بوذى استا». وكلمة «بوذى استا» يراد بها كل من قدر له أن يصبح بوذا (العارف) فى حياته المستقبلة. فيقطع على نفسه أن يولد ويدرك «العرفان» فى دور من أدوار حياته، وعلى ذلك يقرر عندما يحين ذلك الدور، وهو لا يزال فى السماء، أن يولد وينال العرفان، فتكون ولادته هذه بارادته، دون حاجة إلى والد مادى، وقد أصبحت هذه النظرية مبدأ شاملا لجميع مكاتب الفلسفة البوذيـــة.

وقـــد أعلن فى مدينة «كابى والاتو» إقامة مهرجان منتصف الصيف لشهر آسالا. فبادر إليه الشعب واحتفل به احتفالا يليق به، وبدأت الملكة «مهامايا» تستعد للاحتفال قبل سبعة أيام من ليلة البدر، فتزينت بقلائد الأزهار والرياحين. وبالغت فى التعطر والتطيب، وتجنبت الخمور. وفى اليوم السابع استيقظت مبكرة واستحمت بالماء العطر، وتبرعت بأربعين ألف قطعـة من النقود، وتناولت من الطعام نقيه، بعـد ما تجملت بجميع أصناف الحلى. ونذرت النذور الخاصة بيوم الصوم. ودخلت غرفة النوم الفاخرة التى جمعت من أسباب الترف والبـذخ كلهـا. وخامر عينيها النعاس حالما استقر بها المضجع الملكى، وإذا بها تحلم أن الملوك الأربعـــة الكبار[1] قد رفعوهـا مع سرير نومها، وذهبوا بها إلى نجود «مانوسيلا» الممتدة إلى ستة فراسخ فى جبال هملايا. ووضعوها تحت دوحة من أشجار السال يبلغ ارتفاعها سبعة فراسخ، ووقفوا هم فى ناحية.

وحينئذ جاءت ملكاتهم، فأخذنها إلى بحيرة «أنوطاطا» وطهرنها فى مياهها عن الأدران البشرية. وألبسنها حلة مقدسة، وعطرنها بالعطور، وزينها بالأزهار المقدسة.

وكان على مقربة منهن الجبل الفضى، فوقه القصر الذهبى الفخم. فأعددن لها فى القصر سريرا مقدسا وجهته قبل الشرق. وعندئذ تحول «بوذى استا» إلى فيل أبيض، وكان قريبا منه جبل الذهب، فتوجه إليه ثم نزل منه. وصعد إلى جبل الفضة، متخذا طريقه من الشمال. وكان يحمل فى خرطومه زهرة من اللوطس الأبيض، كأنها سلسلة من الفضة، ونفخ فى البوق ودخل القصر الذهبى وطاف حول فراش أمه ثلاث مرات عن اليمين. ثم أتى أمها من يمينها. ولاح لها كأنه يلج رحمها. وهكذا، عند نهاية مهرجان منتصف الصيف، تلقى «بوذى استا» حياة جديدة.

---

١ — حراس العالم الأربعة، آلهة الجهات الأربعة.

ولما أصبحت الملكة فى اليوم التالى، ذهبت إلى الملك تقص عليه رؤياها، فخرج الملك ودعا ٦٤ من البراهمة ذائعى الصيت. وأمر أن تفرش الأرض بالأزهار، وتضع للبراهمة المقاعد الفاخرة، وتملأ أوانيهم الذهبية والفضية سمنا وعسلا وسكرا وأرزا، وترد إليهم مغطاة بأغطية الذهب والفضة. ولم ينته عند هذا الحد بل أسبغ عليهم نعما أخرى، فأهداهم الملابس الثمينة، والأبقار. ولما اقتنع الملك بأن هداياه قد سرت البراهمة، قص عليهم حلم الملكة وطلب منهم تأويله، فاجابوا قائلين إنه ليس هناك ما يعكر صفو الملك. إنما الملكة قد حملت وستضع ذكرا، فابشر أيها الملك! إنك سترزق ولدا فريدا يحكم العالم بأسره، إن عاش فى بيته عيشة عادية، وإلا يصبح بوذا المتنور العارف، مبيد الأوهام، وطارد الظلمات، إن هجر البيت وزهد فى الحياة الدنيا ومتعها.

مولد جوتما

إن كلمة «گوتاما» تطلق على القبيلة التى انحدر منها بوذا، فهى اسم عائلى لبوذا. وهو ينتمى إلى طبقة «شتريا» المعروفة بالفروسية، وخوض الحروب. وكان اسمه الشخصى «سيدهاتا» أو سيدهارتا» معناه، الذى أدرك بغيته. وسماه البوذيون «بوذى استا» قبل أن ينال العرفان، ثم دعوه «بهاگاوا» (السيد)، ويطلق هو على نفسه لقب «تاتهاگاتا» أى الذى سلك هذا السبيل فى الحياة، سبيل من سبقوه فى نيل العرفان والوصول إلى البوذية، لكن النصوص لا تؤيد هذا المعنى إذ وردت فيها هذه الكلمة عند الاشارة إلى سلطات السيد الخاصة، ومن هنا تظهر رجاحة قول «اللورد شالمر» فى ترجمته، أن معنى كلمة تاتهاگاتا «من الذى ظفر بادراك الحقيقة».

وحملت الملكة «مهامايا» ببوذى استا لمدة عشر شهور قمرية «كأنه زيت فى إناء»، حتى حان لها أن تضع حملها، فحنت إلى أهلها وبيت أبيها، وتقدمت إلى الملك

راجيـة أن يسمح لها بالذهاب إلى « ديوادها » موطنها وموطن أسرتها، وأجاب الملك سئولهـا، وأمر بتعبيد الطريق بين المدينتين، وتزيينها بشجيرات بزر قطونا مزدانة بالرايات والأعلام.

ثم أوصلوا الملكة إلى محفة ذهبية، حملها ألف رجل من حاشية الملك، حولها موكب فخم. وكانت بين المدينتين خمايل جميلة ملتفة من دوحات « السال » يملكها أهل المـدينتين كلتيهما. واشتهرت باسم « خمائل لومبينى » وكانت عنـدئذ مزدهرة من أصولها إلى فروعها، تتغنى خلال أغصانها الطرية طيور تختلف ألوانها ويفوق الحصر أنواعها. وكان المنظر الخلاب يحاكى الجنات السماوية « سيتالاتا » أو كأنه قاعة مزخرفة أعدت لملك كريم كبير دعى إلى مادبة فخمة.

وما كادت الملكة تنظر إلى هذه الخمائل الرائعة حتى كلفت بها، واشتهت أن تتنزه فيها، ولبت الحاشية طلبها، وأخذتها إلى داخل الخمائل، حيث سارت إلى دوحة السال. وحاولت الملكة أن تتناول غصنا من أغصانها، فاذا بالغصن يحنو أمامها مثل رأس قصبة مرنة، حتى صار فى متناولها، فمدت يدها وأخذته. وشعرت فى الوقت نفسه بالمخاض، آلامــه القاسية، التى هزتها هزا عنيفا، وأسرع إليها القوم وأسدلوا حولها حجابا، وصاروا فى معزل عنها.

وضعت الملكة حملها، وهى تقف ماسكة بغصن الشجرة. وأقبل عليها أربعة من البراهمـة الـكبار بشبكة ذهبيـة تلقوا فيها الوليد « بوذى استا، ووضعوه أمام أمه قائلين « أبشرى، أيتها الملكة! إن هذا الولد سيكون له شأن عظيم! »

ولم يكن بوذى استا، ملوثاً بالأدناس التى تصحب المواليـد عادة، وإنما نزل من بطن أمـه، نزول المرء من الدرج ومد يديه ورجليه. وظهر نقيا طاهرا لم تدنسه إقامته فى رحم أمه، كأنه ماسة كريمـة فى الأقمشة البنارسية (الحريرية).

وأكرمت السماء الوليد المقدس وأمه، فأمطرت عليهما برذاذ مرتين احتفالا بهما.

ثم أخذه الملوك الأربعة (الآلهة) من شبكة البراهمة فى العباءة الملكية المصنوعة من جلد الريم ناعم الملمس. وتسلمه الرجال من أيديهم على وسادة حريرية. ولما تحرر بوذى‌استا من الأيدى البشرية. استوى على الارض قائما. ونظر إلى الشرق، فخرت له الآلهة والناس عابدين. وقدموا له القلائد من الأزهار العبقة قائلين: أيها الكائن العظيم! ليس ها هنا كمثلك شيء. كل ما هنا، دونك منزلة! وفحص بوذى‌استا الجهات الأربعة وما بينهن وما فوقه وما تحته، الجهات العشرة. ولما لم يجد أحدا يماثله. نادى قائلا: هذه هى الجهة العليا! ثم خطا سبع خطوات. يظلل «مها برهما» الاله الأكبر على راسه بمظلة بيضاء، ويحمل «سومايا» له مروحة، ومشت الموجودات السماوية الأخرى خلفه رافعة فى أيديها أعلام الملكية. وتوقف بوذى‌استا على الخطوة السابعة ورفع عقيرته وزأر زئير الأسد قائلا: إنى أنا السيد فى العالم!

البشائر الأربعة

وكان الملك سدهودانا. مشغول البال، منذ تنبأ له البراهمة أن ابنه إما يحكم العالم بأسره، أو يصبح بوذا، فشيد ثلاثة قصور فخمة وبذل جهده فى أن يبعد بابنه عن مشاهدة آلام الدنيا ومزعجاتها. فعاش بوذى‌استا فى تلك القصور زمنا.

وفى يوم من الأيام، خطر لبوذى‌استا. أن يزور الحديقة متنزها، فأمر سائقه باعداد العربة الملكية. «سمعا وطاعة» أجاب السائق، وأعد له أحسن وأجمل عربة، زينها بالحلى والجواهر، وربط إليها أربعة جياد من أجود الخيول المطهمة الملكية كادت تفوق زهور اللوطس بياضا. ركب بوذى‌استا العربة، وتوجه إلى الحديقة.

ورأت الآلهة حينئذ أن موعد العرفان قد حان، فأرادت أن تظهر له بعض البشائر لهذا الشرف. فأمرت أحد أبنائها أن يتمثل لبوذىاستا شيخا قد بلغ من الكبر عتيا، سقطت أسنانه، ووهنت عظامه، وحل براسه الشيب، وتقوس ظهره فيتوكأ فى مشيه على عصاه، ويخطو مرتعشا.

وما ان رآه بوذىاستا، حتى تحير فى أمر هذا الشيخ الهرم والتفت إلى سائقه الذى انفرد برؤية الشيخ الهرم دون أتباع الأمير الآخرين، وسأله «صديق العزيز، من يكون هذا الرجل، الذى لا يشابه غيره من البشر، حتى فى شعر راسه؟» ولما سمع جواب السائق، خرجت منه صيحة «آه! ويل للولادة، فانها هى الولادة التى تفسح للشيخوخة المجال ان تتسلل إلى البشر!» ثم كر راجعا، وقلبه يتفطر حزنا وكمدا، ودخل القصر.

وبلغت الملك عودته قبل أوانها فأنكرها، وسأل الاتباع عما سبب للامير الاستعجال فى الرجوع. فأجابوه قائلين. «إن الأمير رأى فى طريقه إلى المتنزه، رجلا طاعنا فى السن، وربما زهد الأمير فى الدنيا.»

فارتبك الملك وقال فزعاً «أ تقتلوننى! اسرعوا، وأعدوا للامير ما استطعتم من الملاهى والملاعب، فليس لابنى ان يفكر فى التورع عن الدنيا ما دام موفور الحظ من نعيم الحياة.» وأمر الملك بتعيين الرقباء حول المدينة إلى نصف فرسخ، ليبعدوا عن عين الأمير المزعجات.

ويعود الأمير يوما آخر من النزهة إلى القصر مستعجلا، كاسف البال، وذلك أن الآلهة أجلست فى طريقه رجلا، أكله الداء العضال. وتركت منه ما تعافه النفس. فسأل الأمير عمن كان هو؟ ورجع أدراجه.

وبلغت الملك عودة الأمير، وانزعاجه، وزاد فى الرقابة إلى ثلاثة أرباع الفرسخ.

ولكن الآلهة. عاودت مرة أخرى، ووضعت فى طريقه، جثة ميتة، رآها الأمير، وتقهقر على عقبيه إلى القصر، ولما عرف الملك رجوعه وكسوفه، وسع الرقابة إلى فرسخ فى الجهات الأربعة، وخرج الأمير يوماً آخر إلى المتنزه، واتصل طرفه برجل أنيق الملبس أتت به الآلهة فى طريقه، وجعلت منه شخصا زهد فى الدنيا. فسأل الأمير سائقه عن هذا الرجل. ولم يكن السائق أدرى به من الأمير، ولم يعرف شيئا عن من تورع عن الدنيا، أو ما فى الزهد من الفضائل. بيد أن الآلهة أوحت اليه. فأجاب قائلا. «يا صاحب السمو. هذا الرجل متورع عن الدنيا وزاهد فيها.»

ووصف للامير فضائل الزهد ومزاياه. وراقت الأمير فكرة الزهد. ولم يعد إلى القصر بل مضى فى سبيله إلى المتنزه.

الزهادة الكبرى Renunciation

وتزوج جوتما فى السادسة عشرة من عمره، بنت عمه، ولما بلغ ٢٩ عاما. سمع يوما بشرى ولادة ابنه، وهو عائد إلى المدينة، بعد رؤيته الزاهد فى الدنيا.

وجاء فى نصوص اللغة البالية:

«أن بوذا أقبل يوما إلى البيت لزيارة أهله، بعد أن نال العرفان، فهرعت النسوة كلهن إلا زوجته «سودهانا»، واحتجت قائلة: «إن أحس زوجى بكرامة وفضل لى، أتى إلى بنفسه، فأبالغ فى تكريمه» فذهب بوذا إليها مع تلميذين من أخص تلاميذه. فأسرعت اليه زوجته، وامسكت بقدميه، وضمتها إلى صدرها ووضعتها حول عنقها إكراما له كما تمنت، وقيل أن زوجته وراهولا ابنه اعتنقا الشريعة.

وبلغ الملك أن ولدت زوجة ابنه، ولدا سمى راهولا. فأمر بانهاء البشرى

إلى ابنه الأمير الذى تأوه عند سماع الخبر وقال:

«آه! ولد راهولا، ولد لى قيد ووثاق جديد!»

وعندما عرف الملك ما قال ابنه حين بلوغه النبأ، أمر أن يلقب حفيده منذ اليوم بالأمير راهولا وركب بوذى استا عربة فخمة، متناهية الزينة، ودخل القصر، ببالغ الروعة والجلال. وأقبلت فتاة تدعى «كيا» وصعدت أعلى مكان من القصر، تشهد جمال بوذى استا وفخامته، ولما شاهدت الموكب يمر خلال المدينة، امتلأت فرحة وبهجة، وقالت:

«يا لها من أم مسرورة! يا له من أب مسرور! ويالها من زوجة سعيدة، نعمت ببعل مثله!»

وبلغت هذه الكلمات، سمع بوذى استا، ووقعت من نفسه موقع الاعجاب، ففكر: الفرح؟ تعلن حتى هذه الفتاة عن الفرح! أجل، إن قلب أمى مسرور، وقلب أبى مسرور، وقلب زوجتى مسرور، عند رؤية هذا المنظر المحسود، ولكن القلب الحى لا يفرح إلا حينما تخمد نار الهوى. وينعدم العجب والزهو، والافكار الباطلة، فهنالك الفرح. إن الفرح الحقيق، إذا فنى الألم والهوى بجميع أنواعها. لا ريب، علمتنى هذه الفتاة أنفع درس، فى بحثى عن الفناء (Nibbana). ووجب على اليوم أن أهجر الحياة المنزلية، وأخرج زاهدا فى الدنيا، باحثا عن الفناء، ولا بد لى من تقديم مكافأة إلى الفتاة قيمة هذا الدرس العظيم!»

فخلع قلادة اللآلى عن عنقه، وكانت تقدر بمائة ألف قطعة ذهبية، وبعث بها إلى الفتاة كيسا. فأخطأت الظن به، وحسبت أنه وقع فى غرامها، والهدية الثمينة ليست إلا رمزا للحب، واستخفتها الفكرة فرحا وطربا. لكن بوذى استا لم يكترث لشأنها ومضى فى طريقه إلى القصر، واستلق على الفراش الملكى.

وقصدت إليه فى القصر. غانيات جميلات مسرفات فى التجمل، حاذقات فى الغناء والرقص، يحملن معهن أدوات الموسيقى المختلفة. لكن بوذىاستا الذى كان امتلأ نفورا من الهوى، لم ينتبه إليهن، ولم يجد فى الرقص والغناء متعة، فما لبث أن غشيه النوم العميق.

وفكرت النسوة أن الذى كان لأجله كل هذا الرقص والغناء، غارق فى سبات فليس لهن من الرقص غير التعب. فألقين أدواتهن منثورة على الأرض، وتمددن فى الغرفة تحت أنوار المصابيح ذات الزيوت المعطرة.

وصحا بوذىاستا من نومه، وجلس متربعا على السرير، ونظر إلى المغنيات، وقد نال منهن السبات، وانتشرت أدواتهن عفوا. وإذا به يرى إحداهن فاقدة الوعى، يسيل الريق من فمها، كما وجد أخرى فاغرة الفم، وثالثة ذاهلة عن الملابس، مكشوفة الجسم ما تعافه النفس، وزاد المنظر البشع بوذى استا نفورا واشمئزازا للدنيا. ولاح فى عينه أن القصر العظيم الذى ينافس قصر «سكا» السماوى فى زينته، مقبرة انتثرت فيها الجثث المتنوعة انتثارا قبيحا، وظهرت له الأطوار الثلاثة من الحياة كبناء على النار. فلم يملك نفسه إلا أن قال:

«ما أحزنها! ما أشقاها!»

وارتكزت أفكاره كلها فى الرغبة عن الدنيا. وقام من السرير مدفوعا بفكرة الزهد، وذهب صوب الباب وقال:

«من بالباب؟»

«أنا، شنا، يا سيدى،» أجاب خادمه.

«شنا» الذى كان على عتبة الباب مترقبا أوامر السيد.

فقال له الأمير: «تتوق نفسى إلى الزهادة الكبيرة اليوم. أسرج لى جوادا».

« سمعاً وطاعة ». قال شنا، وحمل عدة زينة الخيل إلى الاصطبل، حيث وقع بصره على « كانتاكا» ملك الخيل، وكان واقفا بمهابة فى ضوء الزيوت العاطرة، تحت ظلال أريكة من أزهار الياسمين. فانتخبه شنا لركوب سيده اليوم، ووضع عليه العدة، بينما فكر الجواد فى نفسه: إن الطقم اليوم ، أضيق ما يكون، ليس من الطقوم العادية التى أحملها حين خروج السيد للنزهة. لا بد أن السيد قطع اليوم على نفسه القيام بالزهادة (Renunciation). فكر الجواد هذا وتمايل طربا، فصهل صهيلا عاليا، لبلغ أسماع الأهالى، لو لا أن الآلهة خفضت من شدته.

وبينما غاب الخادم لاعداد الجواد، فكر بوذىاستا فى مشاهدة ابنه، فقام من السرير حيث كان للآن متربعا، وانحدر إلى غرفة أم راهولا، وفتح بابها. وكانت المصابيح ذات الزيوت العاطرة تضىء الغرفة، وأم راهولا مستلقية على أزهار الياسمين المنثورة على فراشها، غارقة فى نومها الهنىء، واضعة إحدى يديها على راس ابنها.

تخطى بوذى استا عتبة الباب، ووقف ينظر إليهما، ودار فى نفسه، أن المالكة لتفزع من نومها، لو نحى يدها عن رأس الولد، فتفاجئه عراقيل تحول خروجه. فحدث نفسه قائلا: « لقد أصبحت الآن بوذا. فلأخرج من هنا وأعود يوما آخر لزيارته ».

نزل توا من القصر، وركب الجواد، وأردف شنا خادمه، ومرق من أبواب المدينة التى فتحت أبوابها المؤصدة بأمر الآلهة، وواصل سيره حتى نهر «أنوما» وعبره. ثم وقف على الشاطئ الآخر وجز شعره بسيفه، ورد شنا والجواد إلى المدينة.

واستمع كانتاكا، إلى حديث سيده لشنا، فأدرك أنه لن يرى سيده منذ اليوم، وأنه يفارقه إلى الأبد. فبلغ منه الحزن أقصاه. ولم يطق الصبر على

الفراق، فخر ميتا. ثم ولد مرة أخرى فى السماء الثالثة والثلاثين إلها متقمصا جسد ابن لأحد الآلهة واشتهر بالإله «كانتاكا».

وأما شنا — الذى حز قلبه الحزن على مفارقته السيد - فتضاعف ألمه عند موت الجواد كانتاكا، وعاد إلى المدينة باكيا ناحبا.

العرفان

ولما اختار گوتاما الزهادة، ذهب إلى مدينة «راجگاها» حاضرة بلاد مگدها، وتلمذ فيها — على ما قيل — لبعض الأساتذة، وتلقى منهم الدروس. ولما وجدها لا تجدى شيئا، تركها وقام مع خمسة حواريين برياضات شاقة. داوم عليها ست سنوات متتالية. لكنه تركها أيضا، إذ وجد فيها إرهاقا للنفس، خاليا من النفع تماما. ولم يتبعه الحواريون وهجروه. ثم ذهب گوتاما إلى شجرة «البيبل» شجرة العرفان، الشجرة البوذية. وجلس تحتها معتزما أن لا يبرح مكانه حتى ينال العرفان. وهنا جاءه مارا (الشيطان الموسوس) وحاول إغراءه وصرفه عن هدفه.

واجتاز گوتاما تحت الشجرة، المراحل الأربعة من الغيبوبة وتذكر حياته فى المواليد السالفة. وتعرف على مصائر الموجودات، وإفناء «أساوا» الفساد الناشىء من الشهوة الحسية، والرغبة فى الوجود، والجهل.

وقد خلت النصوص العتيقة من ذكر «سلسلة الأسباب». ولكن المفسرين والشراح افترضوا أن گوتاما فكر فى أسباب آلام البشرية، وهو جالس تحت الشجرة، وأن هذه الأسباب تتلخص فى جهل الانسان ورغبته فى الحياة للتمتع بها.

مراحل الغيبوبة الأربعة

قال بوذا:

«تناولت من الطعام الجوهرى، ونلت قوة بريئة من الشهوة الحسية والأفكار

الباطلة، فلازمت الغيبوبة الأولى وانحللت فيها. فأدركت التعقل والتفحص مما ينبع من العزلة ويطفح فرحا وحبورا. ولما انتهى التعقل والتحقق لازمت الغيبوبة الثانية من صفاء الباطن مما ينبع من التأمل ويطفح فرحا، وفكرى مرتكز فى نقطة واحدة، لا يعتريها التعقل والتحقق. ثم لازمت الغيبوبة الثالثة. وأنا ممتلىء من الفرح. شاعر واع. أتذوق اللذة الجسميـــة. ولما تخليت عن الفرح والألم، ولم يفارقنى العجب والانقباض. ثم لازمت الغيبوبة الرابعة وانحللت فيها. وهذه المرحلة خالية من الألم والسرور، ومفعم بصفاء الباطن والادراك.

تذكر المواليد السالفـــة

«وهكذا — ارتكز فكرى، وكان نقيا، صافيا، لا تشوبه شائبة من الدنس، مرنا، حاذقا، ثابتا، بريئا من الحس. ثم وجهته إلى استذكار مواليدى السالفة، فتذكرت منها كثيرا: مولدا، مولدين، ثلثة مواليد. أربعـــة مواليد، خمسة عشرة مواليد، عشرين، ثلثين، أربعين، خمسين مولدا، مائة مولد، ألف مولد، ملايين مولد. كما استحضرت أدوارا كثيرة من انحلال العالم، وأدوارا كثيرة لتطوره. وأدوارا كثيرة من انحلاله وتطوره معاً. وعلمت كيف كنت فى المواليد السالفة، وتذكرت اسمى وعشيرتى، ولونى، وما أصـابنى من سرور وألم، وكيف قضيت نحبى، وأين ولدت بعد ذلك، وبما سميت وكيف كانت عشيرتى ولونى وحياتى وما أصابنى من ألم وسرور فى هذه الحياة اللاحقة. وهلم جرا. هذا ما أدركته فى الشطر الأول من الليل.

العين المقدسة

«وهكذا — ارتكز فكرى، وكان نقيا، صافيا، لا تشوبه شائبة من الدنس، مرنا، حاذقا، ثابتا، بريئا من الحس، ووجهتـــه إلى إدراك ممات الموجودات. وتجددها فى المواليد. فرأيت بعين مقدسة إلهيـة، الخلق يموت ويتجدد فى حياته،

ما بين شريف ووضيع، دميم وجميل، سعيد وشقى، جزاء ما قدمت أيديهم من الأعمال فى الحياة الماضية. فوجدت فيهم من عاش عيشة سيئة. وجار عملا أو قولا أو فكرا، وسب الصالحين واستمسك بالأفكار الباطلة. وجدته يولد من جديد بعد موته وتحلل جثمانه، ويقاسى الآلام ويتعذب فى الجحيم. وأما من صلحت حياته قولا وفعلا وفكرا وتجنب سباب الصالحين، فهم يولدون من جديد، بعد أن حان أجلهم وأصبحت عظامهم رفاتا، ويظفرون بالحياة السعيدة، وينعمون فى الجنة.

هذا ما عرفته فى الشطر الثانى من الليل.

إبادة الأساوا

«وهكذا، ارتكز فكرى، وكان نقيا، صافيا، لا تشوبه شائبة من الدنس، مرنا، حاذقا، ثابتا، بريئا من الحس. ووجهته إلى معرفة إبادة «الأساوا» (الفساد) وعلمت أوضح العلم، ما هو الألم، وما هى أسبابه، وكيف تزول. وعرفت الطريق المؤدى إلى إبادة الألم. وأدركت الفساد وكنهه، وأسبابه، وزواله، وعرفت الطريق إلى إزالته.

ولما أدركت ما أدركت، تحرر عقلى عن فساد الشهوة الحسية، والرغبة إلى الوجود، وعن الجهل. وشعرت ببراءتى من كله هذا. وعرفت أن تجدد المواليد قد انتهى، والحياة الدنيوية قد تمت، وتحقق ما كان أن يكون، ولم يبق شىء لهذه الحياة.

وكان هذا ما أدركته فى الشطر الثالث من الليل.»

سلسلة الأسباب

استكمل بوذا عرفانه تحت شجرة البوذية، واستقر فى «أرويلا» على شواطئ

« نرنجارا ». ثم عاد إلى الشجرة المقدسة مرة أخرى، وجلس تحتها سبعة أيام، يتمتع هنا بالحرية الكاملة، و تفكر أثناء الشطر الأول من الليل فى سلسلة الأسباب من أولها إلى آخرها. وأحاط علما بأن العناصر تتولد عن الجهل، ويتولد الشعور من العناصر، ومنها ينشأ الاسم والصورة والفكر والجسم، وتتولد من الفكر والجسم أعضاء الحس الستة (الحواس الخمسة والفكر أو الحس الباطن). وتتولد من الحواس الستة العلاقة، ويتولد من العلاقة الحس، ومن الحس الشهوة، ويتولد من الشهوة التشبث بالوجود. ومن التشبث بالوجود الرغبة فى الوجود، وتتولد من الرغبة فى الوجود الرغبة فى تجدد الحياة. وتأتى من تجدد الحياة الشيخوخة والموت، والحزن، والألم، والهم، والقنوط. وهذا أساس النوائب كلها.

وإذا فنى الجهل كل الفناء، فنيت العناصر. وإذا فنيت العناصر فنى الشعور. وإذا فنى الشعور فنى الفكر والجسم. وأثر فنائهما تفنى الحواس الستة. وإذا فنيت الحواس الستة فنيت العلاقة. وإذا انعدمت العلاقة انعدم الحس. وإذا فنى الحس فنيت الشهوة. وإذا زالت الشهوة زال التشبث بالوجود. وإذا انتهى التشبث بالوجود انتهت الرغبة فى الوجود. وإذا انعدمت الرغبة فى الوجود انعدم التجدد فى الولادة. وإذا انعدم التجدد فى الولادة انعدمت الشيخوخة والموت، والحزن، والألم، والهم، والقنوط. وهذا هو فناء النوائب كلها.

بدء الدعوة

عزم بوذا — بعد جلوسه تحت الشجرة البوذية سبعة أسابيع — أن يبدء فى دعوته. فسار إلى بنارس، وقابل حواريه الأوائل الخمسة، وألقى بينهم أول خطبة له. علم فيها الحقائق الأربعة، والطريق السوى، المضعف ثمانية أضعاف.

ارتحل السيد، ووصل بنارس بعد عدة منازل. وقابل النساك الخمسة المستقرين

فى « إسبتانا » « حديقة الغزال ».

وما إن وقع بصر النساك عليه. حتى اتفقوا على أن القادم ليس غير گوتما القديس الذى يعيش عيشة الزهد مع تركه إرهاق النفس. واعتزم هؤلاء النساك أن لا يقوموا له ولا يأخذوا منه كشكوله وقبائه. ولا يعدوا له مقعدا يناسبه.

وما إن اقترب السيد منهم حتى نسوا كل ما تعاهدوا عليـــه. فبـادروا لاستقباله. وأخذ أحدهم كشكوله وقبائه. وهيأ الآخر له مجلسا. وأتى الثالث بالماء والمنضدة لرجليه.

وصل السيد. واستقر فى المجلس المقرر. وخاطبه النساك باسمه. ونادوه بكلمة الصديق. فقال لهم السيد:

« لا تدعوا « تاتهاجاتا » باسمه. ولا تقولوه صديقا. فان « تاتهاجاتا » أيها الأصدقاء « أرهات » نال العرفان التام. أنصتوا يا نساك. لقـد أدركت الخلود، وأصبحت مرشدا. أعلم المبدأ. فاذا اتبعتم الطريق السوى، كما تؤمرون فسرعان ما تدركون معرفـة عليا. لماذا يترك الشاب الحياة المنزلية، إلى حياة لا منزل فيها. ألا! هى الغاية الأسمى من الحياة الدينيـة. إذا ما أدرك الرجل هـذه الغاية عاش فيها. »

وقد سأل النساك بعد سماعهم قول السيد:

« أفلم تدرك هذه البصيرة والحكمة التى يعجز البشر عنها بالحياة الخشنة، أو إرهاق النفس، أو بالمسلك الذى نحن نسلكه؟ أفلا ترى أهمية لهذه الرياضات الشاقة، فأعرضت عنها، وظفرت بنيل العيشة الأبدية؟ أفأوتيت ما أوتيت من الحكمة والبصيرة دون أن تجهد نفسك؟ »

فأوضح لهم السيد مرة ثانية، أنه « أرهات ». ثم سأله النساك عدة أسئلة. فقال السيد:

« أفلا ترون أنى ما سبقت إلى مثل هذا القول ؟ »

قالوا : « بلى ! يا سيدنا »

فقال السيد « إن تاتها جاتا ، أرهات ، أدرك العرفان التام . وتمكن فيه » .

وما زال التساؤل والتجاوب ، حتى أقنع السيد النساك الخمسة . فأنصتوا إليه بآذان صاغية ، وركزوا أفكارهم فى التأمل والبصيرة الباطنة .

الخطبة الأولى

فخاطب السيد النساك قائلا :

« هاتان الغايتان ، أيها النساك ! لا يمارسها من تخلى عن الدنيا . وما أدراكم ما هما الغايتان ؟ إحداهما تتعلق بالشبق ، واللهو ، والدناءة والشهوة ، والسفاهة ، مما لا يجدى صاحبه نفعا . وأما الأخرى ، فتتعلق بإرهاق النفس وإيذائها ، وتسفيهها ، مما لا يثمر شيئا . فهاتان الغايتان أعرض عنهما تاتها جاتا ، وأدرك العرفان ، واهتدى إلى الطريق الوسطى ، طريق تهديه إلى البصيرة ، والمعرفة ، وتعرفه بالسكينة والعرفان العالى ، والتنور ، والنجاة . وما هى الطريق الوسطى أيها النساك ، التى أنارت لتاتها جاتا ، والتى ساقته إلى البصيرة والمعرفة ، وعرفته بالسكينة والعرفان العالى ، والنجاة ؟ هذه هى الطريقة المضعفة ثمانية أضعاف . أى الفهم الصادق ، والعزم الصادق ، والكلام الصدق والعمل الصالح ، والعيشة الصالحة ، والسعى الصالح ، والاهتمام الصائب ، والتأمل الصادق .

« هذه هى الطريقة المثلى أيها النساك ، التى أنارت لتاتها جاتا ، والتى ساقته إلى البصيرة والمعرفة ، وعرفته بالسكينة ، والعرفان العالى والنجاة .

« أعود — أيها الرهبان — فأقول :

« ما هو أساس الألم ؟

«الولادة ألم. الشيخوخة ألم. المرض ألم. الموت ألم. الاتصال مع الأشياء المكروهة ألم. ومفارقة الأشياء السارة ألم. عجز الرجل عن وصول ما يبتغيه ألم.

«وخلاصة القول. إن النواحي الخمسة للتشبث بالوجود. كلها ألم — أيها النساك.

«هذه حقيقة سبب الألم.

«إن الشهوة التي تفضي إلى تجدد المولد. مصحوبة بالفرح والعاطفة.

«والابتهاج عنـد الوصول إلى الفرح، من شهوة الشبق. والاشتهاء في الوجود وعدمه. كلها حقيقة أسباب الألم.

«وفناؤها كلها. حقيقة فناء الألم. فناء الشهوة فناءاً تاماً. والتبرء منها، والبعد عنها والتحرر من نيرها. والنفور عنها.

«وهـذه هي حقيقة الطريق المفضي إلى فناء الألم. الطريق المضعف ثمانيـة أضعاف. هي الفهم الصادق. الفكر الصادق. العزم الصادق. الكلام الصـدق. العمل الصالح. العيشة الصالحة. الجهد الصالح. الاهتمام الصائب. التأمل الصادق. هذه هي حقيقة الألم الصادقة.

«هكذا — أيها النساك — أوتيت البصيرة والمعرفة. الحكمة والنور، بالمبادئ التي لم تسمع بها من قبل.

«هكذا — أوتيت وما أوتيت بالمبادئ التي لم تسمع بها من قبل.

«أدركت حقيقـة الألم — أيها النساك — (وكرر السيـد الكلام مع إظهار لزوم الفناء وأن الفناء قد تحقق).

«ولما اتبعت — أيها النساك — هذه الحقائق الأربعة الماجدة. أصبحت بصيرتي ومعرفتي نقيتين طاهرتين. مع أقسامها الثلاثة. وفروعها الاثنى عشرة. وعرفت الدنيا بآلهتها مارا وبرهما، وبمن فيها من البشر والرهبان والبراهمة. أدركت كامل

التنور، وعرفت ببصيرتى أن عقلى قد تحرر، تحررا لا يتأثر.

«أدركت أن هذه آخر حياتى، ولن أولد ثانية بعدها.»

خاطب السيد النساك، وأقنعهم. فرحبوا بدعوة السيد فرحين مستبشرين.

«ياسا» يعتنق الشريعة

وردت الحكاية التالية فى «ونايا» فى بيان القوانين اللازمة لاعتناق الشريعة. وأساسه للشعب أن يشهد المعتنق بالأقوال الثلاثة التالية:

أنا التجئ إلى بوذا

أنا التجئ إلى المبدأ

أنا التجئ إلى الشريعة.

وكان ياسا، بطل الحكاية، قد تحرر من الشهوات. واستعد للزهد فى الدنيا، ونيل مقام «باباجا» (التورع عن الدنيا). ثم يدرج المرء مقام «أباسامبادا» وهو الاحتفال باعتناق الشريعة. إذا بلغ المعتنق العشرين من سنه.

وآل هذا الاحتفال التقليدى — فيما بعد — إلى لجنة مكونة من النساك. وما زال متداولا ومعمولا به.

كان فى يوم من الأيام شاب شريف يدعى ياسا، يقطن فى بنارس.

وولد عن صلب رئيس من رؤساء القبائل، فتربى متمتعا بأسباب الترف والرغد كلها، وكانت له ثلاثة قصور، أحدها للشتاء، وثانيها للصيف، وثالثها لفصل الأمطار.

وذات مرة، سكن القصر الثالث أربعة أشهر متتالية، يقضى أيام المطر. تحيط به غانيات جميلات، يفرجن عن نفسه. فلم يخرج من القصر طوال المدة، يتنعم

باللهو والطرب. ويستلذ بلذائذ الحواس.

وإذا به غشيه النوم يوما قبل أوانه المعتاد. وحذت الحاشية كلها حـــذوه، وأسلموا أنفسهم للنوم العميق. وتركوا الغرفة مضاءة.

واستيقظ الأمير من النوم قبل المعتـاد. كما نام قبله، ووجد حاشيته غارقة فى النوم. إحدى الغانيات متأبطة عودها، والأخرى ركب الدف عنقها، والثالثة محتضنة طبلها. والرابعة الأخرى منثورة الشعر، فاغرة الفم، يسيل الريق منه، كما وجد بعضهن تتمتم بصوت خفى. فتمثل المنظر له مدفنا قفرا. وملأ عقله نفورا واشمئزازا. وكلما حدج فى المنظر، قارب السمد حظه، حتى لم يتمالك. وقال:

ما أظلم هذا المنظر، ما أشقاها!

ولبس نعليه الذهبيين. ومشى إلى باب القصر، وفتحت الآلهة أبوابه. وقالت:

«لا منعك مانع أيها الأمير! من ذهابك من حياة منزليـة. إلى حياة لا منزل فيها.»

ومضى فى سيره. حتى وصل باب المدينة، وفتحته الآلهة قائلة:

«لا منعك مانع. أيها الأمير. من ذهابك من حياة منزليـة، إلى حياة لا منزل فيها.»

وواصل ياسا مسيره، حتى انتهى إسبتانا (حديقة الغزال)، وقـد تنفس الصبح.

وكان السيد إذ ذاك. مستيقظا يتمشى ويستنشق نسيم الجو الهادىء الرحب، ورأى ياسا الشاب الصالح قادما. فجلس عـــلى مقعـده. ولما دنا منه ياسا قال له هذا:

«ما أظلم! وما أشقى!»

«كلا» أجاب السيد «لا أظلم ولا أشقى. تعال، استرح، أعلمك الشريعة.»

وما إن سمع ياسا صوت السيد، حتى زالت عنه الهواجس، وأدركته السكينة. فخلع نعليه الذهبيين. وازدلف إلى السيد. وسلم عليه، وجلس إليه.

وحينما استقر ياسا فى مجلسه، أخذ السيد فى الموعظــة. وشرح له منافع الصدقة، والخلق الكريم، والسماوات. ومضار الشقاء والشهوة وخلوها عن النفع، كما أوضح له مجديات الزهادة الكبرى.

وظل السيد ينصح، حتى أدرك أن عقل ياسا قد صلح. وتحرر من العوائق والمغريات. فعلمه من البوذية، العلوم القيمة العالية. الآلم وسببه، وفناءه، والطريق إلى فناءه.

وكما يقبل الثوب الصافى من اللون. تأثر قلب ياســا الصافى. وعرف بنور البصيرة أن كل ما له وجود، يلزمه الفناء.

وذهبت أم ياسا إلى القصر. فلم تجده فأسرعت إلى الرئيس صاحب المنزل زوجها تقول له: «ابنك ياسا، يا صاحب المنزل-لا يراه أحد فى القصر.»

فبهت الرئيس، وأرسل الفرسان. فى الجهات الأربعة بحثا عن ابنه المفقود. وسار الرئيس نفسه إلى حديقة الغزال. ووجد فيها آثار أقــدام ابنه الراحل، فقفاها إلى السيد.

ورآه السيد يأتى إليــه، فمن له أن يجعل للابن تحول بينه وبين قوة روحية روية والده، فلم ير الرئيس ابنه حين داناه، وهو جالس هناك، وقال للسيد:

«لعل السيد المحترم رأى ابنى ياسا؟»

«تفضل، استرح»، أجاب السيد «عسى أن ترى ابنك، لو جلست هنـا»

فأوحت نفس الرئيس إليه، أنه ربما يرى ابنه لو جلس إلى السيد. فامتثل أمره. وجلس فى ناحية، بعد تسليمه على السيد بما يناسبه.

والتفت إليه السيد. وشرح له المبدأ. وأوضح له منافع الصدقة، والخلق الكريم، والسماحات. وحدث إليه عما في الشهوة من الشقاء والكذب، وخلوها من النفع. وأبان له فضائل الزهد. وتأثر الرئيس بما قال له السيد، وآمن بالمبدأ، وفارقته شكوكه وهواجسه من آخرها. وأصبح لا يعتمد إلا على ما نصحه السيد. فقال:

« ما أحسن هذا الكلام! يا سيدي! ما أعظمه! »

« تفضل علي أيها السيد. فدلني على الطريق. بأساليب متنوعة، ناهرة. كأنه أعاد المقلوب إلى حالته الأصلية. أو أزاح الستار عن المخفي. أو هدى الطريق لمن ضل سبيله. وأضاء الظلمة الحالكة.

لا ريب. إن من أوتي البصيرة، رأى الأشياء بنور البصيرة.

أنا الآخر يا سيدي أبايعك وأومن بالمبدأ والشريعة. مما آمن بها النساك.

« أفلا يتفضل السيد بقبولي كأحقر تلاميذه منذ اليوم؟ أنا الكائن الذي أتاك مستعيذا وباحثا عن الملجأ. »

وكان الرئيس أول فرد من الشعب. اعتصم بالأقوال الثلاثة.

وبينما السيد يرشد الرئيس ويعلمه المبدأ. تأمل ياسا ابن الرئيس، في المعرفة التي ينتهي إليها، ويدركها. وتحرر عقله من الفساد، كامل التحرر.

وأدرك السيد تحرر عقله من الفساد، وأحس بأن لا شيء في العالم يغريه أو يرده إلى الحياة الدنيا. أو يحرضه على الاستمتاع باللهو والطرب، كما فعل حين عاش عيشة منزلية. ولم ير السيد، إذ ذاك، بأسا في إزاحة القوة الروحية التي حجبت الابن عن عين أبيه. فوقع بصر الرئيس على إبنه، وهو جالس جنبه، وتبينه وقال:

« ياسا، عزيزى، أمك حزينة، تنوح بك. اسرع إليها، لتعيدها إلى حياتها. »

فنظر ياسا. إلى السيد يستفهم رأيه. فالتفت السيد إلى الرئيس قائلا:

« ماذا ترى الآن، يا أيها الرئيس»؟ رأى ابنك المبدأ. وهو ناقص البصيرة والمعرفة مثلك. وتأمل فى أطوار المعرفة التى ينالها البشر ويدركها. فتحرر عقله من الفساد تحررا كاملا. أفحسبت أنه يرتد إلى الحياة الدنيا. وينهمك فى اللهو والطرب. كما أسلف وهو يعيش عيشة منزلية؟ »

« كلا. » أجاب الرئيس. « يا سيدى المحترم ».

« ياسا صاحب المنزل. الشاب الصالح عرف المبدأ وهو ناقص البصيرة. كما فعلت أنت. لكنه تأمل فى أطوار المعرفة التى يدركها فتحرر عقله من الفساد.

« ولا يمكن، أن يعود إلى الحياة الدنيا أو ينهمك فى اللذات — كما فعل، وهو فى بيته. ذلك هو الفوز العظيم. أن تحرر عقل الشاب الصالح من الفساد. »

« هل يتكرم السيد أن يقبل طعام اليوم منى. ويشاركه ياسا كتلميذ جديد؟ »

فسكت السيد، مما دل على رضائه.

وأحس الرئيس رضاه، وفرح. وقام من المجلس. سلم على السيد. وطاف به عن يمينه واستأذنه إلى البيت.

وقام ياسا إلى السيد بعد رحيل الرئيس. وقال:

« هل حان لى أن أتلقى من السيد. بباجا. وأعتنق الشريعة؟ »

فأهاب السيد بالنساك. وقال لهم:

« إن أحسن ما يعلم هو هذه الشريعة، عيشوا عيشة دينية تامة. قضاءا على الالآم كلها. »

وتشرف يأسا باعتناق الشريعة. وأصبح فى العالم حينذاك، سبعة أرهات.

قوانين للتلميذ. وآداب يوم الصوم للشعب

صدرت القوانين العشرة التالية. حين اعتنق التلميذان الشريعة على يد ساريبوتا، أحد حوارى بوذا.

يلزم الخمسة الأولى منها جميع الشعب. ويراد بالقانون الثالث — للنساك خصوصا — العزوبة. ولا بد للجميع من المحافظة على القوانين الثمانية أيام الصوم. القوانين التسعة الأولى ذلك بادغام السابع فى الثامن وجعلهما واحدا.

قوانين التلميذ

أدون لكم يا نساك! عشرة قوانين. لا مناص لتلميذ من دراستها والمحافظة عليها.

١ التورع عن أخذ الحياة.

٢ « عن أخذ مالا يؤذن به.

٣ « عن الدعارة.

٤ « عن الكذب.

٥ « عن شرب الخمور. والمسكرات، والمشروبات الحامية، مما تسبب الاهمال والغفلة.

٦ « عن تناول الطعام فى غير وقته (بعد الظهر)

٧ « عن الرقص والغناء والموسيقى ومشاهدة الملاهى.

٨ « عن استعمال الأزاهير والرياحين، والعطور والزيوت، مما تعد من وسائل الزينة.

٩ « عن استخدام السرير المرتفع أو الكبير.

١٠ التورع عن قبول الذهب والفضة.

آداب يوم الصوم للشعب

ينبغى لتلميذ نجيب أن يتدبر، أن أرهات يتورع عن أخذ الحياة ويمتنع عنه طيلة حياته. ويعيش — ما عدا استخدام العصى والسكاكين — عيشة بسيطة، مفعمة بالكرم والعفو. والصبر، ساعيا لفلاح كل من يتنفس فى العالم.

أنا كذلك، أتورع اليوم ليلا ونهارا، عن أخذ الحياة وأمتنع عنه. وأسعى إلى فلاح كل كائن حى. وأقتدى أرهات بهذا العهد وأحافظ على يوم الصوم. ويحرص على يوم الصوم بهذا العهد.

يتورع أرهات طيلة حياته، ويمتنع عن أخذ ما لا يؤذن له به. آملا وآخذا ما يؤذن له. ويعيش عيشة زكية. لا يسرق.

أنا كذلك. أتورع اليوم وأنأى عن أخذ ما لم أوذن له، آملا وآخذا ما أوذن لى وأعيش عيشة زكية. لا أسرق.

يتورع أرهات، طول حياته، عن الدعارة. ويحرص على عفة النفس. وكبح جماحها. وينأى عن ملامسة النساء. العمل الشائع.

أنا كذلك، أتورع اليوم ليلا ونهارا، عن الدعارة. وأحرص على عفة النفس وكبح جماحها. وأنأى عن ملامسة النساء، العمل الشائع.

يتورع أرهات طوال حياته عن الكذب، ويصدق القول صدقا يعتمد عليه ويوثق به. لا يخدع الناس.

أنا كذلك، أتورع اليوم ليلا ونهارا، عن الكذب وأنأى عنه. أصدق القول صدقا يعتمد عليه ويوثق به. ولا أخادع الناس.

يتورع أرهات، طول حياته، عن ما تأتيه بالغفلة. من شرب الخمور،

والمسكرات. والمشروبات الحامية.

أنا كذلك. أتورع اليوم ليلا ونهارا. عما تأتينى بالغفلة، من شرب الخمور والمسكرات. والمشروبات الحامية.

يتناول أرهات طول حياته. طعامه فى الوقت المقرر. ويتورع عن الأكل ليلا. ويتجنب عن الأكل فى غير وقته.

أنا كذلك. أتناول طعام اليوم فى الوقت المقرر. وأتجنب عن الأكل ليلا.

ويتورع أرهات طول حياته. عن الرقص والغناء والموسيقى، ومشاهدة الملاهى، ولا يستعمل الأزهار والرياحين. والعطور. والزيوت. مما يعد من وسائل الزينة.

أنا كذلك أتورع اليوم. ليلا ونهارا عن الرقص والغناء والموسيقى ومشاهدة الملاهى. ولا أستعمل الأزهار والرياحين والعطور والزيوت. مما يعد من وسائل الزينة.

ويتورع أرهات طول حياته. عن النوم على سرير مرتفع أو كبير. ويؤثر لنفسه سريرا وضيعا. أو حصيرا منسوجا من الحشيش.

أنا كذلك أتورع اليوم. ليلا ونهارا عن النوم على سرير مرتفع أو كبير. وأوثر لنفسى سريرا وضيعا أو حصيرا منسوجا من الحشيش. وأتشبه بأرهات فى المحافظة على هذه العهود الثمانية، وأقضى يوم الصوم.

حافظوا على يوم الصوم بهذه العهود.

موعظة السيد لسونا

يمثل البيان التالى ما تحتوى عليه الخطب الكثيرة من القصص ولها — فى الغالب — مرتبة ثانوية فى المأثورات. بيد أنها توضح لنا معاملة بوذا مع أفراد الشعب.

استوحش تلميذ كثرة القوانين، وصعب عليه اتباعها، فجنح إلى الارتداد عن الشريعة. ودعا السيد هذا التلميذ، وسأله إذا كان فى وسعه العمل بثلاثة قوانين لا غير. ورضى التلميذ، فأمره بوذا أن يحافظ على أبواب الجسم، وهى الكلام والفكر. وأن لا يسيء عمله أو قوله أو فكره.

بلغنى أن السيد نزل مرة على راجا جاها. وطاب له المقام على قمة صخور النسر.

وكان الناسك سونا. إذ ذاك قاطنا فى غابات سيتا، الواقعة فى راجاجاها نفسها. وبينما كان هذا الناسك مغرقا فى التأمل، خطر بباله يوماً، أن أتباع السيد يعيشون عيشة فعالة، وأنا أحدهم. ولم يتحرر عقلى بعد عن الفساد، ولا أزال أحس بالفرح فى أسرتى وعشيرتى. أ فلا يمكن أن أجمع بين الحياة الدنيا، والأعمال الصالحة. فأتمتع بمباهج الحياة من ناحية. وأعمل صالحا من جهة أخرى. فماذا بى لو عدت إلى الحياة الدنيا عن السلوك؟ »

وأحس السيد ما خامر تلميذه من الهواجس فقام عن صخرة النسر، وغاب عنها، كما يمد الرجل القوى ذراعه ويثنيها، أو كما يثنيها ويمدها، وكان فى خطفة البصر أمام تلميذه سونا فى غابة سيتا، ينظر إليه وجها لوجه. ثم جلس فى محل يليق به.

ورأى سونا السيد، فسلم عليه وجلس فى ناحية. فخاطبه السيد:

« سونا! ألم يخطر ببالك حين إمعانك فى التأمل أن أتباع السيد يعيشون عيشة فعالة، وأنا أحدهم، ولم يتحرر عقلى بعد تحررا كاملا ولا أزال أشعر بالفرح فى أسرتى، أ فلا يمكن أن أجمع بين الحياة الدنيا والأعمال الصالحة. فما يمنعنى لو أهجر السلوك، إلى الحياة الدنيا؟»

«هو كذلك» أجاب سونا.

«قل لي إذن» قال السيد «هل كنت بارعا في عزف العود، يوم كنت تعيش عيشة منزلية؟»

«نعم.»

«هل استطعت العزف بعودك، إذا ما أسرفت في شد أوتاره؟ وهل أمطر عودك أنغاما حلوة، وهو مشدود الأوتار أكثر مما يجب؟»

«كلا، يا سيدي»

«أو فاستطعت العزف به، إذا ما أفرطت في إرخاء أوتاره. هل نثر عودك، أنغاما حلوة، وهو محلول الأوتار أكثر مما يجب؟»

«كلا، يا سيدي»

«إذن، هل أمطر عودك أنغاما حلوة، حين اعتداله في أوتاره، شدا وفكا؟»

«أي وعمرك، يا سيدي»

«هكذا، يا سونا، يفضي النشاط المفرط إلى التحريض المفرط، كما يفضي التفريط في النشاط إلى الكسل. فهلا حاولت، يا سونا، لاعتدال النشاط، وهلا سعيت لاتزان الكفاءات والمقدرات، فحصلت على هدفك.»

«سمعا وطاعة» أجاب الناسك سونا.

وقام السيد بعد موعظته، وكما يمد الرجل القوى ذراعه ويثنيها أو كما يثنيها ويمدها، غاب عن غابة سيتا إلى صخرة النسر.

أما سونا فحرص على اعتدال الكفاءات واتزان المقــدرات، فأثمر مسعاه ووصل إلى ما ابتغاه.

وما هى غير أيام، حتى عرف سونا المنعزل الحذر، الساهر، غاية الحياة الدينية العظمى، معرفة عليا. وأدرك الغاية التى يهجر الشباب لأجلها الحياة المنزلية، إلى حياة لا منزل فيها. وأخلد إلى هذه الغاية. كما أدرك أن التجدد فى المواليد قد إنتهى، وأن الحياة الدينية قد تمت، وتحقق ما كان ليتحقق. ولم يبق شىء لهذه الحياة. فأصبح «أرهات».

وأراد سونا — حالما نال مقام أرهات — أن يزور السيد، ويطلعه على فوزه بادراك المعرفة.

فوصل إلى السيد ودنا منه، وسلم عليه، وجلس متنحيا، وقال:

«إن الناسك — الذى أصبح أرهات، وقضى على الفساد، واستكمل حياته، والذى تقطعت له قيود الوجود، وتحرر متحليا بالمعرفة التامة — منتبها إلى الأهداف الستة، وملتفتا إلى إنكار الذات، والعزلة، والتحرر من الخبث، والقضاء على الشهوة والبخل، والتبرؤ عن الارتياب.

بنت الحائك

ورد البيان التالى فى «دهمباداء»، وهو مجموعة من ٤٢٣ شعرا:

وفى يوم من الأيام، وصل السيد إلى «الآوى» فانتشر الفرح بين الأهالى، وتصدقوا صدقات، ودعوا السيد إلى مأدبة.

ولما فرغ السيد من الطعام، قام يشكر المضيفين، وقال:

«الحياة مرتابة، والموت محتوم، فلا محيد لى عن الموت، إليه تنتهى الحياة، وعليكم بالتفكر فى الموت، واستذكاره.

«من لم يفكر فى الموت، مثله — فى آخر لحظاته — مثل من تفاجئه حية سامة، فيستولى عليه الذعر ويقضى نحبه فزعا.

«وأما من أخذ نفسه على التفكر في الموت، فمثله مثل رجل حازم بصر بحية سامة عن جنب. فلقطها على عصاه ونبذ به وراء ظهره. فلا خوف عليه حين جوده بأنفاسه الأخيرة. فعليكم بالتفكر في الموت.»

انتهى السيد من الخطاب.

واضطرب الناس فيما يضطربون من أمور الحياة إلا بنتا لحائك، بلغ منها كلام السيد كل مبلغ وكانت إذ ذاك في ١٦ من عمرها. وقالت لنفسها:

«ما أعجب كلام بوذا: لأتفكر في الموت» وأخذت نفسها على التفكر في الموت، ليل نهار، وارتحل السيد من المدينة إلى دير جيتاوانا. لكن البنت واصلت تفكرها في الموت ثلاثة أعوام متتالية.

وذات يوم، استيقظ السيد عند بزوغ الفجر. وبدأ يفكر في العالم. فصادمت البنت ذاكرتها. فاستذكرها. وأشفق عليها. إذ كان السيد يعرف أنها تواصل التفكر في الموت منذ أن سمعته ينصح بالتفكر في الموت، قبل ثلاثه سنوات. فراق السيد أن يذهب إليها ويضع عليها أربعة أسئلة. ويشجعها إذا أجابت إجابة شافية. وتدخل البنت العين ويفيد الناس والجماهير من حوارهما.

فخرج السيد من جيتاوانا مع خمسة مائة ناسك. ووصل إلى دير «أجاوالا» بعد عدة منازل. وهرع الناس إلى استقباله، ودعوه إلى طعام.

وبلغ البنت قدوم السيد، فهمست في نفسها:

«نزل علينا السيد، المرشد، الوالد جوتما الكبير. الذى يماثل وجهه البدر التمام.»

وترنحت طربا، واستحضرت في ذاكرتها، شخصه قبل ثلاث سنين، حين زارت هذا السيد الذهبي اللون.

كم سعيدة هي اليوم،

تتشرف بزيارة الشخص العظيم. وتملأ آذانها بصوته الحلو وحديثه الممتع عن المبدأ العجيب.

وبينما هي تستلذ بأفكارها، دخل عليها أبوها يهيب بها:

«بنتي العزيزة، طالبني بعض زبائني حلة أكملتها إلا قدر ذراع، وبودي أن أكملها اليوم، تعالى، جهزى لى المكوك.»

فقلقت وفكرت: أنا ذاهبة إلى سماع كلام السيد، ويريدنى أبى فى الوقت نفسه. أفأتمكن من سماع المحاضرة، لو أشتغل باعداد المكوك؟

وخشيت من غضبة أبيها إذا لم تعد له المكوك. وهدى تفكيرها إلى أن تجهز المكوك أولا، وتسلمها إلى ابيه. ثم تذهب إلى سماع الخطاب.

وجلست على كرسيها تجهز المكوك لأبيه. ورحب الأهالى بالسيد ترحيبا حارا. أخذوا منه كشكوله، وقاموا احتراما وشكرا على قدومه. وأجال السيد ناظريه فى الحضور ولم يجد بينهم البنت الصالحة، التى قطع من أجلها مسافة ثلاثين فرسخا. وعجب السيد ما منعها أن تستدر الفرصة! وعزم أن يرقب مجيئها إليه ولا يخاطب أحدا ولا يشكر الجمهور أو تحضر البنت. وجلس ساكتا صموتا.

وإذا سكت السيد، لا أحد فى العالم، ما بين البشر والآلهة، من يجرؤ على محادثته.

وجهزت البنت المكوك، ووضعتها فى سلة، وأخذتها إلى أبيها، ثم أتت إلى مجلس السيد. وجلست فى محل منزو، ترنو إلى وجه السيد.

رفع السيد رأسه، ونظر إليها نظرات أشعرت البنت بأن السيد — رغم هذه الجماهير — يريدها على الدنو منه، والحضور بين يديه. فوضعت السلة من يدها، وذهبت إلى السيد. باحثة فى نفسها عما تعرر نظرة السيد إليها.

وجال إذ ذاك بخاطر السيد: أن البنت لو ماتت كما يموت الجمهور، لبقيت حياتها الآتية مرتاب فيها. لكن لو حضرت إلى وحصلت على ثمار الدخول فى التعين، لكانت حياتها — بعد موتها — موقتة. وستولد فى سماء توسيتا. ولن تستكمل تحررها إن ماتت اليوم.

ووصلت البنت إلى السيد، واقتربت منه حتى دخلت فى نور الأشعة الستة المحيطة بالسيد، وحيته تحية لائقة، ووقفت قائمة فى ناحية. وسمع السيد تسليمها عليه، وترك سكونه الذى لزمه منذ جلوسه، فقال:

«بنتى! من أين أتيت؟»

قالت: لا أدرى.

قال: أين تذهبين؟

قالت: لا أدرى

قال: ألا تدرين؟

قالت: بلى، يا سيدى، أنا أدرى.

قال: أتدرين؟

قالت: كلا: لا أدرى

سمع الجمهور ما دار بينهما من التساؤل العجيب، وتذمروا، قائلين:

«يا للحياء! ما هذه البنت! تعدو طورها فتحاور السيد بما تشتهيه نفسه. هلا أجابت أنها قادمة من بيت الحائك، وأنها ذاهبة إلى مصنع الحائك، عندما سألها السيد من أين جئت، وأين تذهبين»

وأمر السيد الجمهور بالسكوت. ووجه الكلام إلى البنت:

«بنتى! لماذا قلت إنك لا تدرين، لما سألتك من أين أتيت؟»

قالت: يعرف السيد المحترم أننى قادمة من بيت الحائك، وسألنى رغم معرفته الجواب، فلا بد من أنه أراد بمسئلته: من أين ولدت هذا المولد. وأنا — كما يعرف السيد — أجهل جوابها.

قال السيد: صدقت، وأحسنت، ووفيت بالاجابة. ولما ذا قلت إنك لا تدرين، عندما سألتك أين ذاهبة؟

قالت: يعرف السيد المحترم أنى أحمل السلة، ذاهبة إلى مصنع الحائك، فمن اللازم أن السيد عنى بسؤاله: أين أولد أثر موتى من هذه الحياة، وهذا أمر لا يزال لى مجهولا.

قال: صدقت وأحسنت. ولما ذا قلت، إنك تدرين، حين سألتك ألا تدرين؟

قالت: أنا مؤقنة بموتى فقلت أنا أدرى.

قال: صدقت، وأحسنت. ولما ذا قلت إنك لا تدرين لما سألتك أتدرين؟

قالت: أنا موقنة بموتى، ولكن لا أعرف متى أموت وبأى أرض يجيئنى أجلى، وهل أموت ليلا أو نهارا، أو حين انبثاق الفجر. هذا كله لا علم لى بها بتاتا. فقلت أنا لا أدرى.

قال: أصبت فى الأجابة.

ثم صدق السيد أقوال البنت أمام الجمع، وقال مخاطبا الجمهور:

«لم يتوصل أحدكم إلى مغزى قول هذه البنت، فتذمرتم،

«ألا من لم يؤت عين الحكمة، ضرير لا يبصر، ومن أوتيها فبصر يرى»

ثم أنشد السيد:

«ألا! إن العالم ضرير لا يبصر شيئا.

«وقليل من الناس من يؤتون عين الحكمة، كما يتحرر الطير من القفص،
«وقليل من يفوزون بالجنة.»

وانتهى السيد من كلامه، ونالت البنت من ثمار الدخول فى العين، وأفاد الجمهور من موعظة السيد.

وأخذت البنت سلتها، ورجعت إلى أبيها وكان إذ ذاك نائما أعمق النوم، مستلقيا على الأرض. ولم تنتبه البنت إلى نومه. وناولته السلة. التى صادمت طرفا من أطراف المنوال، وسقطت على الأرض، محدثة ضجة عالية، فاستيقظ أبوها. فثار فزعا، وأمسك بالمنوال على غير هدى. وإذا بالللاطة تتحرك وتصيب البنت فى صدرها. وخرت البنت، ميتة لاحراك بها.

وتحامل الوالد، ونظر إليها، وهى طريحة على الأرض دامية الجسم، لم يبق فيها رمق من الحياة. فاستولى عليه عميق حزن، وبدأ يبكى عليها، ناعيا، ونادبا:

من لى، يذهب الحزن عنى؟

ثم أسرع إلى السيد وقص عليه ما جرى، والتمس إليه أن يزيح عن صدره كآبة الحزن.

قال السيد: لا تحزن، إن دموعك على موت ابنتك، تساوى البحار الأربعة، فى دورة حياة العالم غير المتناهية.

ثم أطنب السيد الكلام عن دوام حياة العالم. نخفت وطاة الحزن من الحائك، وتوسل إلى السيد أن يدخله الشريعة.

وما هو إلا زمن يسير، أن أدرك الحائك مقام أرهات، بعد اعتناقه الشريعة.

قصص المواليد

تبلغ قصص مواليد بوذا السابقة، نحو خمسمائه قصة. وامتازت كل قصة

بحادثة خاصة حدثت فى حياته الماضية. مثلا ارتداد ناسك عن المبادئ، أو قيام أحد الاتباع بعمل مجيد. وما إلى ذلك.

ويحدث بوذا، عن ماضيه، قصة تكون عواملها — عموما، نفس ما يدعو إليها بوذا فى حياته الحالية. ويظهر بوذا فى تلك القصص بمظهر بوذى استنا.

وكثيرا ما تكون هذه القصص لا تزيد عن كونها أساطير الناس، وهى أقدم حتى من البوذية نفسها، ولا يكون لها مغزى. ومنزلتها منزلة الأمثلة فى «العهد الجديد». وأكثر الوعاظ من تداولها تداول الأمثلة فى العصور الوسطى، ولا تزال منها بقية باقية يحدثها الوعاظ فى سيلان وغيرها من البلاد البوذية حين دعوتهم إلى البوذية.

قص السيد القصة التالية عندما كان ساكنا فى جيتاوانا، وتدور القصة حول تابع من أتباعه الأوفياء والراسخين فى الشريعة:

قام هذا التابع المخلص الوفى الصالح يوما، يسير إلى جيتاوانا، فوصل مساء على شواطئ نهر آسى راوتى، والسفن كلها راسية. وذهب أربابها يسمعون الخطبة، فخار التابع لما لم يجد ولو قاربا فى الميناء. ثم أشعل فكره بتصور بوذا ونزل فى الماء، فلم تنغمس قدماه فى الماء، ومشى على الماء مشيته على الأرض الجافة. وقطع من الطريق نصفه، حتى رأى الأمواج الهائلة، وتشتت فكره وتصوره لبوذا. فاذا بقدميه تغرقان فى الماء. لكنه تماسك وعاد إلى تصوره، وأكمل منه ما نقص، وجاوز البحر دون أن يصيبه ضرر ما. ودخل جيتاوانا، وسلم على السيد، وجلس فى مكان. وأعاد السيد إليه التحيات الودية، وسأل:

«تلميذى العزيز!، أأتعبك المشى فى الشارع؟»

قال التلميذ: «بل — يا سيدى — استغرقت فى تصورك.» واستعنته على

الماء. وجئت هنا كأنني أمشي على الأرض الغبراء.»

قال السيد: ولست أنت الوحيد الذي أدركته النجدة لتصور بوذا. وإنما كانت في قديم الزمن سفينة أحدقت بها العواصف وسط البحر. فتصور الركاب — وهم رجال الشعب — بوذا. وتذكروا فضائله. فأتاهم العون من حيث لا يحتسب.»

وألح الاتباع على السيد. أن يقص عليهم القصة بطولها. فقال:

لقد كان في زمن من الأزمان — أيام بوذا كاسابا المتنور — تلميذ دخل الطريق الأول. وركب هذا التلميذ سفينة. يصحبه حلاق وهو كان من أصحاب المنازل. وقالت للتلميذ زوجة الحلاق حين خروجهما:

«عليك الاعتناء بزوجي. فما أصابه من السراء أو الضراء فمن لدنك»

وأقلعت السفينة مراسيها. تجري بهما في البحر. حتى إذا جاء اليوم السابع، خضعت السفينة للنوائب وتحطمت وسط البحر. واستند الصديقان إلى قطعة خشبية من حطام السفينة. وسبحوا في البحر حتى قذفتهم الأمواج على جزيرة مجهولة. فصاد الحلاق طيورا وطبخها واقتات بها وعرض المطبوخ على التلميذ العامي. فقال «حسبك هذا القوت، أنا لا آكل»

وعن للتلميذ أن ليس له في المكان القفر ملجأ إلا أن يلتجي إلى الجواهر الثلاثة. فركز تفكيره فيها. فظهر ناجا — العفريت — نتيجة لتصوره واستحال إلى سفينة كبيرة، وأصبح أحد آلهة البحر ربانها. والسفينة مليئة بالأحجار الكريمة بسبعة أنواعها، ومن الياقوت الأزرق ثلاثة صواريها، ومن الذهب مرساتها، ومن الفضة حبالها. ومن الذهب أخشابها.

وانتصب إله البحر. في البحر. ونادى بصوت عال: «هل من كائن يريد الذهاب إلى جامبوديبا (الهند)؟»

« نحن، نريد الذهاب إليها ». بادر التلميذ. فدعاه الاله إلى الركوب، ولما ركب السفينة أهاب بالحلاق. فقال الاله:

« السفينة ذاهبة لأجلك. لا لأجله. لأنه لا يحافظ على فضائل الشريعة، وما جئت أنا إلا لأجلك. لا لأجله. »

« إذن ». قال التلميذ « قاسمته فى ما تصدقت وما حافظت على الشريعة، وما تصورته. »

أجاب الحلاق: « قبلت المقاسمة. »

قال الاله: « إذن لا بأس بمرافقته فى السفينة. » وأبحر بكلبها، حتى بلغ نهراً يتاخم بنارس، فأنزلها وأسبغ عليهما أموالا وافرة بقوته السحرية. وقال لهما:
« عليكم معاشرة الحكماء. فلولا معاشرة الحلاق هذا التلميذ، لقضى نحبه وسط البحر. » ثم أنشد:

« ألا ! إنه ثمار الايمان،
والفضيلة، والتضحية.
أن يتحول ناجا إلى سفينة،
ويحمل عاميا (تلميذا) إلى بيته.
ثم، ببركة المعاشرة الصالحة،
والمصادقة الحسنة،
والصداقة مع الآلهة،
يعود الحلاق إلى بيته سالما معافى ».

وأعلن إله البحر بالكلمات المذكورة، الشريعة وهو واقف فى الهواء، ثم عاد إلى مكمنه مع الملك ناجا.

وبعد أن جهر السيد بدعوته إلى المبدأ، أكد الحقائق، وأبان علاقة الولادة.

ودخل التلميذ الذى عبر البحر بتصوره، فى زمرة الذين يعودون إلى العالم مرة أخرى. كما فاز التلميذ بعقل الحكاية، الواصل إلى الطريق الأولى بالنجاة.

وقال السيد، بعد أن قص ما قص، أن سارى بوتا تقمص جسد الملك ناجا، وأنا تقمصت جسد إله البحر.

مولد الملك العادل

تقرب القصة التاليـــة، فى مغزاها — من المبدأ القائل بأن لا تدفع عنك الشيطان، وقدم خدك اليسرى إلى من لطم خدك اليمنى.

ولبـاب القصـة هو البطولة، وهى من الفضائل التى تخلق بها بوذىاستا فى المدارج المختلفة من سلوكه: أى التصدق، الخلق، الصبر، البطولة، المراقبـــة والبصيرة، وهى ما سميت بالكمالات الستة.

وفى الكتب المتأخرة فى اللغة البالية تبلغ هذه الفضائل إلى عشرة، وذلك باضافة الصدق والعزم، والحب والسكينة.

والقصة كما يلى:

كان برهمادتا، فى زمن من الأزمان، يحكم على بنارس. وولدت الملكة المحببة إذ ذاك بوذىاستا، وسماه الناس يوم احتفال تسميته «سيلاوا» (الحائز على الفضائل). ولم يكد يبلغ السادس عشر من سنه، حتى تخرج فى جميع العلوم والفنون، وخلف أباه بعد موته، وأثبت من نفسه ملكا حاكما عادلا، حتى دعاه الناس مهاسيلاوا. وبنى ستة مراكز خيرية، الأربعة منها أمام أبواب المدينـــة الأربعة، وأحدها فى وسط المدينة، وسادسها حيال مدخل قصره الخاص.

وتصدق علـى الرحالة الفقراء، وحرص على الشريعـة. وقام بواجبات يوم الصوم، وكان صابرا، عفيفا، رؤوفا، ولاطف جميع الحيوانات ملاطفـة الأب ابنه الجالس على فخذه. وملأ البلاد كلها عدلا.

وحدث يوما أن جاوز أحد وزرائه حد الحرمة فى القصر، واشتهر خطأه، وأبلغ الوزراء عـدوانه إلى الملك، وبحث الملك فى الأمر بنفسه، حتى أدرك حقيقته. ثم أرسل إلى الوزير المذنب وقال له:

«أيها الضرير الأحمق! أنت عدوت وطغيت فلا تستحق المكوث فى مملكتى، فاحمل معك أملاكك وزوجتك وعيالك، واذهب أينما تشاء.» ونفاه من البلاد، فغادر الوزير المنفى مدينة كاشى، إلى ملك كوسالا، وأصبح من متقربيه. وانتهز الفرصة يوماً، وقال للملك:

«يا صاحب الجلالة! إن مملكة بنارس كخلية نحل فارغة عن الحراس، ملكها كريم، ويمكن لصاحب الجلالة أن يقهر البلاد بقليل من الجنود.»

وخطر ببال الملك عند سماع قول الوزير إن مملكة بنارس مترامية الاطراف، لعل هـذا المستدرج إلى المخاطرة، أغراه أحد بالمال ليحرضنى على المغامرة، وتواجهنى عقبات، فقال:

«لعلك ارتشيت لتغرينى بذلك».

قال: كلا! يا سيدى، لست بمرتش، إنما أنا صادق فى قولى، وإذا أنت من قولى فى شك، فأرسل جندا ليغير عـلى بعض الأرياف المتاخمة. فسترى ملك بنارس يطلق سراح المغيرين حالما يلقى القبض عليهم ويحضر بهم إليـه، ويحبوهم مالا ونقدا.

ولمس الملك فى قول الوزير من حماسة، فأراد أن يختبر قوله، وأمر رجاله

بالاغارة على قرية من القرى المتاخمة. فأسروا وأحضروا بين يدى ملك بنارس، وسألهم «ما دعاكم — يا بنى — إلى تدمير القرية؟»

أجابوا: «لأننا تعوزنا أقواتنا».

قال: «فما منعكم أن تأتوا إلى. لا تعودوا إلى مثل هذا الفساد.»

ثم أعطاهم الملك المال وخلى سبيلهم.

فرجعوا إلى بلادهم وأخبروا ملك كوسالا عما جرى لهم. لكن الملك رغم ذلك لم يجرؤ على المغامرة. وارتأى أن يرسل كتيبة أخرى، تغير فى عقر البلاد. فأسبغ عليهم ملك بنارس أموالا ونقودا، كما فعل من قبل. وأطلق سراحهم. بيد أن الملك ما زال محتشما عن الاقدام بنفسه، وبعث برجاله لينهبوا شوارع بنارس عاصمة البلاد نفسها. وسار ملك بنارس سيرته الأولى. فأجزل للناهبين الأموال وسرحهم باحسان.

وطرقت الحادثة سمع ملك كوسالا. فاطمأن وتأكد من كرم ملك بنارس وعقد العزم أن يقهر بلاده فقاد جنوده إليها.

وكان لملك بنارس حينئذ ألف محارب جسور، ممن لا يولون أدبارهم. وإن دهمتهم أفيال مجنونة، ويثبتون أمام صاعقة هاوية على رؤسهم، وهم قادرون على أن يقهروا بلاد جامبوديا من أقصاها إلى أقصاها. إذا أشار عليهم الملك بذلك. ولما بلغهم إقبال ملك كوسالا إلى بنارس. أسرعوا إلى عاهلهم وقالوا:

«يا صاحب الجلالة! أقبل إلينا ملك كوسالا بجنوده الكثيرة. ويبغى النيل من المملكة، فاسمح لنا أن نناجز هـذا الطاغية، ونتخذه أسيرا قبل أن يتعدى الحدود إلى البلاد.»

قال الملك : يا بنى ! لن تصيبن أحدا مصيبة من أجلى . لا يرضينى أن يقتل أحد فى سبيلى، دعوهم وشأنهم يستولون على البلاد، إذا كانت بغيتهم ذلك»

وحظر الملك على محاربيه أن يذودوا عن البلاد .

وجاوز ملك كوسالا ، الثغور ، ودخل عقر البلاد . فعاد وزراء ملك بنارس إلى عاهلهم يطلبون منه أن يسمح لهم بالدفاع . لكن الملك لم يستجب طلبهم.

وألقى العدو رحاله خارج المدينة، وبعث إلى ملك بنارس أن يتنازل عن الملك أو يخرج للحاربة ، فرد ملك بنارس على رسالته :

« مالى وللحرب، ليأخذ البلاد . »

فأتى إليه وزراؤه ، وتضرعوا إليه، أن لا يأذن للعدو بالدخول فى المدينة، وأن يقاومه ويأسره خارج المدينة. غير أن الملك رفض مرة أخرى. وأمر بفتح أبواب المدينة، وجلس فى القاعة الكبيرة على عرشه، يحيط به وزراؤه الألف.

ولج ملك كوسالا المدينة مع جنود كثيرة العدد والعدة . ولما لم يجد أحدا يدافعه، مشى إلى القصر. حتى إذ جاءه وفتحت أبوابه، دخل الغرفة الملكية المزينة الغاصة بالوزراء. وأصدر القرار بالقاء القبض على الملك سيلاوا، البرىء من الذنوب، وكان حينذاك جالسا فى حلقة وزرائه الألف، وقال لخدمه :

«شدوا هذا الملك ووزراءه وأوثقوا أيديهم على ظهورهم، وسوقوهم إلى مدفن، وادفنوهم حتى أعناقهم، واردموا أجداثهم، كى لا يتمكنوا من تحريك يد واحدة. وتأتيهم بنات آوى ليلا فتنصف منهم ! »

وامتثل الخدم أمر ملكهم الطاغية، وكتفوا الملك المظلوم ووزراءه، وشدوا بهم الوثاق. وساقوهم إلى المدفن .

وأما الملك سيلاوا، فلم تختلج فى صدره أية فكرة للعدوان أو السخط على

الطاغية. حتى حين كان يكتف. وما كان لأحد من وزرائه أن يعصى أمر مالكه، لأن نظامه كان إلى هذه الدرجة من الاتقان. ودفن الخدم المظلومون حتى أعناقهم. وجعلوا الملك فى الوسط والوزراء على الجانبين. وردموا الحفر وأحكموا ردمها. ولما اطمأنوا أنهم لا يستطيعون حراكا، ذهبوا إلى سبيلهم.

والتفت الملك المدفون إلى وزرائه ونصحهم بأن لا يحقدوا على الطاغية. بل يشعروا نحوه بالصداقة.

وأتت بنات آوى ليلا لتأكلهم.

وما إن رآها الملك ووزراؤه، حتى صاحوا صيحة واحدة. أرهبت بنات آوى. ففرت وتفقدت — بعد هنية من الزمن — إذا كان أحد يعاقبها. فلم تحس بوجود أحد، وتقدمت مرة ثانية تقترب إلى المدفونين. وصاح الجمع ثانية، ففرت وتكررت الحادثة ثلاث مرات، أقبلت بنات آوى وولت على صياح المدفونين، إلى أن استيقنت أنه ليس هنا من يتعرض لها. وفطنت أن هولاء محكومون عليهم بالموت. فتشجعت. ولم تهرب على صوتهم. وعمد أكبرها إلى الملك بينما قصدت البقية إلى الوزراء.

وكان الملك ذا ذكاء. فأدرك أن بنت آوى، تزحف إليه. فأدلى بعنقه. كأنه يكشف لها عن حلقومه، فاقتربت، لكن الملك لم يدعها تعض، بل أمسك عنقها بأسنانه. وأحكم القبض كمنجل.

فلما وجد الحيوان أسنان الملك القوية كأسنان الفيل قابضة على رقبته، بحيث جعلته عاجزة عن حركة خاف على نفسه الموت، وخرجت منه صيحة مفزعة تنم عن الألم المبرح. وسمع أترابه الصيحة، وظنت أن رئيسها وقع فى الشراك، فذعرت ولم تجرء إحداها على التقدم إلى الوزراء، وفرت بأنفسها حذر الموت.

وأما الحيوان، صيد الملك، فأخذ يجاهد لتخليص رقبته من أسنان الملك، المباعدة فى القبض. فالتف الساق بالساق، متقلبا وراء الخلاص. فبدأت الأرض حديثة الردم تتفكك، ومخالب الحيوان، تحفرها شيئا فشيئا، حتى خرج صدر الملك من الأرض. وأدرك الملك بتفكك الأرض، فخلى سبيل صيده. وتحرك بقوته الهائلة التى تضارع قوة فيل يمنة ويسرة، حتى استطاع ان يخرج يديه وأزاح بهما التراب من حول جسمه، ووثب إلى الأرض، كانه سحاب يسرع مدفوعا بالأرياح الشديدة. ثم سلى وزرائه عن ما هم فيه من البلاء. وأخرجهم من أجداثهم، ووقف وسط المدفن محاطا بوزرائه.

وفى هـذا الوقت، رمى بعض الناس، إلى المدفن بجثة ميتة، سقطت على الأرض حيث تتصل ثغور البلدين للاثنين من ياكشا (العفريت). وتخاصما فى قسمة الغنيمة، حتى عجزا عن المقاسمة، فاتفقا على أن يتحاكما إلى الملك سيلاوا، فأتيا إليه، يجران الجثة برجلها. وقالا:

«أيها الملك العادل! أقسم لنا هذه الجثة وسلم إلى كل واحد منا نصيبه.»

قال الملك: «سأقسمها لكما، وأعطى كلا منكما نصيبه، بيد أنى نجس، لا بد لى أن أستحم قبل كل شيء.» فأعمل العفريتان قوتهما الخارقة، وأتيا له بالماء المعطر الذى كان معدا للملك الطاغية وقدماه إلى الملك سيلاوا، ليغتسل به.

وبينما الملك، يستحم، أحضر له العفريتان بالملابس الفاخرة التى جهزت للطاغية، فلبسها الملك، ثم أحضرا له صندوقا من الروائح الأربعة، فتعطر بها الملك. وتجمل بأنواع من الأزهار، المرصعة على المراوح المجوهرة، موضوعة فى سلة ذهبية.

ولما أكمل من زينته، بالأزهار والرياحين، سأله العفريتان:

«ألنا خدمة نقوم بها لك؟»

فأشار الملك عليهما بأنه جائع. فأحضرا له الطعام الفاخر المعد للطاغية. فشبع الملك. ثم أحضر له العفريتان مشروبا معطرا فى كاس ذهبى موضوع فى طست ذهبى، كان معدا للطاغية. فشربه الملك ومضمض، وعندما غسل يديه أحضر له العفريتان بنانول الطاغية، وكان مزيجا من الروائح الخمسة. فمضغه الملك مضغا.

وسأله العفريتان:

«أبق لنا خدمة نؤديها لك؟»

قال الملك، «اذهبا واتيانى بسيف الملك الطاغية. وستجدانه ملق عند مخدته»، فأتيا له بالسيف المطلوب. وتوشحه الملك. ثم سوى الملك الجثة المتنازعة فيها، وقطعها من هامته إلى قدميه قطعتين. وأعطى لكل منهما نصفه الكامل، ثم نظف السيف واستوى قائما، مقلدا سيفه.

وانقض العفريتان على الجثة، حتى التهماهـا. وكان مسرورين بقضاء الملك، فقالا له:

«هل بقيت لنا خدمة أخرى نقوم بها لك؟»

قال الملك: «نعم، احملانى بقوتكما السحرية إلى غرفة الملك الطاغية، وأوصلا كل وزير إلى بيته.»

فامتثلا أمر الملك، فكان فى خطفة البصر وسط الغرفة الملكية. وكان الطاغية، إذ ذاك، يتنعم بالنوم الهنيء، مستريحـا على الفراش الملكى، فى الأبهة الملكية. فقرعه الملك سيلاوا بقبضة سيفه، ليتنبه من النوم. فثار فزعا مرعوبا، ووقع بصره على الملك سيلاوا، وعرفه بضوء السراج المضيء، فنهض من الفراش، وقام — مستعيدا شجاعته — وجها لوجه الملك سيلاوا، وقال:

«أيهـا الملك! إن الليل حالك، والحراس على المنزل، والأبواب موصدة،

لا يتيسر لشيء أن يتسرب إلى هنا، فأنى لك أن تلج غرفتي على رؤس الرقباء والحراس، أنا أراك عند فراشي، مكتمل الزينة متقلد السيف؟»

فحكى له الملك سيلاوا ما جرى بتفاصيله فبهت الطاغية وما تمالك إلا أن قال:

«أيها الملك! لك مقام رفيع معروف لدى العفاريت، المخلوق المفترس، العائش على اللحم والدم. أما أنا، وإن كنت بشرا، فقد عجزت عن معرفة منزلتك العظمى، أنى لى أن أعاديك بعد ما رأيت ما رأيت. ثم حلف بالسيف. والتمس العفو عن زلته، وتنازل له عن الفراش الملكي، واستلقى على كنبة صغيرة.

ولما انشق الفجر، وطلعت الشمس أمر بدق الطبول وجمع كبار التجار والوزراء والبراهمة. وأصحاب المنازل وأبان أمامهم فضائل الملك سيلاوا. وطلب إلى الملك على رؤس الأشهاد أن يعفو عنه. ورد مملكته إليه، وقال:

«أعاهد على نفسي منذ اليوم، أن أدافع عنك كل من يطغى عليك، فاحكم أنت على بلادك وأنا حارسها.»

ثم حكم على الواشي المحرض بالموت. وارتحل في جنوده إلى بلاده.

وجلس الملك سيلاوا — هكذا — على عرشه الذهبي مرة أخرى. ولبس الخلعة الملكية، وكانت على عرشه مظلة بيضاء، وقوائم العرش كقوائم الغزلان، فنظر إلى فخامة شأنه، وأسر في نفسه: ولو لم أكن شجاعا، ثابتا على ما أردت، لما استعدت هذه الفخامة، ولما تمكنت من استرداد حياة هؤلاء الوزراء، فالفضل كله يرجع إلى البطولة. وهي من أهم ما يجب على الرجل، مع ثبوته على ما يريد. فنضج الأثمار الطيبة — هكذا — لمن يعتصم بالبطولة، ثم جهر برزانة ووقار:

«على كل فان أن يسعى ثم يسعى،

«على العقلاء، أن لا يخضعوا.

إنه لحقيقة صادقة، شاهدتها فى حظى برزت لى، وفق ما كنت أتمنى»

وبعد أن نطق بوذى استا فى البيت، بحديث وقور خطير كهذا، قال فى نفسه:

«ما أنضج ثمار البطولة، بين من يؤتون الفضائل، ويحيون حياة حسنة، بعد أن عملوا حسنات، جزاء أعمالهم.»

المدينة ذات الابواب الاربعة

هذه القصة مشهورة، عالجها الشعراء البوذيون فى عدة مكاتبهم. وهى تشرح لنا أربعة أشكال من الخسة يتقمصها الفرد فى أدوار حياته، وهى (١) صاحب الجنة (٢) عفريت (٣) حيوان (٤) بشر (٥) إله.

وتريد العقيدة الهندوسية من العفريت من لم يتيسر له مراسم الدفن اللائقة. لكن البوذية تراها دورا مستقلا، من الأدوار. ليكفر المولود عن بعض ذنوبه.

قد كان فى الأزمان الغابرة، تاجر كبير أيام «كاسابا» صاحب القوات العشرة، وكان لهذا التاجر ابن يدعى «ميتاوينداكا». ونال أبواه الرحلة الأولى من الطريق السوى. لكن الابن ما زال شريرا منكراً، ملحدا.

ولما مات أبوه، تسلمت أمه إدارة شؤون المنزل. وقالت يوما لابنها: يا بنى العزيز! أراك، تعجز عن الوصول إلى منزلة الانسانية فتصدق، وحافظ على الشريعة، واتبع أحلاف يوم الصوم، واستمع إلى المبدء.»

أجاب ابنها: «لا رغبة لى فى التصدق وغيره، لا تقولى لى عنه شيئاً، سأزر وزر أعمالى.» لكن أمه لم تغفل عنه، وتحينت فرصة أخرى تسنح لها، فقالت

له فى يوم من أيام الصوم حين كان البدر فى تمامه :

« يا بنى ! يعتبر اليوم، أعظم يوم الصوم، فعاهد على نفسك بعهود يوم الصوم، واذهب إلى الدير. واستمع إلى المبدء طول الليل، وسأعطيك ألف قطعة من النقود. »

قال « بكل سرور، يا أمى . »

فآلى على نفسه بعهود تخص يوم الصوم، طمعا فى المال. وتناول الطعام مبكرا. وذهب إلى الدير. ومكث به طول النهار، حتى جاءه الليل، فاستلق فى ناحية ونام، لئلا يجد المبدأ إلى سمعه سبيلا.

وفى اليوم التالى، غسل وجهه، وعاد إلى البيت. وكانت أمه تظن أن ابنها يعود إلى البيت مبكرا، ويأتى بالناسك الذى ألقى الخطبة فى المبدء البارحة، فأعدت العصيدة والأطعمة الأخرى ناعمها وناشفها وأعدت مقعدا، وانتظرت رجوع ابنه، فلما رأته يعود وحده. هتفت به « يا بنى، لم لم تات بالمرشد معك ؟ »

أجاب الابن : « ما بى حاجة إلى مرشد »

قالت : إذن، اشرب العصيدة. »

قال : « وعدتنى ألف قطعة، من النقود، فهاتها أولا، ثم اشرب العصيدة. »

قالت : إشربها أولا، وتأخذ النقود. »

قال : « كلا ! لن أشربه، إلا بعد الحصول على النقود. » فاضطرت أمه، ووضعت أمامه حزمة النقود. فشرب الابن العصيدة. وأخذ الحزمة.

وأخذ يتجر بهذه النقود، وسرعان ما اكتسب مليونين. فبدأ له أن يشترى سفينة، ويخرج فيها تاجرا. وعرض فكرته هذه على أمه، فقالت له تمنعه عن الذهاب :

«أنت ابنى الوحيد، ودارى هـذه مليئة بالأموال الوافرة، والبحر مفعم بالأخطار المهلكة، فاعدل عن فكرتك».

قال: ما لك أن تمنعينى. سأذهب».

فتقدمت إليه قائلة: «لكنى سأمنعك، وأمسكت بيده، لكنه دفعها وضربها وطرحها أرضا، وأقفل الباب عليها. وركب السفينة، وفك مراسيها.

وفى اليوم السابع توقفت السفينة وسط البحر، لا تسير ذراعا. وذلك لشقاءه. فاقترع الناس لمعرفة الشقى الذى أوقفت شقاوته السفينة. وخرجت القرعة ثلاث مرات باسم ميتاوينداكا. فصاح به الركاب قائلين: لا نلقى الجميع إلى التهلكة لأجل هـذا الشقى. ثم أنزلوه فى الماء. فجرت السفينة تسرع بهم على أمواج البحر.

وما زال ميتاوينداكا عائما حتى بلغ جزيرة، وجد فيها قصرا زجاجيا، تسكنها أربع نسوة من العفاريت، ومن دأبهن أن يقضين أسبوعا فى العذاب والنكال، وأسبوعا آخر فى الاستمتاع بنعيم الحياة. فشاركهن ميتاوينداكا أسبوعا يتذوق نضرة النعيم، حتى إذا جاءهن موعـد التنكيل، قلن له: «نحن نذهب وسنعود إليك فى اليوم السابع. فلا تدع الحزن ينال منك، وأمكث هنا ريثما نعود إليك».

لكنه ما لبث أن أذعن لعواطفه، وأخـذ يعوم فى البحر، حتى انتهى إلى جزيرة أخرى، وتعرف فيها على ثمان نسوة من العفاريت، ساكنات فى قصر فضى، ووجـد هكذا فى جزيرة ثالثة ١٦ امرأة فى قصر مصنوع من الأحجار الكريمـة. وفى جزيرة رابعة ٣٢ امرأة فى قصر ذهبى، ذاق معهن من لذائذ الحياة ما اشتهته نفسه، حتى إذا جاءهن موعد التعذيب، اتخذ سبيله فى البحر سربا، حتى بلغ مدينة لها أربعة أبواب، ويحيط بها سور، فنزل عليها، وكانت المدينة

جهنم أسالا أعد لأصحاب الجحيم. يعذبون فيه جزاء أعمالهم، لكنها تراءت لميتاونداكا كمدينة رائعة جميلة مزينة، فأسر فى نفسه «سأدخل المدينة. وأكون عليها ملكا.»

فدخلها ورأى فيها كائناً تلفح النار وجهه، حاملا على رأسه عجلة معذبة لاحت لميتاونداكا، كزهرة اللوطس، كما ظهرت له الأغلال الخمسة على صدر المعذب، مظهر درع فخم، والدم المتقاطر من جسمه المكلوم كالدهان المصنوع من الصندل الأحمر، وأنات الكرب كأنها أغنية حلوة.

فدنا ميتاونداكا من الكائن المعذب، وقال له:

«صديقى العزيز، تزينت بهذا اللوطس، منذ أمد بعيد، فهبنى إياه الآن.»

أجاب المعذب: ما هو باللوطس، إنما هى عجلة التعذيب،

قال: «تقول ذلك، لانك لا تريد أن تعطينى.»

فعن للمعذب أن أيام عقوبته قد انتهت، ولم يظهر هذا الرجل إلا عقابا على ضرب أمه، كما فعلت أنا.

فقال: «إليك هذا اللوطس» ورمى بالعجلة على رأس ميتاونداكا، فكشحت جلده، وأعلنته حقيقتها، فصاح:

«هذه عجلتك، خذها»

لكنه لم يجد لصاحبه أثرا!

واتفق لبوذيءاستا أن يمر بجهنم أسالا، وكان فى حياته تلك ملك الآلهة. وبلغ الموقع فى رهط من أصحابه، وعرفه ميتاونداكا، وهتف به:

«يا سيدى! يا ملك الآلهة! وقعت هذه العجلة على رأسى، تسحقه وتصغره كبذرة فما ذنبى؟» وأنشد بيتين:

الأبواب الأربعة للمدينة، مؤصدة.

وسورها حديدى، محكم البنيان،
وأنا هنا موثق، ومحصور
ما هو الذنب الذى اقترفته،
ألا ! إن أبوابها مغلقة ومعقولة بالترباس وأنا محبوس كالطير فى القفس
ما هى أسباب ذلك، قل لى، يا ياكشا، لما ذا أنوء تحت هذه العجلة ؟»

وأنشد ملك الآلهة ستة أبيات يوضح فيها أسباب تعذيبه :
أقترفت مائة ألف ذنب بالاضافة إلى عشرين ذنبا
وإذا ما تحن عليك عشيرتك وقبيلتك لم تنصت إلى ما نصحوا لك .
خرجت فى البحر تقود سفينة ، والسفر فى البحر مغامرة،
فوصلت إلى أربع نسوة،
ثم إلى ثمان ثم إلى ست عشرة
ومن هناك وصلت إلى إثنتين وثلاثين امرأة،
ثم إلى عجلة، تطمع فيها،
جئت يقودك الهوى والطمع ،
والآن تدور العجلة فوق رأسك .
إلى المدينة الواسعة الكبيرة،
وصلت ، وأنت مليء بالطمع .
وإن من يسعى إلى هذه المدينة وراء شهوة،
يدخل فى زمرة حاملى هذه العجلة .
والذين يطمعون فى الثروة،
والذين لا يبحثون عن الطريق،
والذين لا يركزون أفكارهم فيه، .

يحملون هذه العجلة،
تدبر فى أعمالك، وتفكر فى أموالك الوافرة،
لا تطاوع الطمع، إذ لا يغنى عنك شيئا.
وأنصت إلى الذين يحنون عليك،
وإذا أصبحت، هكذا
لا تصل إليك العجلة.

وأدرك ميناوينداكا عند سماع الأبيات، أن ابن الآلهة يعرف حاله، ويحيط بأعماله خبرا، فلا بد أن يعرف مدى ما يتعذب فى النار فسأله ناشدا هذا البيت:

إلام — يا ياكشا — تبق على رأسى هذه العجلة المعذبة؟
قل لى، كم سنة تبقى؟
أتضرع إليك يا ياكشا.»

وأجاب الكائن العظيم:
«طال عذابك أم قصر،
اسمع إلى يا ميناويداكا،
إن العجلة وضعت على رأسك،
ولن تتخلص عنها ما دمت حياً.»

ثم ذهب الاله إلى مكانه، وازداد ميتاونداكا ألما وعذابا.

المسائل المعلقة

إن المسائل التى لم يقطع فيها بأمر، هى التى رفض بوذا الاجابة عليها.

قال بعض المفسرين، إن بوذا رفض الكلام على الالهيات. لكن رفضه يتعلق،

خصيصا. مما تحتويه هذه القائمة ولا يستوعب المواضيع كلها للالهيات.

وأما تحديد مدى ما تعالج البوذية، من الميتافيزيقا فهذا بحث يدور حول منازعة الألفاظ. فان خلود العالم، ونهايته ولا نهايته مسئلتان من مسائل فلسفة الكائنات. ولا يزال علماء الطبيعة يجادلون فيهما، ومسئلة الجسم والروح، اخترعها مكتب. ولا نبحث فيها البوذية بتاتا.

وأما مسئلة دوام وجود الانسان الناجي المتحرر. بعد موته. فتخرج — بحكم وضعها — عن نطاق الاجابة.

قال كاتب قديم. بلغني أن كان «السيد» مرة في ساواتي. يقيم في دير جيتاوانا تحيط به حديقة شهيرة باسم ثابنداك.

وانعزل الناسك مالون كيابوتا. يوماً. للمراقبة. فخطر بباله أن بعض المسائل لا زالت معضلة. لم يفسرها السيد بعد. بل يعرض عنها ويرفض شرحها، فلم يقل لنا هل العالم خالد أو ليس بخالد، وله نهاية أو لا نهاية له. ولم يفسر هل الروح والجسد في منزلة واحدة. أو هما متباينان. وأن الانسان المتحرر يبقى بعد موته أو لا يبقى بعد موته. أو يكون في حالة تخلو عن البقاء واللابقاء. هذه مسائل كلها لم يمط السيد اللثام عنها. فما يمنعني أن أذهب إليه وأطالبه بايضاحها. فان رضي وفسر داومت على الحياة الدينية مع السيد، وإن رفض هاجرت السلوك ورجعت إلى الحياة الدنيا.

فذهب مالونكيابوتا إلى السيد. وأعرب له عما عقد عليه العزم، فقال السيد:

«اسمع يا مالونكيابوتا، استمر في حياتك الدينية، ألم أقل لك هذا؟ وسأفسر لك أن العالم خالد أو ليس بخالد، والمسائل الأخرى.»

«لا يا سيدي المحترم»... قال مالونكيابوتا.

قال السيد : إذا قال أحدكم أنه لن يعيش معى حياة دينية. ما دمت أنا لا أفسر له خلود العالم وغيره من المسائل. فليذكر أنه سيموت قبل أن يشرح تاتها جاتا هذه المسائل. مثل هذا الرجل مثل رجل أصابه سهم مسموم لجرحه جرحا بالغا. فبعث أهله إلى الطبيب لينزح السهم. فقال الجريح: لن أسمح بنزع السهم حتى أعلم الرامى الذى أصابنى بسهمه، أكان من المحاربين أو من البراهمة، أو من الفلاحين أو من الرقيق. وما ذا كان اسمه وعشيرته. أكان طوالا أم قزما أو ربعا، وكان أسود اللون أو كالسمك الذهبى، وجاء من قرية كذا وكذا، ومن المدينة كذا وكذا وهل جرحت بقوس عادى أو قوس مثن، وكان وتر القوس من الكرنب أو القصبة، أو العضل. أو القنب أو شجرة أخرى وهل كان قدح السهم من الشجرة المزروعة أو البرية. وكان ريشه من جناح النسر أو مالك الحزين. أو الصقر، أو الطاوس. أو طير آخر. وهل كان مغطى بجلد الجاموشة أو الغزال أو الحمار. وكان السهم سهما عاديا أو سهما قاطعا. أو حادا. أو حديديا. أو من أسنان العجل. فاذا أصر هذا الجريح على معرفة هذا كله — يا مالونكيابوتا. فسيموت لا محالة قبل أن يعرف.

ولا تتوقف الحياة الدينية على نظرية، دون نظرية. فلا داعى إلى معرفة خلود العالم وفناءه.

ولو تمسكنا بنظرية أيا كان. فاعلم أن هناك تجدد فى الولادة، وكبر، وموت، وحزن وانتحاب. وألم، وهم، وقنوط، مما أجاهر إلى الغائها فى هذه الحياة.

كما لا تتوقف على نهاية العالم أو لا نهايته. وعلى أن الروح والجسد متحدان أو متغايران، وعلى أن الرجل الناجى يبق بعد موته أو يفنى. ليس لهذه المسائل أدنى تأثير فى الحياة الدينية. فهنا تجدد فى الولادة وكبر، وموت، وحزن، وانتحاب وألم، وهم، وقنوط مما أناديكم إلى إلغائها فى هذه الحياة.

ومن أجل ذلك كله — يا مالونكيابوتا — لا تفرق بين الأشياء التى فسرتها والتى لم أفسرها. وما هى الأشياء التى لم افسرها؟

إنما هى أن العالم خالد أم لا. وما إلى ذلك. وما حبسنى عن تفسيرهـا، إلا لأنها لا علاقة لها بالحياة الدينية. ولا تنفعنا فى النفور، وزوال العاطفة، والانقاء، والطمأنينة والمعرفة العليا، والتنور، والنجاة. فلهذا لم أكترث لتفسيرها.

وما هى الأشياء التى فسرتهـا يا مالونكيابوتا؟ فسرت أن هذا ألم، وفسرت أن ذاك سبب الألم وفسرت أن هذا الغاء الألم، وفسرت أن هذا طريق يهدى إلى إلغاء الألم.

وما ذا حفزنى على تفسيرها؟ لأنها تنفعنا وتتعلق بمبادئ الحياة الدينيـــة. وتفضى إلى التطور، وزوال العاطفة، والالغاء والسكينة والمعرفة العليا، والتنور، والنجاة.

ولهذا — يا مالونكيابوتا — إحسب ما لم أفسرها كما فسرتها.

وبعد أن أطال السيد الكلام والوعظ والتفسير، اطمأن الناسك مالونكيابوتا وأثنى على كلمات السيد.

درجات إنكار الذات

الخطبة التاليـة، ثانى خطبة ألقاها السيد بين النساك الخمسة، وبحث فى الذات وفقا للنظريـة القائلة بأن فى الذات عنصرا باقيا لا يفنى وينتقل على مر الزمن، من الولادة حتى الممات، ويبقى هو هو لا يتغير. وهـــذه هى نظرية آتما التى يعتقد بها الهندوس والجينيون.

أما البحث فى المسألة — فتبدأه البوذية بتحليل الذات إلى العنـاصر الخمسة هى الجسد، الحس والفهم، وعناصر العزم وغيره التى تدعى سامسكهارا (أجزاء

الشعور). وكل واحد من هـذه العناصر صالح للتغير والتأثر بالألم. ولا يطلق الذات عـلى أحدها بمفرده. وهو نظام كامل للتركيب المتغير، الذى يتقمص ويتناسخ، ولا يزال متقمصا حتى ينتهى إلى حصول النجـاة.

الجسد — يا نساك — غير الذات، فلو كان الجسد ذاتا لما تأثر بالمرض، ولما أمكن أن نقول: ليكن جسـدى هكذا، وليكن جسـدى كذا. وبما أن الجسد غـير الذات يخضع الامراض، فـلا يمكن أن نقول جسدى هكذا وجسدى هكذا.

والحس غير الروح، والفهم غير الروح، والأجزاء غير الروح.

(ويكرر السيد البيان السابق مع بيان التغاير بين الذات والعناصر)

والشعور غـير الذات، فان الشعور لو كان ذاتا لما أمكـننا أن نقول ليـكن شعورى هكذا ولا يكن شعورى كذا. وبما أن الشعور غير الذات يخضع للأمراض. «ما ذا ترون — أيها النساك — فى الجسـد. هل هو دائم أو غير دائم؟»

قالوا: «غير دائم»

«وما ليس بدائم هل هو مؤلم أم سار؟»

«مؤلم، يا سيدنا»

فهل يصح أن نقول عن شيء غير دائم خاضع للأمراض مؤلم، أنه لى وهذا أنا، وهذا شخصى؟

«لا يا سيدنا»

«فمن أجل هـذا، أيها النساك. ليس الجسد فى ماضيـه وحاضره ومستقبله،

داخله وخارجه، سمنه وهزاله، طوله وقصره، قربه وبعده، منى، لست أنا الجسد، فانظروا وفكروا وأدركوا الحقيقة بعين الصدق والبصيرة.

وقال السيد نفس القول فى الحس وغيره.

ثم قال: «فالتلميذ الخبير يشعر بنفور نحو الجسد والحس، والفهم، والأجزاء، والشعور، وكلما يشمئز منها، يتحرر من الهوى والعاطفة وأثر خلاصه من الهوى يصبح متحررا، ثم يؤتى، وهو متحرر، الحكمة والعرفان، ويدرك أن التجدد فى الولادة قد فنى، والحياة الدينية قد تمت، وتحقق ما كان ليتحقق. ولم يبق شيء آخر لهذا الوجود.»

ولما أتم السيد موعظته اطمأن النساك، وآمنوا بما قال لهم السيد، وتحرر أفكارهم من الفساد، دون أن يشوبه شيء من التشبث.

وكان فى العالم إذ ذاك ستة أرهات.

إحياء الرجل الناجى

ولما رفض السيد الاجابة على أسئلة مالونكيابوتا (كما مر فى الفصل الرابع عشر) أعرض الناس عن الخوض فى هذه المسائل، ولم يهتموا بشأن الأشياء المبهمة غير المفسرة لخلوها عن نفع للتلامذة. فاختلفت النظريات التى تؤمن بها عدة مكاتب الفكر.

على أن بقاء الانسان التحرر بعد مماته، مسئلة تتعلق بالفرد مباشرة، فالتفت إليها السيد، وعالجها — فى البيان التالى — أوفى معالجة. وذلك إجابة على سؤال واشا. واعترف السيد فى بيانه أنه لا يوجد لها حل شاف مقنع. ويظهر أن ما يعقب ليس بفناء تام، لكن الوجود — كما عرفنا — وجود عابر، يأتى من العدم ويذهب، ولا يمكن أن تحدد أمرا للفرد الذى جاوز الحالة التى نعرفها

كحالة الوجود، وكما قال السيد: تتلاشى أساليب الكلام بأنواعها أثر تلاشى الأغراض كلها.

« إن نظرية خلود العالم — يا واشا — غابة مكتظة بالنظريات، تمر فيها مناظر مسرحية، وفيها ضلال وأغلال النظريات مما تأتى بالعذاب، والدمار، والقنوط والألم، ولا تفضى إلى النفور أو زوال العاطفة أو الالغاء أو إلى الطمانينة أو المعرفة العليا أو التنور والنجاة.

وأما نظرية عدم خلود العالم ونهايته أو لا نهايته، أو نظرية اتحاد الذات والجسد، وبقاء الانسان المتحرر بعد الموت أو فناءه. فهذه النظريات غابة تتيه فيها العقول، والتأمل فيها عبث لا يجدى بشيء. وأنا بدورى لم أستمسك بنظرية منها أيا كانت.

فهل يستمسك جوتما بنظرية غير هذه النظريات؟ فاعلم يا واشا، أن تاتهاجاتا براء من النظريات، وهذا ما آمن به تاتهاجاتا.

الجسد نشوؤه وزواله، والحس نشوؤه وزواله والفهم نشوؤه وزواله، والأجزاء نشوؤها وزوالها، كل ذلك، تاتهاجاتا برئ منه.

لكن! أين يولد الناسك الذى تحرر عقله؟ لا يليق بنا أن نقول فى حقه أنه يولد ثانية، قال واشا: إذن لا يولد ثانية،

قال السيد: لا ينبغى أن يقال فى حقه أنه لا يولد

« إذن هو يولد ولا يولد فى نفس الوقت؟

« لا يناسبنا أن نقول فى حقه أنه يولد ولا يولد فى نفس الوقت. »

« إذن هو فى منزلة تخلو عن الولادة واللاولادة؟

« لا يقال فى حقه أنه فى منزلة تخلو عن الولادة واللاولادة. »

فصاح واشا: يا سيدى جوتما. حار عقلى فى الأمر، أنا جاهل، وإن أدنى إيمان نحو تما نلته، فارق عنى »

قال السيد: حسبك الجهل، حسبك التحير

فان المبدأ عميق، صعب المرأى والاستيعاب وهو بنفس الوقت حسن، معجب، يعدو حدود الأسباب والعلل. ولا يفطنه إلا الحكماء يصعب عليك أن تفهمه أنت، الذى تقول بالنظريات الأخرى، وتؤمن بإيمان آخر، وتتجه اتجاها آخر، وتعتقد بنظام آخر، ومعلم آخر.

ولهذا — يا واشا — أسائلك أنا فهل تشرح لى كيفما تشاء. فما ظنك، يا واشا إذا كانت أمامك نار ملتهبة. فهل تشعر بأن أمامك نارا تلتهب؟

« إذا كانت أمامى نار تلتهب فلا بد أن أعرف أن أمامى نارا ملتهبة. »

« وإذا سألك أحد كيف تشتعل نار، فماذا تقول؟ »

« إذا سألنى أحد كيف تشتعل نار. أقول له إنها تشتعل بوقودها من الحطب والخشب. »

« وإذا خمدت النار التى كانت أمامك. فهل تعرف أنها خمدت؟ »

« إذا خمدت النار التى كانت أمامى فلا بد أن أعرف أنها خمدت. »

« وإن سألك أحد، أين ذهبت هذه النار التى كانت أمامك، إلى الشرق أو الغرب، إلى الشمال أو الجنوب، فما قولك إذن؟ »

« السؤال غير صحيح، يا سيدى، فان النار كانت مشتعلة، ما دام وقودها، الحطب والخشب يغذيها. ولما استهلكت وقودها، ولم تجد منه مزيدا، تحولت إلى حالة نعرفها بحالة العدم. »

« فكذلك، الجسد، الذى نعرف به الرجل المتحرر فنى وتلاشى بعد موته، وتقطع مثل نخلة واستحال إلى لا شىء، ولم يعـد يصلح للتجدد مرة أخرى فى المستقبل . »

إن الرجل المتحرر — بعد خلاصه مما نسميه جسدا — حقيقة عميقة — يا واشا — لا يحصيها العقل، وتفوق الادراك كبحر عميق. فالقول بتجدده فى الولادة أو عدم تجدده، أو القول بأنه يوتى كلتا الحالتين من التجدد وعدمه، أو القول بأنه برىء عن التجدد وعدمه، هذه الأقوال غير صحيحة. (وأعاد السيد نفس الكلام عنـد ذكر كل عنصر من عناصر الفرد الأخرى: أى الحس والفهم والأجزاء والشعور).

وهتف واشا، الناسك التائه فى الأفكار، بعد فراغ السيد من الخطبة:

« مثل كلام السيد مثل دوحة « سال » نابتة قرب قرية أو مدينة، نال منها الدهر، فأسقطت أغصانها وأوراقها، وجفت أخشابها. فاذا بها تعود مورقة بعد تلاشى الأوراق والأغصان والأخشاب وتصبح قوية، راسخة، جامدة. فكلام السيد، كذلك بعـد تلاشى الأغصان والأوراق، راسخ قوى؛ ما أحسن كلامك — يا سيدى جوتما — ما أعجبه! كأنك تعيد المقلوب إلى حالته الأصلية، أو تزيل الخفاء عن المخفى، أو تنور الطريق لمن هو ضال، أو تنور المصابيح فى الظلمة الحالكة. لا ريب، إن من أوتى عين الحكمة، يرى الأشياء مبصرة. فألتجىء إليك يا جوتما، وألتجىء إلى المبدأ وألتجىء إلى الشريعة، شريعة النساك، أفيقبل السيد جوتما كأحقر تلميذ منذ اليوم، من جاء ملتجيا إليه، ويطيعه ما دامت الحياة باقية؟ »

الاله والروح

تناول « برهما جالا » المسائل الممتنعة الخوض، من ناحية أخرى. وبرهما

جالا معناه شبكة برهما، ويشتمل على بحث يرمى به إلى استيعاب الطرق الممكنة لتفسير هذه المسائل.

ومن المسائل التى تناولها، خلود العالم والروح. وتعتقد الهندوسية أن العالم يمر فى أدوار من السكون إلى الحركة، ثم ينتهى إلى السكون، ويعيده برهما خالق الكون إلى الدوران حينما ينتهى إلى السكون. واتفقت البوذية على نظرية الأدوار مع إيمانها بأن كل شيء فى العالم ظل زائل. ولم تؤمن بأن برهما هو علة التحول والتغيير. وبما أن البوذية تغض النظر عن الفكر فى بداية العالم، لم يبق هنا مجال للبحث عمن يدير دفة هذا العالم.

ونجد فى البيان التالى أن البوذية تنكر العقيدة القائلة بأن برهما أول من أدار العالم، بل تنزله منزلة مخلوق كان فى العالم البرهمى، يبتغى الأصحاب والزملاء، فلما ولدت له الزملاء حسب أنه هو الذى خلقهم، كما نجدها تطعن فى عقيدة الروح القائلة بأن هنا وجودا خالدا وراء الروح. وطعنت البوذية فى هذا الوجود وأولته بتحليل الروح إلى خمس طوائف.

« يوجد فى العالم — أيها النساك — بعض البراهمة والزهاد الذين بين القائلين بالخلود ومنكريه. وذلك بأربعة قضايا، يعتقدون بأن الروح والعالم خالدان من جهة وفانيان من جهة أخرى ».

وما هو الأساس الذى يبنون عليه عقيدتهم؟

« يأتى وقت — أيها النساك — بعد نهاية مدة طويلة، حين يتطور هذا العالم. وبداية هذا التطور أن يميل الموجودات إلى أن تولد فى العالم الاشعاعى، فيتكون لها العقل، وتظفر بالوجود، تتغذى بالفرح وتشرق بنورها، وتمرح فى الأجواء، عائشة فى مجد وجلال، وتمكث هكذا حينا من الدهر، حتى يحين زمن — بعد

مضى عصر طويل — ينعـــدم العالم. ويقفر العالم البرهمى، ويحـدث أن بعض الموجودات يفنى عن العالم الاشعاعى لانقضاء أجله أو لانتهاء جدارته، ثم يولد فى العـالم البرهمى القفر، ويوتى عقلا ويتغـــذى بالفرح ويشرق بنوره، ويمرح فى الأجواء عائشا فى مجـــد وجلال إلى دهر، حتى يمل الوحدة ويتمنى لو كان الآخرون معه فى هذا العالم.

«وتفنى الموجودات الأخرى كذلك عن العالم الاشعاعى انقضاء آجالها أو انتهاء جـــدارتها، وتولد فى العالم الـبرهمى أترابا للمولود الأول، وترزق العقل وتبقى لأمد بعيد.

«ويحسب المولود الأول أنه هو برهما، برهما العظيم، الأعلى، الصمد، البصير، المهيمن، الصانع، الخالق، أحسن المـدبرين، المالك، رب ما كان وما سيكون، أنا الذى خلقت جميع هذه الموجودات، ولما ذا خلقتهم؟ لأنى اشتهيت — منذ غير كثير لو كانت هنا الموجودات الأخرى فاذا بالموجودات تتمثل هنا وذلك ما كنت أبغيه.

«وهذه الموجودات المسبوقة فى الوجود ،كذلك، ليس إلا تحسب، أن الموجود الأول برهما العظيم الأعلى، الصمد، البصير، المهيمن، إلاله الصانع الخالق، أحسن المدبرين المالك، رب ما كان وما سيكون، أنه برهما الاله الذى خلقنا، ولما ذا؟ لأننا رأيناه سبقنا فى الوجود هنا وولدنا نحن فيما بعد.

«والموجود الأول — أيها النساك — يكون أطول عمرا وأجمـل وأقوى من الموجودات التى ولدت فيما بعد، فهى أقصر عمراً وأقل جمالا وقوة.

«ثم، فى وقت من الأوقات، يموت أحد هؤلاء الموجودات من العالم البرهمى، ويولد ثانيـة فى نفس العالم، ويهجر الحياة المنزلية إلى حياة لا منزل فيها، ويبذل

جهده — فى مجاهدته — ويواصل السعى، والاهتمام، والنشاط، والتأمل الصادق، ويبالغ تركيز الفكر إلى حد يستذكر مولده السابق، ولا يتذكر من الحياة السابقة غير المولد. فيحسب أن برهما العظيم، الأعلى، الصمد، عالم الكل، المهيمن الاله الصانع، الخالق، أحسن المدبرين، المالك، رب ما كان وما سيكون، الذى خلقنا، دائم، باق، خالد، لا يقبل التغير، ويبقى هو هو دائما. بينما نحن الذين خلقهم برهما زائلون، غير ثابتين، قصيرو الآجال، مذعنون للموت بعد المولد.

«هذه قضية أولى — أيها النساك — من القضايا الأربعة التى جعلت بعض البراهمة والزهاد تقولون بالخلود وينكرونه فى آن واحد. فيزعمون أن الروح والعالم خالدان من وجه وغير خالدين من وجه آخر. (وذكرت القضيتان الأخريان اللتان تجعلان البراهمة والزهاد يقولون بخلود الروح والعالم وينكرونه فى وقت واحد.)

«وما هى القضية الرابعة، التى أفضت بالبراهمة والزهاد إلى الايمان بخلود الروح والعالم من ناحية وإنكاره من ناحية أخرى؟

«يتمسك البراهمة والزهاد فى هذه القضية بالتعليل والتحقيق، ويقدمون نظريتهم معتمدين على تعليلهم وتحقيقهم. فيقولون إن الروح، التى نطلق عليها «العين» والسمع، والأنف، واللسان، والجسد غير دائمة غير ثابتة، غير خالدة، قابلة للتغير. لكن الروح، التى نطلق عليها، الفكر والعقل، والشعور، خالدة، ثابتة، دائمة غير قابلة للتغير. وتبقى دائما غير متغيرة. هذه هى القضية الرابعة التى جعلت البراهمة والزهاد يقولون بأن الروح والعالم خالدان من وجه وغير خالدين من وجه.

«وتاتهاجاتا يعرف — أيها النساك — أن هذه النظريات الخاصة تنتج إلى هذه النتائج. ويعرف تاتهاجاتا أكثر منه، ولا تتأثر نفسه بمعرفته، وبما أنه لا

يتأثر يجد فى نفسه سكينة. وأحاط عله بنمو الحس. والفرح، والترح فيها، وزوالها ويعرف طريقة الخلاص والتحرر منها معرفة الاستيعاب.

«يا أيها النساك. هذه أشياء صعبة المنظر والادراك. ساكنة عالية لا يحصيها العقل، وغامضة لا يكتنهها إلا أولو العلم. هذه أشياء أدركها تاتهاجاتا. وأحاط بها خبرا.

«ومن أجل إدراكه هذه الأشياء، يثنى عليه الذين يصدقون الأقوال ولا يكذبونها.

دهنيا الراعى

إلى جانب الأقوال التى زعم أنها أقوال بوذا أو أتباعه، وإلى جانب الأخبار التى تبين وقت ومكان القول. توجد أحاديث أخرى متأخرة وهى. عامة مجموعة من الأشعار أضيفت إلى نيكايا الخامس. ولعلها ترجع إلى عصر كان فيه النشاط الأدبى حيا، ونزعة التاليف شائعة، طبقا للقوانين الأدبية المتفقة عليها. وأهم هذه المؤلفات سوتانيباتا، يحتوى الأبيات البسيطة مع دروس خلقية. والأشعار التى تسجل عدة حوادث فى حياة بوذا والشريعة. بعضها فى صورة تمثيلية أو حوار كالأبيات التالية:

دهنيا: سلقت الأرز. وفرغت من الحلب، على شاطئ نهر ماهى، بين مساكن الأقران. دارى مسقفة، ونارى متأججة، فأمطرى يا سماء الآن إذا اشتهيت.

السيد: أنا برىء من الغضب، خلصت من العناد، على شاطئ نهر ماهى، لقضاء ليلة، دارى غير مسقفة، ونارى خامدة، فأمطرى يا سماء الآن إذا اشتهيت.

دهنيا: لا توجد هنا نعرات تزعجنى، تجول الماشية فى المراعى موفورة الحشيش صابرة على المطر عند هطوله فأمطرى يا سماء الآن إذا اشتهيت.

السيد : طوقي متقن الصنع، محكم الرباط، عبرت إلى جانب بعيد، وفارقت عن التيار ولم تبق لي حاجة إلى طوف، فأمطري يا سماء الآن، إذا اشتهيت.

دهنيا : زوجتي مطيعة، ليست بطائشة، شخصيتها معجبة، ترافقني منذ زمان لا أسمع عنها بشيء يعيبها، فأمطري يا سماء الآن إذا اشتهيت.

السيد : عقلي متحرر، يقوم بالواجبات زكيته، ودربته منذ عهد بعيد، لا شيء شائن يوجد فيه، فأمطري يا سماء الآن، إذا اشتهيت.

دهنيا : قوتي ودخلي مكسوبان وأبنائي أصحاء يجتمعون حولي، لا يبلغني عنهم ما يعيبهم فأمطري يا سماء الآن، إذا اشتهيت.

السيد : ما أنا بخادم لمخلوق أياً كان، وأجول في العالم بما يجدر بي ولا ألتمس من عمل إلى أجرة. فأمطري يا سماء الآن، إذا اشتهيت.

دهنيا : أملك البقرات، أملك العجول، أملك البقرات ذات العجول، أملك البقرات للتناسل عندي كذلك جاموش ملك الماشية، فأمطري يا سماء الآن إذا اشتهيت.

السيد : ليست عندي بقرات، ليست عندي عجول، ليست عندي بقرات ذات العجول، ليست عندي بقرات للتناسل، ليس عندي جاموش ملك الماشية فأمطري يا سماء الآن إذا اشتهت.

دهنيا : الأوتاد محكمة التوطيد، ممتنعة التحريك، والحبال من حشيش «مونجا» محكمة الفتل لا تقدر العجول على كسرها، فأمطري يا سماء الآن إذا اشتهيت.

السيد : مزقتُ كالجاموش، العلائق والأغلال كلها، ووطئت كالفيل نباتات «جالوشي» الملتوية ولن ألج رحم الوجود كرة أخرى، فأمطري يا سماء الآن إذا اشتهيت.

وفاجئهما حينئذ سحاب كثيف غشى الأرض والبحر بما رحبا. فسمع دهنيا الراعى صوت المطر وأنشد:

« لاحظ لنا نحن من الفوز، ولو قليلا، إلا الذين يرون السيد، الذى أوتى الحكمة. فاليك أتينا مستعيذين، لا نرى إلا إياك. فكن أنت ربنا، يا مولانا العظيم. زوجتى مطيعة وأنا مثلها، فهل لنا أن نعيش عيشة مقدسة تحت حكم من هو مقدس، ومن جاوز إلى الجانب الآخر من المولد والممات. عسى أن نتخلص من الحزن والألم.

مارا: الذى يكون غنيا بأبنائه يفرح بهم، كما يفرح بالبقرات من يملكها فان فرح الرجل بعواطفه، ومن تخلى عن العواطف لا يشعر بالفرح.

السيد: يحزن الأبناء من يكون له أبناء، ويجد الألم فى البقرات من تكون عنده. فان ألم الرجل بعواطفه، ومن تخلى عن العواطف تخلى عن الألم.

تنكر البوذية خلود الآلهة. لكنها تقر بوجودها، كما تقر بوجود الخوارق الأخرى، مثل ناجا (الفصل ١١)، ويا كشا (آكل اللحم) جندهاروا (المغنيات السماوية) وكنارا (الجن). ولهذه الخوارق مكانة لا تختلف مكانة العفاريت والجن من الأساطير الغربية.

وكان الايمان بالتعاويذ والرقى قويا، واعتقد الناس أن من توسل إلى هذه الأرواح باسم الجواهر الثلاثة: بوذا، والمبدأ، والشريعة. أدرك بغيته، وحصل على بعض ما تختص به هذه الأرواح، حتى يستحيل المستجيب فى بعض الأحيان إلى جنسها ويصبح إحداها. وإذا تقرب الرجل إليها بالتصدق وغيره أوتى الفضائل.

«اجتمعت هنا الأرواح كلها، مهما كان نوعها وجنسها التى تتجول فى الأرض وتمرح فى الأجواء فلتصبح هذه الروح رؤوفا حسنة التدبير وتستمع إلى هذا

الغول بأذنيها الصاغية.

«فاستمعن أيتها الأرواح، وانتبهن إليه، وترحمن على البشر، الذى يقدم إليكم هداياه، ليل نهار. وامنحنه منعتكن الواقية.

«مهما كثرت الثروات هنا وهناك، ومهما غلت جوهرة كاملة فى السماء، لن تساوى منزلة بوذا فان بوذا، فى ذاته جوهرة الكمال، فلننل الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«إن مقام الكمال والخلود والبراءة عن العواطف الذى ناله الناسك فى فاساكيا لن يساوى هذا المبدأ وهذا هو جوهر الكمال فى المبدأ فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق الذى أثنى عليه المتنورون والمراقبة التى واظبوا على الدعوة إليها، لا شىء هنا يساوى هذه المراقبة، وهذا هو جوهر الكمال فى المبدأ فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«الأفراد الثمانية، الذين شفعهم العادل، ينقسمون فى أربعة أزواج، ويستحقون العطايا، وهم تلامذة السيد المبارك الأوفياء، كبر جزائهم الذين يجزون به! وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«الذين يتبعون أوامر جوتما، ويعضون عليها بفكر صادق، خالصين عن الهوى، فآجالهم الحاصلة فائزة بالخلود، يجدون النعم المباحة ويتمتعون بالنجاة، وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة. وكما تقوم مسلة على عتبة مدينة راسخة فى الأرض لا تميد بالأرياح الأربعة، لا يتزحزح الرجل الصالح. وأنا موقن الذى يتفكر فى الحقائق الأربعة ويشاهدها. وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة، فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«الذين يعكفون على الحقائق المجيدة التى علمها أعقل المخلوقات، فهم مهما

بلغ منهم الكسل، لا يخضعون للولادة الثانية، وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة، فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«عندما ينال البصيرة يهجر الأشياء الثلاثة، ويتبرأ منها: نظرية الروح الكاذبة، الشك ومزاولة الشعائر بأنواعها، فينجوا هذا الرجل من الجحم الأربعة، ولا يرتكب الذنوب الستة الكبيرة، وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة. فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«كل سيئة اقترفها «بهيكو» فى عمله وقوله أو فكره. يتعسر عليه إخفائها، ويتعسر على كل من اهتدى إلى الطريق، وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة، فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«كأنه غابة تتوجها أزهار فى الشهر الأول من بداية الصيف، علم المبدأ أحسن المبادئ، الحقيقة العليا التى تهدى إلى النجاة، هذا هو جوهر الكمال فى بوذا الأحسن، العليم، المعطى، الذى يأتى بالأحسن وأحسن ما يعلم هو المبدأ الأعلى، فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«أما القديم (المولد والتجدد فيه) فقد باد والجديد لا يجد، وهم لا يتطلعون إلى الحياة المستقبلة، البذور تآكلت، والهوى لن ينمو. ومثل المصباح يمتاز العقلاء، وهذا هو جوهر الكمال فى الشريعة، فلنحصل على الفلاح بواسطة هذا الصدق.

«تكتلت هنا جميع الأرواح، أيا كان، مما تتجول فى الأرض وتمرح فى الأجواء، فلنكرم بوذا. تاتهاجاتا، الذى يعبده البشر والآلهة، فليكن لنا الفلاح.

«تكتلت هنا جميع الأرواح، أيا كان، مما تتجول فى الأرض، وتمرح فى الأجواء، فلنكرم بوذا، تاتهاجاتا، الذى يعبده البشر والآلهة، فليكن لنا الفلاح.

آخر طعام تناوله بوذا

نقلت الفصلان التاليان من مهاباريني يا سوتا. وهو «الحديث الكبير فى نيل السيد النجاة»، ويحتوى على حياة بوذا فى الشهور الأخيرة. ووفاته.

واختلف المحققون فى آخر طعام أكله البوذا. ويؤكد المؤرخون القدماء أنه كان مشتملا على لحم الخنزير البرى الناعم. لكن اللفظ المستعمل فى أصول الكتب ليس ما يطلق على لحم الخنزير عموما.

وهنا مذاهب أخرى فى تعيينه. أحدها أنه كان لحم الغراب. ومهما كان الأمر لا يوجد دليل يقطع بأن آخر طعامه لم يشتمل على لحم من أى نوع كان. وذلك لأن أكل اللحم كان مباحا تبعا للشروط الثلاثة. هى أن الآكل لم يره، ولم يسمع عنه ولم يخطر له أنه يعد له.

وبحث الدكتور هنرى فى المرض الذى مات بوذا على أثره. وأكد أنه أصيب بسد الدم فى عروق الاكليل مما يسببه الاسراف فى الأكل.

أقام السيد فى بهوجانارا مدة راقته. وقال يوما لآنندا: «لنذهب الآن — يا آنندا — إلى كوسى نارا»

«فليكن كيف ماشاء السيد». أجاب آنندا وسار السيد برهطه إلى «باوا» وأتى عصا الترحال فى خميلة من أشجار المونجو. كانت لصائغ يدعى شندا.

ولما بلغ شندا قدوم السيد ونزوله فى خميلته بادر إليه، وقام بما يناسب من التحيات وانكمش فى ناحية. وما كان الصائغ يستقر فى مجلسه حتى التفت إليه السيد، وأخذ فى نصحه مبشرا ومرهبا.

ووقع حديث السيد فى المبدأ. من نفس الصائغ موقع الاعجاب. ففرح، ولم يلبث أن التمس إلى السيد: «هل يتنازل السيد وتلاميذه بتناول الطعام معى؟»

سمع السيد طلبه وقبله بسكوته. ولما أدرك الصائغ أن السيد قبل رجائه، قام، وطاف بالسيد وسلم عليه، واستأذنه إلى البيت.

وفى اليوم التالى هيأ الصائغ فى بيته أطعمة شهية، ناعمها وناشفها، منها لحم الخنزير الناعم، ولما حان موعد الأكل أخبر السيد بحضور الطعام. فلبس السيد ملابسه، وحمل كشكوله وقباءه. ومشى إلى بيت الصائغ مع رهطه، وجلس إلى المائدة، متمكنا فى المحل المعد له. وقال للصائغ: «هات لى لحم الخنزير الناعم، ما أعدته لى، أما الرهبان فقدم إليهم الأطعمة الناشفة والناعمة الأخرى.

فامتثل الصائغ أمر السيد، وقدم إليه لحم الخنزير وإلى الرهبان المأكولات الأخرى.

والتفت السيد إلى المضيف وقال: «إن لحم الخنزير يظل دفينا فى حفرة، ولا أرى أحدا فى عالم الآلهة والبشر، من مارا، وبرهما، وزاهد، وبرهمة، من يقدر على أكله ويهضمه، إلا تاتهاجاتا».

«صدقت يا سيدى»، قال الصائغ. وأخرج بقية لحم الخنزير ودنا به من السيد وسلم عليه، وجلس فى ناحية متواضعا، فأخذ السيد يعظه تارة ويحذره تارة حتى أشبعه بحديث ممتع عن المبدأ. ولما انتهى من الأكل قام ومضى إلى المستقر.

وأصيب السيد بوجع شديد وصعود الدم، على أثر تناوله طعام الصائغ، وشعر بآلام مبرحة تخص البشر. لكنه احتملها دون أن يجزع أو يشكو، حرصا على منزلته ولم يفارقه الوعى. وقال لآنندا: «يا آنندا، سنذهب إلى كوسى نارا».

«بالسمع والطاعة»، أجاب آنندا.

وفاة بوذا

نتجت البحوث إلى أن مدينة كوسى نارا، التى سافر إليها بوذا بعد تماثله

من المرض، كانت واقعة فى شرق كابيلواستو على بعد ثمانين ميلا، حيث تقوم الآن مدينة كاشى.

ومراحل السهو التى تضمنتها الأسطورة التاليـــة، مدارج حقيقية للفكر، مما لا بد لكل ناسك من إدراكها. ولا تنتهى مرحلة «جهانا» عند سرحان الفكر، بل هى تعطيل الحواس الخارجية حتى ينال الناسك الرياضة الداخلية قدر ما تسعه.

وتداولت الطوائف الكثيرة هـذه الرياضة واشتهرت فى الصين باسم «شأن» وفى اليابان باسم «زين». وما زالت فى طريقها إلى التقدم حتى ظهرت طائفة تنكر التعليمات المذهبية، وتركز اهتمامها على المراقبة الروحية السحرية.

وسار السيد الآن فى جمع من أصحابه، وعبر نهر هيرانناواتى. ثم توجه إلى مدينة كوسى نارا، وبلغ فيها خميلة ملتفة بأشجار السال، واقعة فى مكان يقوم فيه «الملايون» بالرياضات.

وقال لآننـــدا: تعال! يا آنندا، أعد لى بين هـذه الأشجار المتشابكة فراشا تكون وجهته قبل الشمال. أنا مريض لا بد لى من استراحة.

«حبا وكرامة»، أجاب آنندا، «يا سيدى المحترم!» وأعد له بين الأشجار المتشابكة فراشا موجها إلى الشمال. استلقى السيد فى الفراش على جنبـــه الأيمن، واضعا إحدى قدميه على الأخرى. وكان إلى ذلك الحين واعيا. (يذكر المؤرخون أنه دعا آنندا وتحادث إليه فى الأمكنة الأربعة التى يحج إليها الأتباع، وفى الرجال الأربعة الذين يكفلون دفنه وقبره، ثم عزى آنندا. ولما قال له آنندا إنه سيذهب إلى مدينة كبيرة ويدرك هناك النجاة، شرح له ما امتازت به مدينة كوسى نارا، من الفضائل).

ودخل على السيد سودهو دانا والتجأ إلى السيد، فكان هذا آخر تلميذ للسيد،

ثم وصى آنندا وصايا تتعلق بالنظم. وألقى آخر موعظة خاطب فيها النساك:

« أيها النساك! لعله يكون هنا منكم أحد. من لم يؤمن أو لم تزل تختلج فى قلبه شكوك وريبة فى ذات بوذا أو المبدأ أو الطريق أو منهج السلوك فليسئلنى. إياكم أن تقولوا بعدى متأسفين: «كان السيد بيننا لكننا لم نسئله وجها لوجه».

فسكت النساك كلهم، لم يرد أحدهم على قول السيد، وأعاد السيد كلامه مرة ثانية وثالثة، لكن النساك ظلوا صامتين، ولما لم يجد السيد جوابا فى المرة الثالثة قال:

« لعلكم لا تتساءلون احتراما للسيد. فليناج بعضكم إلى بعض.»

وما زال النساك كأن على رؤسهم الطير. حتى قال آنندا: «ما أكرمك! يا سيدى المحترم! ما أرحمك! إنى لواثق بأنه لا يوجد هنا أحد، من يحس فى نفسه بريبة فى بوذا، أو المبدأ، أو الطريق، أو منهج السلوك».

قال السيد: ادعيت هذا الادعاء معتمدا بوثوقك، لكن تاتهاجاتا يعلم علم اليقين، أن هذا الجمع لا يشتمل أحدا تساوره الشكوك فى بوذا، أو المبدأ أو الطريق السوى، أو منهج السلوك.

« ألا، إن أدنى ناسك من هذا الجمع، قد دخل العين، ولن يولد فى حالة أسوأ، وليتهين إلى التنور.» ثم التفت إلى النساك وقال: « ألا إن الأشياء المركبة كلها فانية. جاهدوا بأنفسكم».

وكانت هذه آخر كلمات نطق بها تاتهاجاتا، فى حياته ثم بلغ السيد المرحلة الأولى من مراحل الغيبوبة ولما اجتازها، أدرك المرحلة الثانية، ولما مر بالثانية أدرك الثالثة، ولما مر بالثالثة أدرك الرابعة. ولما تخرج فى المرحلة الرابعة من السهو أدرك أبدية المكان، ولما صدر من أبدية المكان أدرك أبدية الشعور، ولما نال أبدية الشعور أدرك مرحلة العدم، ومنها بلغ مرحلة تخلو عن التمييز واللاتمييز

وبعد إدراكه هــذه المرحلة، أدرك مرحلة التمييز. ولما أدركها، بلغ مقام فناء التمييز والحس.

وقال أننذا عند ذاك للناسك «أنورادها، عزيزى! أدرك السيد النجاة».

«كلا» أجاب أنورادها، «إن السيد أدرك مرحلة فناء التمييز والحس».

«ولما اجتاز السيد مرحلة فناء التمييز والحس أدرك مقام التميز واللاتمييز، ثم أدرك مقام العدم ولما عبره أدرك أبدية الشعور. ولما نالها أدرك أبدية المكان، ولما نالها أدرك السهو الرابع. ولما جاوزه أدرك السهو الثالث، ولما جاوزه أدرك السهو الثانى، ولما جاوزه أدرك السهو الأول ولما جاوز السهو الأول، أدرك السهو الثانى ولما جاوز السهو الثانى أدرك السهو الثالث ولما جاوز السهو الثالث أدرك السهو الرابع ولما جاوز السهو الرابع اهتدى إلى النجاة سويا.

«وحين أخلد السيد إلى النجاة، زلزلت الأرض زلزالا مهيبا مروعا، ودقت فى طبول الآلهة، وأنشد برهما سامباتى البيت التالى:

«الموجودات فى العالم كلها، ستخلع عنها حالة التشخص، حتى مثل هذا المعلم المرشد، الذى ليس كمثله فى العالم أحد، تاتهاجاتا، الكائن المتنور، اهتدى إلى النجاة، مع سلطاته الموهوبة.

«أدرك السيد النجاة، فأنشد سكا:

«يا حسرتاه! المركبات كلها فانية، تولد وتموت، وتفنى بعد ظهوره وسكونها هناءة.

«أدرك السيد النجاة، وأنشد الناسك أنورادها ما تلى:

«لم يبق هنا زفير ولا شهيق، لمن كان قوى القلب ثابته. تحرر من الحر وظفر بالسكينة، لما مات ذلكم القديس العظيم، وبقلبه الذى تحرر عن ربقة التش

احتمل وصبر على ما أصابه، وكما تنطفىء شعلة نار، همد قلبه عن الهموم.

«أدرك السيد النجاة، فأنشد آنندا:

«فاجأنا رعب مفزع، فاجأنا خوف مضعضع، حين أدرك، من الذى حاز الفضائل، النجاة.

«أدرك السيد النجاة! كانت الفاجعة عظيمة نالت من النساك، حتى فقد بعضهم ولهم، وما زالوا فريسة للاوهام، فأخـذوا فى الانتحاب، وانطرحوا أرضا ىرغون فى الغبـار، صائحين» ما أسرع السيد فى إدراك النجاة، ما أعجله فى راك نروانا وبقى النساك الآخرون، المتحررون من نير العواطف. متماسكين، حاملين، وصبروا على الصدمة، يرددون فى أنفسهم: «الأشياء المركبة فانيـة. ذا يرتجى منها غير ما شاهدنا».

وقام أرنوندا يخطب فى النساك: كفاكم، أيها النساك، دعوا الحزن والانتحاب ىبرو، صابروا ورابطوا، أما أخبركم السيد، منـذ عهد بعيد، أن كل عزيزة ثيرة، تتنوع وتخضع للغيرات، ولا محيد لنا عن مفارقتها يوما، ماذا نرتجى منها ر ما شاهدناه.

الا، لا يحل لأحدكم أن يتمنى على الأشياء المركبة التى خلقت وتربت، ع للزوال، لا يحل لأحد أن يتمنى عليها خلودها ودوامها».

الرقص الهنـــدى

بقلم الأستاذ محمود فهمى زكى

مقدمـــة :

ظهر الرقص التعبيرى من قديم الزمن عند قدماء المصريين والهنود معبرا عن الأحاسيس والمشاعر باهتزاز الجسم فى حركات انفعالية إيقاعية. ولكل قصة أو حادثة أو مناسبة رقصة تناسبها وتلائمها. فكانوا يرقصون رقصة الحرب قبل سيرهم للحروب، ورقصة الصيد قبل مباشرتهم للصيد، ورقصة الحصاد قبل البدأ فى الحصاد. وكانت لهم رقصـات يتشفعون بها آلهتهم لتحقيق رغباتهم. وكانت عنـدهم رقصة يطلبون بها الشفاء ودفع البلاء وأخرى لمطاردة الأرواح الشريرة. وثالثة يطلبون بها إلى آلهتهم أن يباركوا زواجهم ويمنحوه نعمة التناسل والتكاثر. ولقد بلغ من تقديس أصحاب الحضارات القـديمة للرقص أن زعموا أن الآلهة أول الراقصين. نجد عند قدماء المصريين ربة للرقص والموسيقى هى «هاتور»، ونجد من صغار الآلهة وكبارها من يرقصون. وكذلك كان اعتقاد الهنود القـدماء. فالاله «شيوا» عنـدهم أول راقص، ورقصته من الجمال والكمال بحيث لا يتصوره وهم أو يتعلق به خيال. وحركات الرقص هى تلك الحركات الكونية وحليه الموشاة هى القمر الوضاء.

لقد كان الرقص عند قدماء المصريين والهنود نوعا من أنواع العبادة، وكان انسجام الظواهر الطبيعية وتمجيد مبدعها وخالقها الأعظم. ويمكننا القول أن الرقص الهنـدى قديمـه وحديثه عبادة ودعاء، شأنه فى ذلك شأن الموسيقى مدين بنشأته إلى الحفلات الدينية، إذ كانت الموسيقى والرقص جزءاً أساسيا من الشعائر الدينية. ويعتمد الرقص الهنـدى على «المودرا» وهى الجمع بين أثناءات الجسم وتموجات اليـدين وحركات الرأس والعينين.

وقـد اتخذ الرقص الهندى فى بداية أمره صورة حركات تعبدية، ثم تدرج منها إلى الأسلوب القصصى الرمزى، يقص الحوادث والوقائع ويرمز إلى مظاهر الحيـاة. ثم أصبح بعـد ذلك عنصرا من عناصر الترفية يعبر عن أهواء الطبيعة ومزاج الانسان وتقلبات الحياة. والرقص الهندى لا يعتمد مطلقا على جسم الراقصة وجمالها وما تبديه من مهارة فى إظهار مفاتن جسمها. بل يعتمد على قدرة التعبير بالوجه والأذرع والأرجل والأصابع والرأس. فكل حركة من حركات الرقص يرمز إلى أشياء وأفعال ومعان. والرقصة فى مجموعها تحكى قصة من القصص فى صمت سحرى جميل. وجسم الراقصة فى كل هذه الحركات والاشارات والايماءات مستور بالملابس الفضفاضة الطويلة التى تتغير ألوانها ونقوشها تبعا لقصة الراقصة وموضوعها.

ولقد تعددت الأساليب فى الرقص ومذاهبه أيضا. فهناك الأسلوب «بهارت نتيام» فى جنوب الهند. وهو من أقدم أنواع الرقص الهندى. وهناك الأسلوب «الكاتا كالى» فى ملابار، وهو نوع قصصى وتمثيلى يشترك فيه عدد من الراقصين والراقصات. وهناك الأسلوب «الكاثاكى» وهو رقص توقيعى معقـــد. وهناك فوق هـذا وذاك الرقص «المانيبورى» وهو رقص وجدانى يؤدى فى حركات خفيفة بسيطة. ولكل راقص أو راقصة طريقتـــه أو طريقتها الخاصة. وكذلك لكل رقصة حركات معينة تجعلها تختلف كل الاختلاف عن الرقصات الأخرى.

تقدم إليكم خريطة تبين الرقص فى الهند:

خريطة
تبين
الرومان في الهند

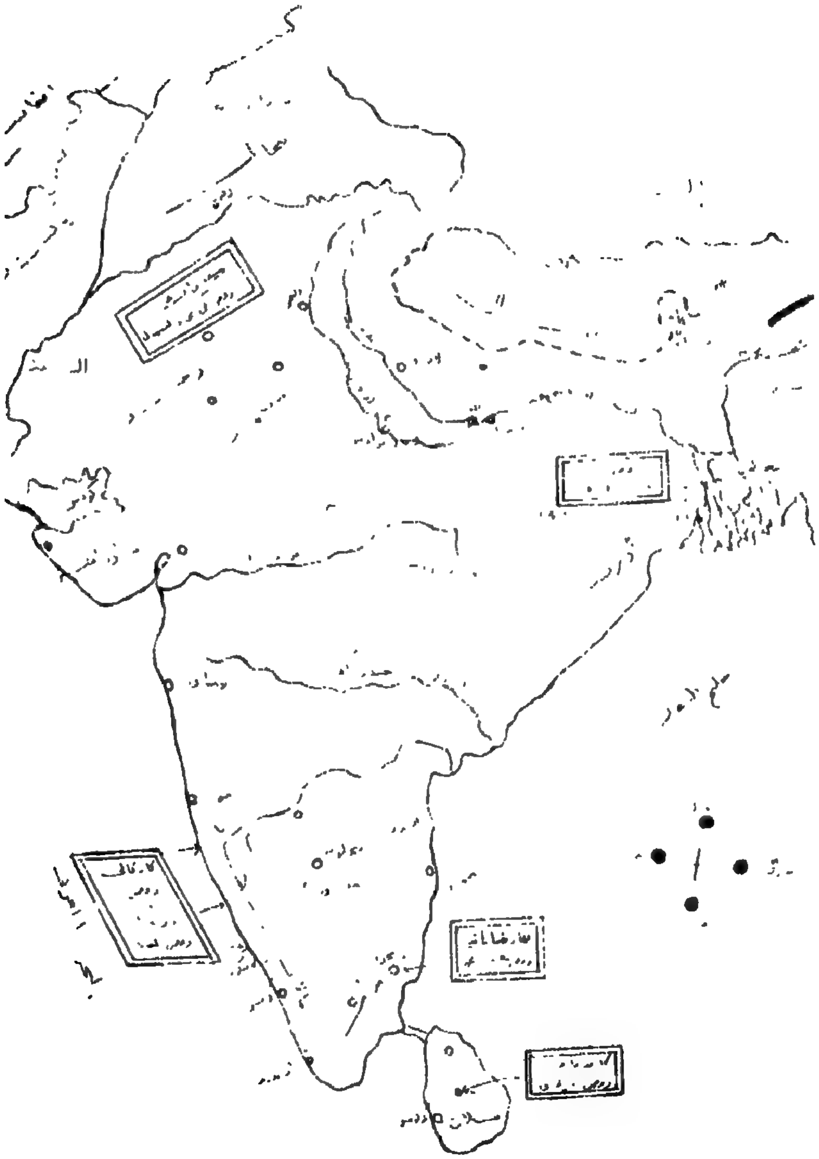

﴿ استخدام الرقص الهندى فى ألبالية الغربية ﴾

نقـدم إليكم بعض الصور التى تبين مدى استخدام الرقص الهندى فى الرقص الغربى المسمى البالية :

١

١ ـ صورة تذكرنا بالراقصـــة « كارلوتاجريزى » والرقص « لوسيان پتيپى » فى رقصة « لا پرى » أى « الثمن » عام ١٨٤٤ .

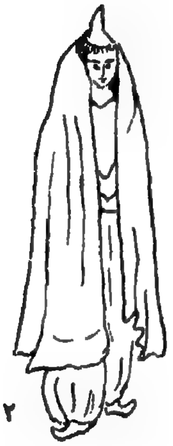

٢

٢ ـ صورة تذكرنا بالراقصة « أناپاولووا » فى رقصة « لا باياديره عام ١٩٠٤ ، أساس الرقصة فى شمال الهند « باياديره » .

٣ ـ صورة تذكرنا بالراقصة « وسلاو نيچينسكى » فى رقصـة « لوديوبلو » الاله الأزرق عام ١٩١٢ ، أساس الرقصـة : « الاله كريشنا » .

٤ – صورة تذكرنا بالراقصة « مارى تاجليونى » فى رقصة « لا باديرا » عام ١٨٣٠، أساس الرقصة: « ديواداسى ».

٤

الاله شيوا

ا تمثال من النحاس فى سيلون من القرن العاشر إلى الثالث عشر ميلادية، يمثل الاله شيوا يرقص « ساندهيا ناتا مورتى » أى رقصة غروب الشمس.

ب راقص يمثل الاله شيوا يرقص رقصـــة غروب الشمس. الموقف يظهر شعر الاله

شيوا وهو يتداعب مع الهواء أثناء أداء الرقص .

جـ الحركة تامة لنفس الرقصة ، رقصة غروب الشمس .

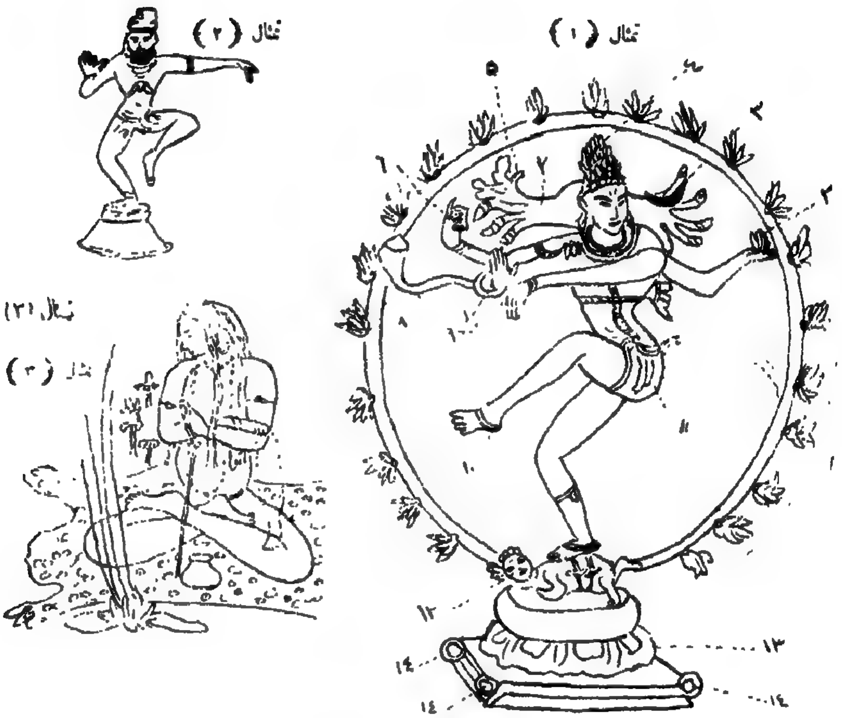

تمثال ـ ١

تمثال من المعدن المخلوط : شيوا فى رقصة « ناتاراجا » أو « إله الرقص » فى جنوب الهند .

١ تورانا ، أو قوس اللهب

٢ النار ، تمثل الدمار

٣ القمر

٤ أوراق شجر كاسيا

٥ إلهة نهر جانجا

٦ طبلة صغيرة تمثل الايقاع . إيقاع الخلقة والاستنباط

٧ الشعر

٨ ثعبان

٩ الأيدى (ا) تمثل عدم الخوف (ب) تشير اليد وكأنها تقول « أنا هنا »

١٠ يرفع القدم فى الفضاء عاليا . يخفف اخلل أحيانا . لا يعبأ بالمسئوليات

١١ لباس من جلد النمر

١٢ تريپورا أو موياً لا كهانى يمثل (قزم) التغلب على الباطل

١٣ معقد مزركش بيتلات زهرة اللوتس

١٤ حلقات تمثل تحويل الأشكال أثناء الاحتفالات

تمثال — ٢ تمثال لوقفة غير عادية . رقصة الاله شيوا ـ من جنوب الهند

تمثال — ٣ تمثال شيوا وهو يتعبد « يوجى » . الأصل مأخوذ عن رسومات شمال الهند

رقصة بهاراتا ناتيا

١

٢

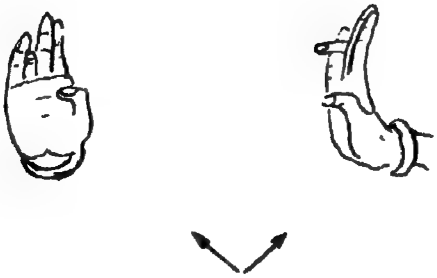

٣

حركات وإشارات اليد والأصابع

١ ألاپادما (Alapadma)

٢ هاستا پاتكا (Hasta.Pataka)

٣ تريپاتكا (Tripataka)

رقصة بهاراتا ناتيا

١ تمرين حركات الكتف. الجسم مستقيم مواجه الناظر وبشد الذراع، كما هو موضح في الصورة.

٢ تمرين القفز استعدادا لبدأ التمرين الكامل

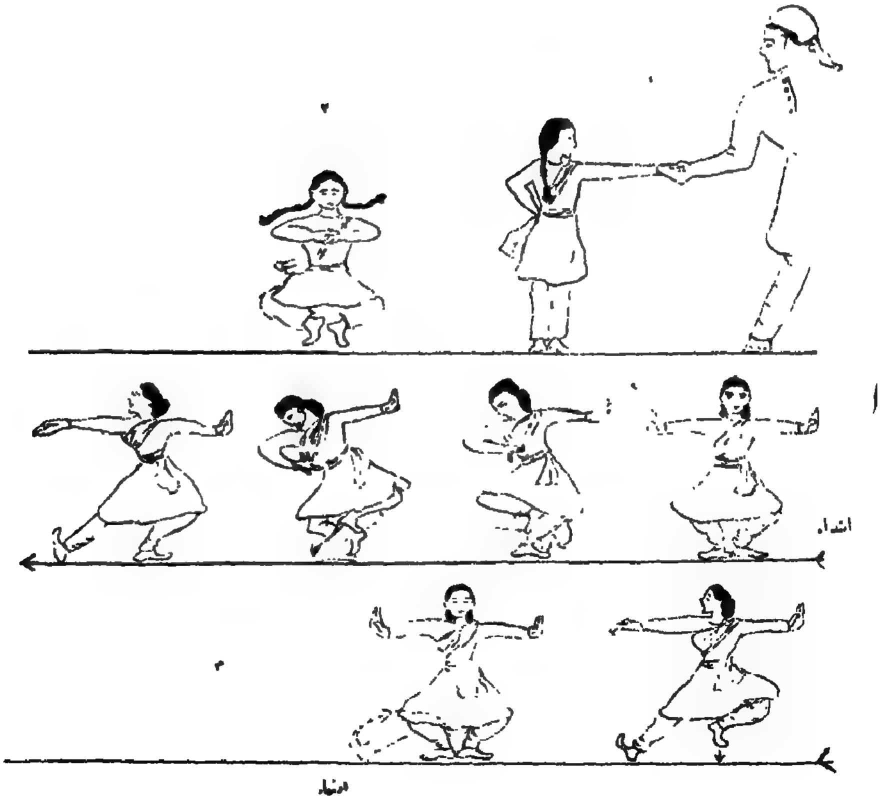

٣ تمرين بين الخطوات الأساسية

ا ـ أداوو (Adavu) خطوة أساسية

ب ـ أداوو جتهى (Adavu-Jethi) خطوة مركبة

ج ـ تيرمانام (Thirmanam) خطوة مركبة موزونة إيقاعياً

رقصة بهاراتا ناتيا (Bharatna Natya)

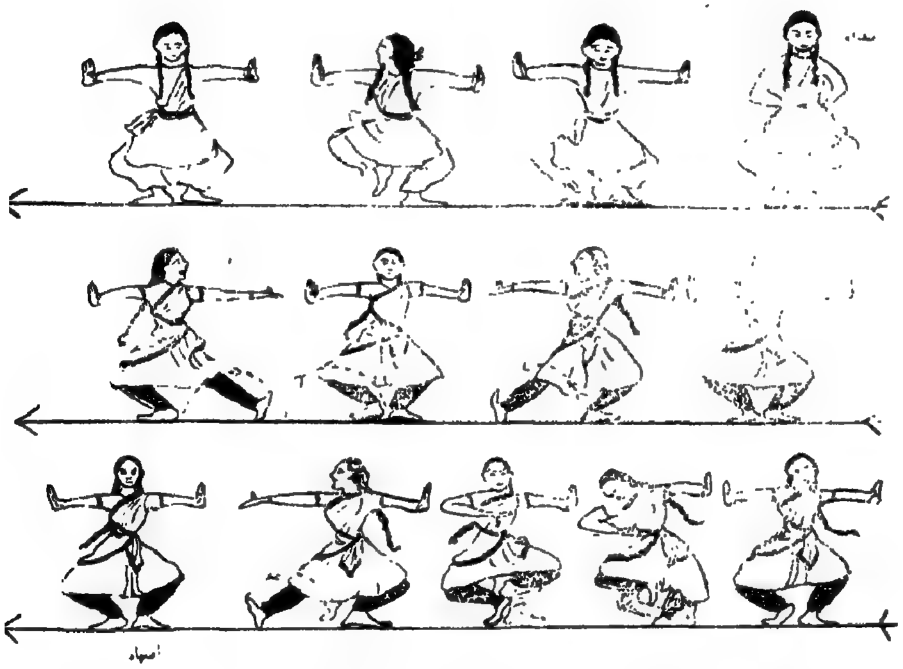

الخطوات الرئيسية فى تمرينات الرقص مع إظهار كل حركة على التوالى من اليمين إلى الشمال. وتعاد التمرينات عكسية ، أى إذا ما بدأت الراقصة برفع الرجل اليسرى فعند الاعادة ترفع الرجل اليمنى، وهكذا يتكرر التمرين على الايقاع والنغم . وأهم ما يسترعى الانتباه هو العمل على تحريك جميع عضلات الجسم ، وخاصة فى أداء حركات الكتف والوجه والأيدى والأرجل.

تمرين يظهر حركة مركبة

أداوو جيتهى (Adavu-Jethi)

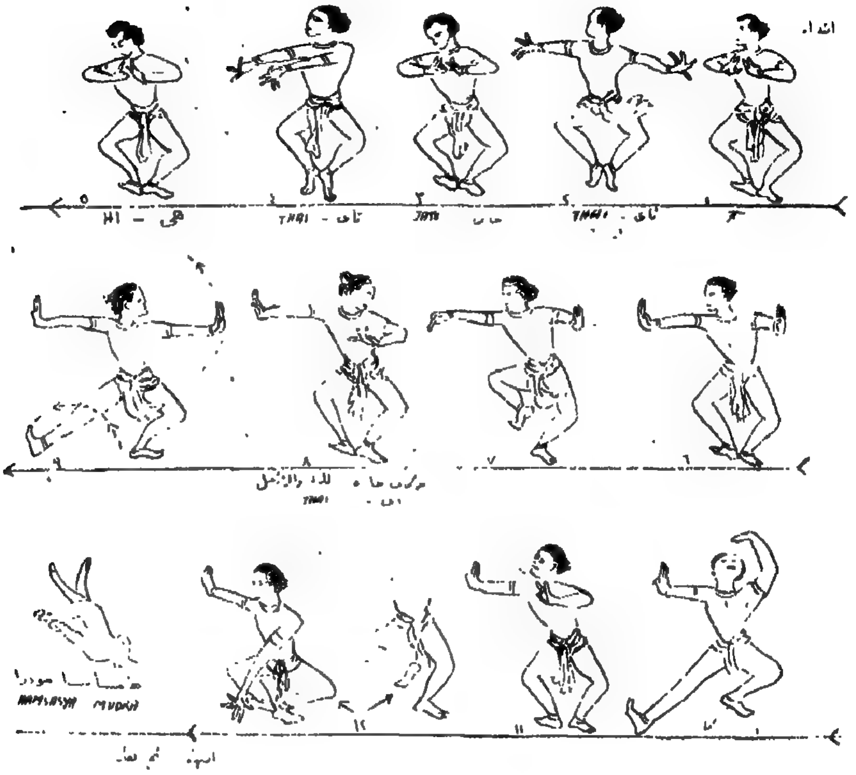

أسكتش تخطيطى لحركة مركبة للقفز

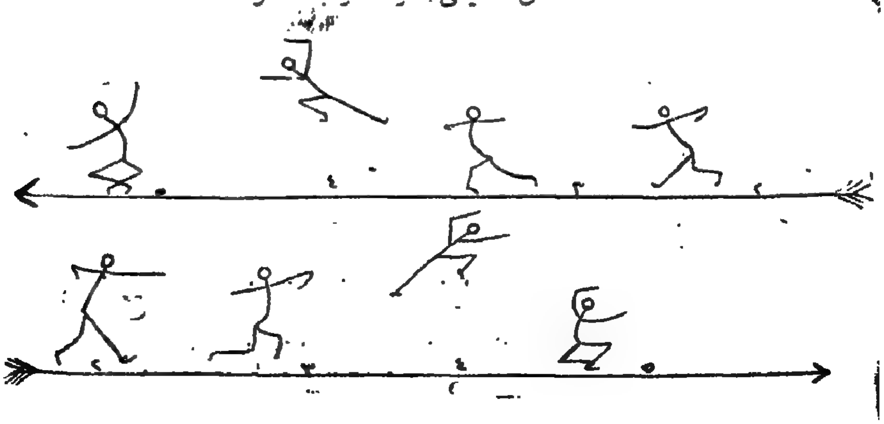

تمرين آخر :

أساسه ٤ بطوطات

و ٤ خطوات

و ٤ إيقاعات

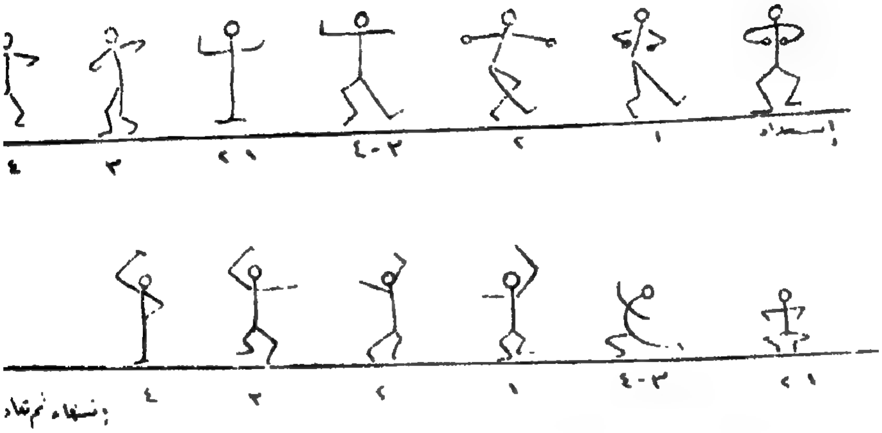

رقص بهاراتا ناتيا (Bharata Natya)

إشارات اليد

٢ ١

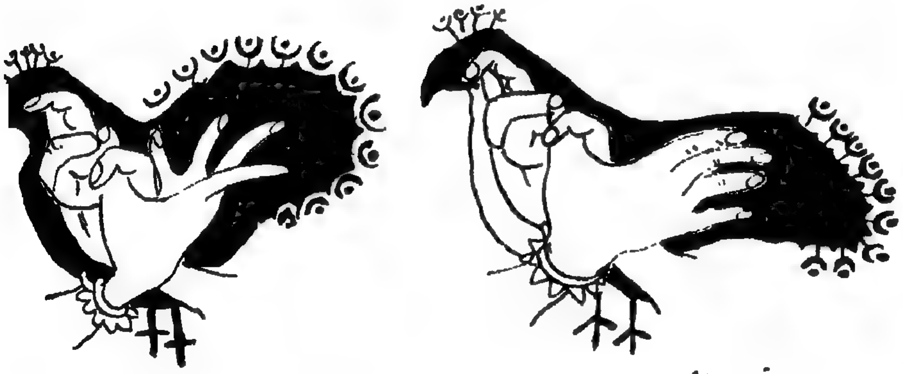

١ تجمع الأيدى على شكل طاؤوس مقفول الذيل

٢ تجمع الأيدى على شكل طاؤوس مفتوح الذيل

رقص كاتها كالى (Kathakali)

أمثلة للغة الاشارة للرقص الهندى ـ مودرا (Mudras) والتعبير والحركات تمثل طاؤوس يرقص فى مشيته

٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠

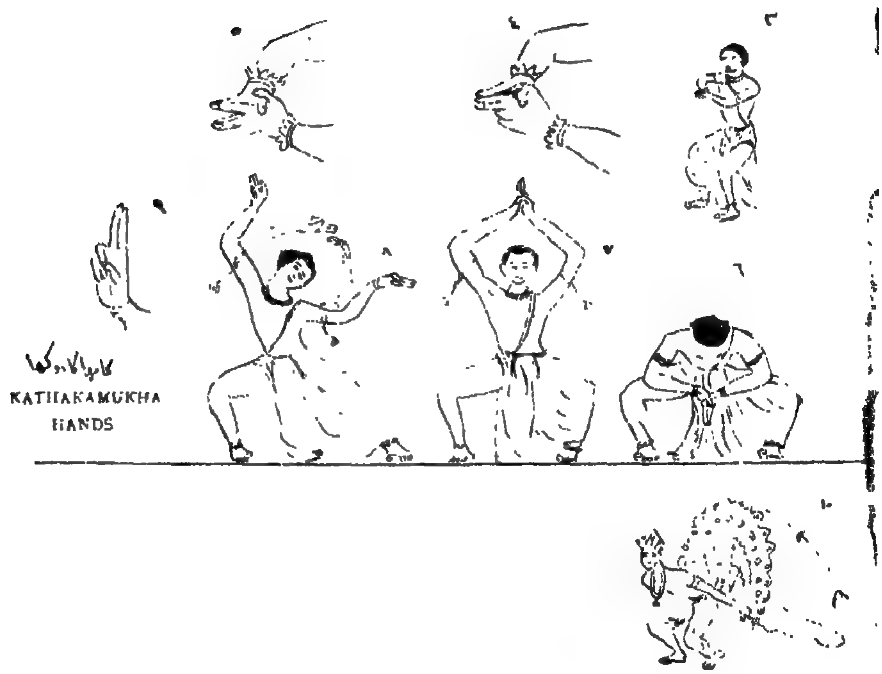

إشارات اليد :

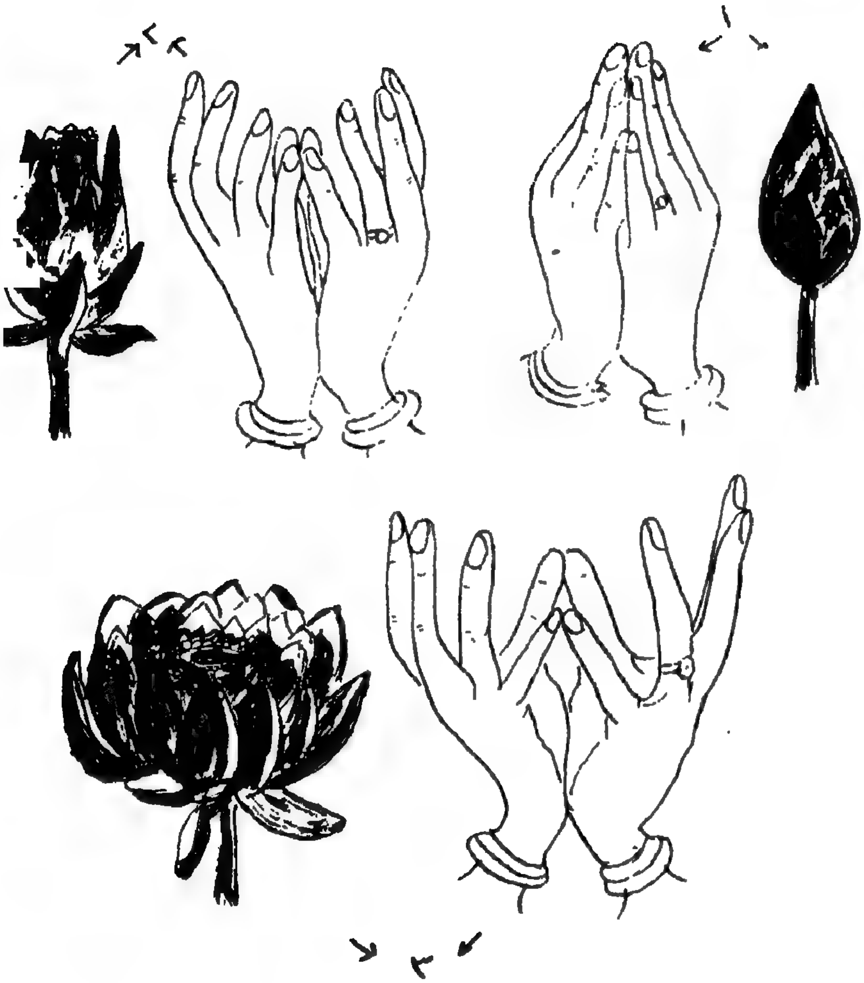

١ زهرة اللوتس مقفولة

٢ « « نصف مفتوحة

٣ « « تامة الفتح

إشارات اليد :

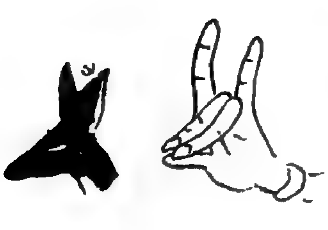

- ١ -

١ غزالان : مريجهير شام (Mrighir Sham)

- ٢ -

٢ نسر : جرودا (Garuda)

- ٣ -

٣ قوقع بحر حلزونى : سانكها (Sankha)

- ٤ -

٤ "السمك" ماتسيا (Matsya)

رقص كاتهاك (Kathak) فى شمال الهند

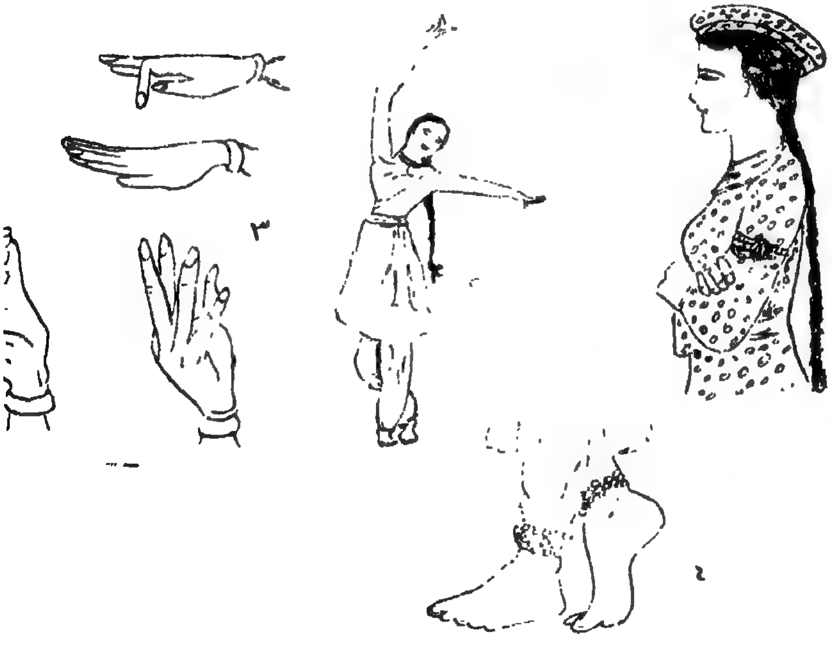

١ لباس تقليدى ٢ راقصة كاتهاك ٣ حركات الأصابع ٤ وقفة الأر-

تمرين بين خطوات رقص كاتهاك (Kathak)

يعاد التمرين ١١ - ١٢ - ١٣ مرة

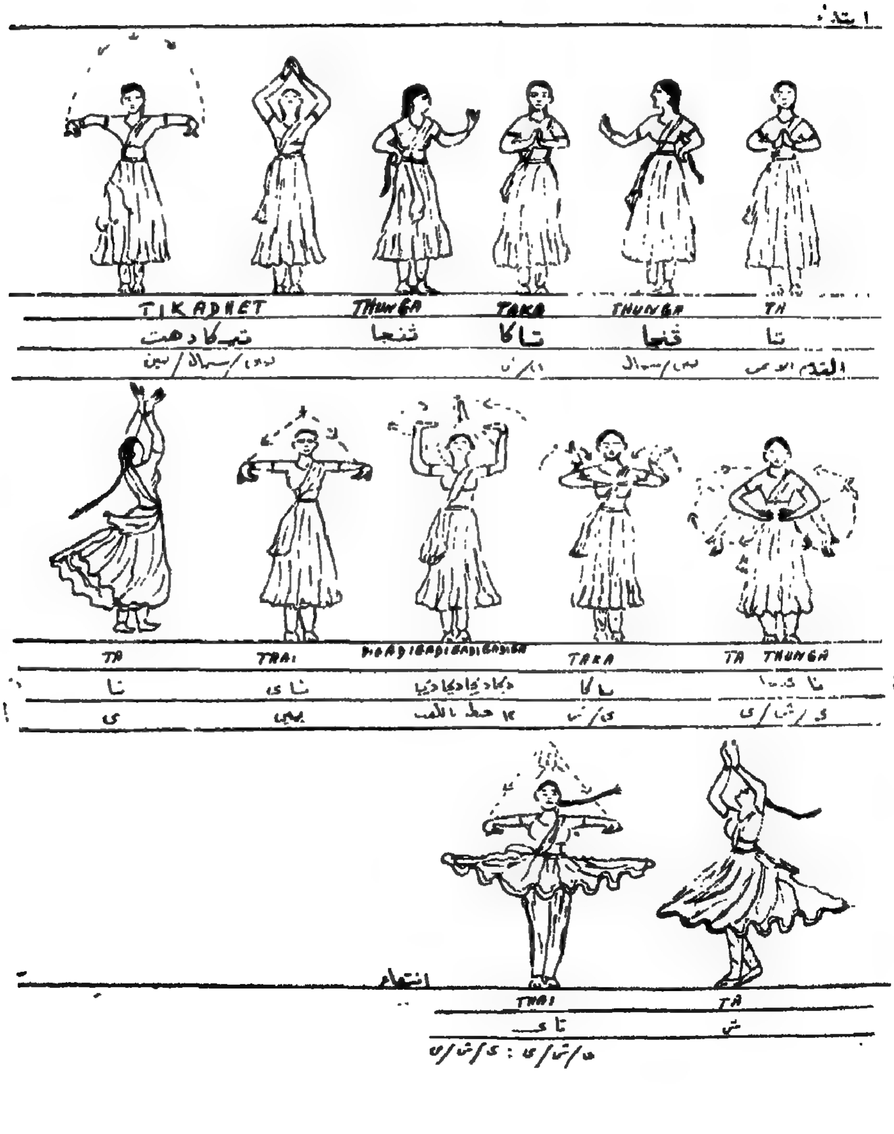

فنون الرقص عند العرب

لا شك أن الدوافع التى تدفع الانسان إلى المرح هى نفسها التى تدفعه إلى الرقص وإتيان الحركات الحماسية فالرقص مظهر من مظاهر الفرح والسرور. والمرح قديم نشأ مع نشوء الانسان وتطور مع تطور الانسان وإذا كان الرقص ملازما للمرح فلا شك أن الرقص قديم نشأ وتطور مع نشوء الانسان وتطوره، يقول البستانى فى دائرة معارفه المجلد الثامن أن الرقص نشأ عن أسباب دينية واستند فى ذلك إلى أن الاسرائيليين هم أشهر الأمم القديمة المعروف عندهم الرقص فكانوا يرقصون فى كل حفلات العبادة فى هيكل « أورشليم » ويقول إنه كثيرا ماورد ذكر الرقص فى أسفار الكتاب المقدس وإن المصريين كانوا يرقصون فى أعياد العجل أبيس وهى أعياد دينية إلا أن الرقص كفن لا يمكننا أن ننسبه إلى أسباب دينية ونحن نعلم أن للرقص (قديما) أنواعا كثيرة أغلبها يمت بصلة كبيرة إلى أسباب حربية. فلقد علمت ميزة الآثينيين نوعا من الرقص المسمى « المنفى » لأن أصله ينتسب إلى « منف » وكانوا يقومون به وهم مسلحون وهو أساس كل أنواع الرقص العسكرية ولعل القارى يستطيع أن يتصور مقدار الحماس الذى يتولى الجند ويتصورهم حينذاك وهم يرقصون. فيحس مقدار ابتكارهم وتفننهم فى هذا النوع من الرقص ويقال إن « ليكرغوس » ابتكر نوعا بريئا من الرقص كان يقوم به الشبان وتتبعهم الفتيات بخطى محتشمة، ولعلنا نلاحظ ذلك على جدران الآثار المصرية. أما العرب فالمعروف أنه لما بلغت الدولة الاسلامية أوج عزها وعظمتها وانغمس الخلفاء والولاة فى اللهو والترف كان لا بد لهذا الترف من مقدمات، وأول ما يتبادر إلى الذهن اهتمامهم بالرقص فهو مظهر من مظاهر اللهو البرىء وغير البرىء. ولقد كان الرقص فنا اهتم به الجوارى فى قصور الخلفاء واهتم به الخلفاء أنفسهم.

جاء فى « مروج الذهب » للمسعودى أن الخليفة المعتمد قال لواحد من ندمائه: صف لى الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الراقص واذكر لى شمائله .

قال النديم : يا أمير المؤمنين ! أهل الأقاليم والبلدان يختلفون فى رقصهم عن أهل خراسان وغيرهم . فجملة الايقاع فى الرقص ثمانيـة أجناس : الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثانى وخفيفه وخفيف الثقيل الأول وثقيله . والراقص يحتاج إلى أشياء فى طباعه وأشياء فى خلقته وأشياء فى عمله .

ما يحتاج إليه الراقص فى طباعه:

١ خفة الروح
٢ حسن الطبع على الايقاع
٣ أن يكون طالبه مرحا إلى التدبير فى الرقص والتصرف فيه .

ما يحتاج إليه الراقص فى خلقته:

١ طول العنق والسوالف
٢ حسن الدل والشمائل
٣ التمايل فى الأعطاف
٤ دقة الخصر وحسن أقسام الخلق
٥ صحة مخارج النفس والاراحة
٦ الصبر على طول الغاية
٧ لطافة الأقدام ولين المفاصل
٨ سرعة الانفتال فى الدورات .

ما يحتاج إليه الراقص فى عمله :

١ كثرة التصرف فى ألوان الرقص
٢ إحكام كل جزء من حدوده

٣ حسن الاستدارة وثبات القدمين على مدارهما

٤ استواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها حتى يكون فى ذلك واحداً.

ولوضع القدم ورفعها وجهان :

١ أن يوافق بذلك الايقاع وهو أمكن وأحسن

٢ أن يسبقه ـ أى الايقاع ـ مع موافقته متراجعاً فقط.

ذلك ما كان من أمر الرقص ومنه نتبين إلى أى حد كان مقدار اهتمامهم بالرقص وتنوعهم فيه. ومنه أيضا نستطيع أن نوحد علاقة زمنية بينه وبين أنواع الرقص الحديث.

ولنبدأ بالأنواع الثلاثة الأولى التى بدأ بذكرها القديم. ونطابق بينها وبين أنواع الرقص الحديث. الانواع الثلاثة الشائعة الآن فى الغرب هى « التانجو. الوالس والفوكس تروت » والمهم هنا تحديد أزمنة الأنواع العربية وموافقتها لأزمنة الأنواع الحديثة.

والمعروف أن للتفاعيل الشعرية إيقاعا يتفق مع الايقاع الموسيقى المنظم والذى نفهمه أيضا أن علاقة أسماء الأجناس فى الرقص بأسماء التفاعيل لا تعدوا العلاقة الزمنية المطلوبة ونورد هنا جدولا يبين العلاقة بين الأجناس.

النوع	التفاعيل	الايقاع	الاصطلاح اللفظى	الميزان	النوع الأفرنجى
الخفيف	فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن (مكررة)	اثنان بسرعة	Allegro	٢/٤	Tango
الهزج	مستفعلن (٣مرات)	ثلاثة	Andante	٣/٤	Valse
الرمل	فاعلاتن فاعلاتن (مكررة ثلاثة مرات)	اثنان	Andante	٢/٢ أو ٢/٤	Fox Trot

والمفروض فى هـــذه المقاييس أن تقسم تقسيما نسبيا يتفق مع درجة الايقاع حتى

يمكننا إيجاد الصلة بينها وبين درجة الايقاع الحديث، ولقد يتساءل القارى الكريم هل هناك علاقة بين بقية الأجناس فى الرقص العربى وبقية الأجناس فى الرقص الحديث (الغربى) وهل هناك علاقة فنية بين الحركات وطريقة الخطو والانتقال ؟

وفى الاجابة على السؤال الأول نقول إنه من المعقول أن تكون بقية الأجناس من الرقص العربى عبارة عن فروع من الأجناس الأولى على اعتبار أن « خفيف الرمل » ناشئ من إمتزاج نوعين ، وهما الخفيف والرمل ، كما تخرج لونين من الألوان أو الألحان الموسيقية — فى الموسيقى الحديثة — وأن ثقيل الثانى هو ثقيل الهزج . وخفيفه هو خفيف الهزج . وان كلمتى ثقيل وخفيف تعبر عن سرعة أو خفة أو ثقل فى الحركات . إن ثبت ذلك فاننا لا نشك فى العلاقة بين فروعى القديم والحديث ولكن مدى الابتكار فى الرقص الحديث واسع المجال وإلى جانب هذا الابتكار فانها لا تتغير فى الأساس الزمنى .

وقد تكون هناك علاقة بين أسماء هذه الأجناس وبين أسماء الأصوات الثلاثة الأولى المختارة من المائة صوت (كتاب الأغانى) . وإن هذه العلاقة هى علاقة زمنية أيضا كما نغنى نحن الآن على أنغام التانجو والوالس والفوكس تروت . إلى جانب الرقص على هذه الأنغام واعتبارها أساسا له ولكن مع ذلك فاننا نميل إلى الرأى الأول ونرجح أن بقية الأنواع تتحد فى الزمن مع الأولى وتختلف فى التأدية وكثير من الأنواع الحديثة التى تبتكر كل يوم مثل الرومبا (Romba) والمزروكا (Mazurka) والكاريوكا (Karyoka) والسنبا (Samba) والممبا (Mamba) وروك اند رول (Rock and Roll) وخلافه تختلف فى طريقة التأدية الفنية والحركات إلا أن أساسها الزمنى يرجع إلى الأسس الزمنية الرئيسية الأولى .

أما فى الاجابة عن السؤال الثانى فقد ظهر من كلام النديم ، عما يحتاج إليه الراقص فى طباعه وفى خلقته وفى عمله ، ما بينها وبين ما يحتاج إليه الراقص فى الرقص الحديث من تشابه . لخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع والمرح وكثرة التصرف فى ألوان

الرقص وحسن الدل والتمايل فى الأعطاف ودقة الخصر ولين المفاصل ولطافة الأقدام وسرعة الانفتال فى الدورات وحسن الاستدارة وثبات القدمين على مدارهما وتوافق رفع القدم ووضعها مع نغم الايقاع. كل هذا يدل على أن هناك تشابها كبيرا بين فنون الرقص قديما وحديثا.

الرقص عند قدماء المصريين

الرقص أقدم الفنون الجيلة على الاطلاق، أحسه الانسان الفطرى فى جسمه ولمس إيقاعه المنظم منسلكا فى بدنه قبل أن يتعرف كنه العالم الخارجى أو يهتدى إلى لغة التخاطب وقد استخدمته الشعوب الفطرية والمدنيات القديمة فى جميع مرافق الحياة. فاستخدمته فى تقديم القرابين وفى السحر والعبادة والولادة والختان وحفلات العرس والحفلات العامة والجناز والصيد والحرب والمرض والبذر والحصاد، وإذن فلم يكن الرقص نقيصة أو خطيئة بل كان على العكس عملا مقدسا تحترمه الكهنة وتجله التقاليد.

وكان إتصال الرقص بالموسيقى وثيقا، فلم تكن الآلات الايقاعية «آلات النقر» تستخدم إلا فى تنظيم حركاته الايقاعية وتقويتها. وقد ظلت تلك الآلات ملازمة للرقص منذ نشأتها حتى الآن. كذلك لم تعرف الشعوب الفطرية والمدنيات القديمة فى بادئ عهدها الغناء إلا مقرونا بالرقص. ولذلك كانت الموسيقى بعنصريها الأساسيين الايقاع والنغم فى خدمة الرقص إلى أبعد مدى إن لم تكن وقفا عليه.

كان الرقص عند قدماء المصريين رمزا للمسرات والأفراح لم يخل منه عيد من الأعياد ولقد كان الفلاح إذا نضج غرسه يقدم أول ما يجنيه من ثماره قربانا للالهة ثم يرقص اعترافا بشكره لهم وعدم كفره باحسانهم. وكذلك كان الرقص فى أعياد معبود فى السرور «هاتور وبسطه» أما عن كيفيته وأشكاله فلقد كان الأغلب فى رقص الدولتين القديمة والوسطى هو النوع المسمى الرقص الجيل وتقوم به النساء فى البيوت لمسرات أسيادهن أو سيداتهن. وكانت الراقصات فى تلك العصور يكتفين بستر عورتهن فقط، تاركات سائر أجسادهن عارية. وإن كان بعضهن يحلين صدورهن ونحورهن بالحلى والأربطة ثم كن يرتدين بعد ذلك ثوبا طويلا شفافا يظهر من أجسامهن أكثر مما يستر

منها . وميل إلى الاغراق فى التزين والرشاقة والمداعبة . وكان رقصهن رقصا مهذبا راقيا بطىء الحركات . رقص النساء فى جماعات فى سير حثيث الخطى إلى الأمام متجها بجمعهن اتجاها واحدا ، الواحدة خلف الأخرى كما نشاهد فى هذه الصورة . وهى من نقوش

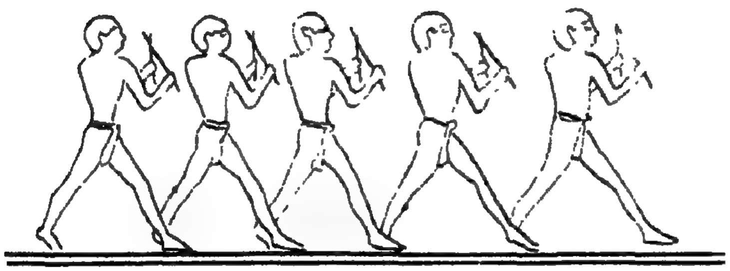

(١) الرقص الجميل

الدولة القديمة . راقصات ومصفقات لا يرفعن أقدامهن فى ذلك عن الأرض إلا قليلا . أما أيديهن فقد كانت الراقصة طورا تصنع يديها مفتوحتين فوق رأسها ، راحة اليد إلى أعلى ، وطورا تمد ذراعها اليمنى فترفعها مائلة واضعة ذراعها اليسرى على خصرها من الخلف . وقد يصل عدد المشتركات من النساء فى ذلك النوع من الرقص إلى اثنتى عشرة راقصة تلازمهن ثلاث نساء أو أربع ، لا عمل لهن إلا التصفيق بالأيدى لحفظ الايقاع الموسيقى وتنشيط الرقص .

أما عن متابعة الآلات الموسيقية للرقص فقد كان يؤديها أغلب الأحيان آلة الصنج شكل (٢) أو الناى .

الشكل (٢) آلة الصنج (Harp) صنج جميل مرسوم على حائط إحدى المقابر بمدينة طيبة، ويعتقد أنها مقبرة الملك رمسيس الثالث (حوالى عام ١٢٥٠ ق. م.)

لوحة تبين آلة الستروم التى كانت تستعملها النساء فى الحفلات الدينية مع الرقص وكن

يعتقدن أن صوتها يطرد الشياطين . وتشاهد فى اللوحة الدف والطار أيضا .

ولم يخل الحال فى الدولتين القديمة والوسطى من وجود الرقص السريع أحيانا ، فكان الرجل إذا رقص مسك بيديه على قطعتين صغيرتين من الخشب يقرعها الواحدة بالأخرى أثناء حركة سريعة . وفيما يلى صورة تمثل الراقصين والقضبان المصفقة .

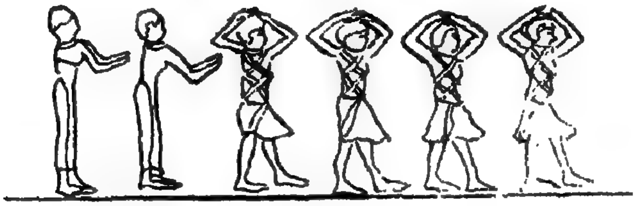

الشكل (٣) صورة القضبان المصفقة ، صورة رقص الحصاد

وهى صورة « رقص الحصاد » بالقضبان المصفقة من نقوشات الأسرة الخامسة بالجيزة المقبرة رقم ١٥ ، وهى عصى رفيعة يبلغ طول الواحدة منها نصف متر تقريبا وتصنع عادة من الخشب . ويرى فى بعض النقوش — الشكل (٤) — صورة الراقصات

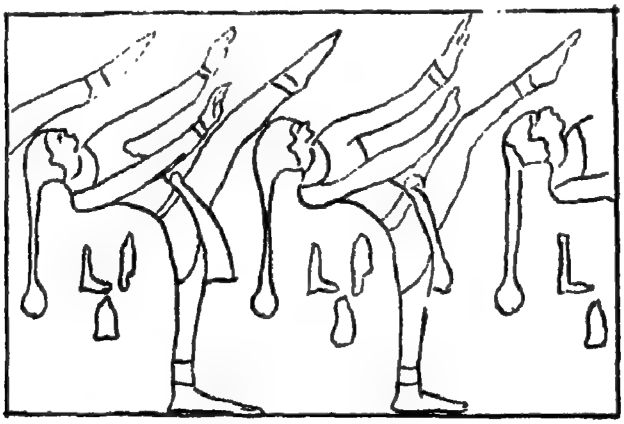

الشكل (٤) صورة لراقصات فى الأسرة الخامسة

فى الأسرة الخامسة ، يرقصن جماعات جماعات رقصا نشيطا يماثل تماما أحدث أنواع الرقص فى أيامنا هذه وهو ما يسمونه الغربيون الآن رقص باليه (Ballet) وكذلك

وجد بين أنواع الرقص فى تلك العصور أن ترقص النساء جماعتين كل جماعة منها أربع وبينما تحنى إحدى الجماعتين أجسامهن يحيى إفراد الجماعة الأخرى اسيادهن وسيداتهن.

وهنـاك نوع آخر من الرقص وجـد فى نقوش الدولة الوسطى وهو ما نسميه فى العصر الحاضر « رقص الصور الحية » — الصورة رقم (٥) — من مدافن بنى حسن من نقوش الدولة الوسطى . وفى هذه الصورة ترى الراقصات عاريات الجسد إلا ما يستر عوراتهن كما هو الحال دائما فى تلك العصور ثم أحلن شعورهن إلى شكل تاج ملكى وقمن هن على تلك الحالة بنوعين من الرقص الأول : وهو يوضح فى الصورة إلى اليمين (الف) كانوا يسمونه تحت الأقدام ، ذلك أن تمثل إحدى الراقصات ملكا منتصرا فتجثو الأخرى على ركبتها أمامها كأنها العدو الخاضع وقد قبض المنتصر بيده اليمنى على ناصية عدوه المستكين ويسمى هذا النوع من الرقص « تحت الأقدام » إشارة إلى أن الملك الجاثى المنهزم يقول للملك المنتصر : إن الشعوب جميعها تحت قدميك .

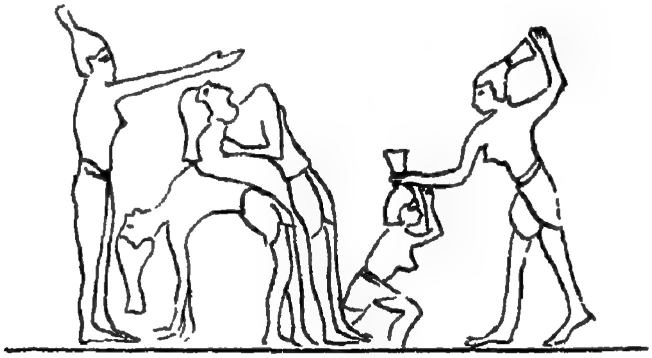

ب ا

الشكل رقم (٥) رقص الصور الحية

ا تحت الاقدام ب الرياح

أما النوع الثـانى : من رقص الصور الحيـة وهو المبين بيسار الصورة (ب) يتسمى « الرياح » ، وطريقته أن تحنى إحدى الراقصات ظهرها إلى الخلف حتى تصل يديها إلى

الأرض وقد أصبح جسمها على شكل نصف دائرة ثم تميل راقصة أخرى بجسمها على الراقصة الأولى بذراعين مقبوضتين وتأتي ثالثة فتمد ذراعيها فوقها وسمي هذا الرقص «الرياح» إشارة إلى أن الراقصات يمثلن بحركاتهن هذه فعل الرياح بالحشائش.

كاشمـــير

للاستاذ عثمان حيدر مرزا

رأت ولاية كاشمير فى تاريخها، قبل نحو خمسة قرون عصرا زاهيا، حين تولى هذا الوادى المنعزل الجميل ملك سليم الطويـة خبير بالأمور، حائزا جميع الشيم الكريمة ومتصفا بالخصال الحسنة عما لا بد منها لملك عظيم عادل. وكان اسمه الحقيقى شاه خان، لكنه اختار لنفسه «زين العابدين» لقبا حين جلوسه على العرش سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م). وشاع لقبه هذا حتى أصبح اسمه الحقيقى نسيا منسيا.

وتولى زمام الحكم حين كانت الولايـــة فى أسوأ وأفجع حال، وذلك لأن أباه السلطان سكندريار، على فخامة شـأنه وسعة سلطـته، لم يلتفت إلى إسعاد الشعب التفاتا ولم يعتن بخصوبة البلاد اعتناءا. فكان عصره للبلاد عصر كآبة وشقاء، استوليا على المملكة من أقصاها إلى أقصاها. وتداعت المعابد الحجرية القديمة وسمحت للدهر أن يأكل عليها ويشرب ويتركها مقفرة رائية لحالها.

وكان رياست بن وزير السلطان سكندريار المحبب، أحـد البراهمة ارتد عن دينه وتقلد الجور والظلم، يستلذ بمعاناة زملائه، ويزيد السلطان عصبية وطغيانا. فكان يرسم خططا جديدة لاذلال البراهمة وإخزائهم. فانقلبت الولايـة عليهم وادى مخاوف ومخاطر، وضاقت أراضى الوادى على سكانها الحقيقيين بما رحبت.

فجاء لهم تتويج الملك زين العابدين بحياة جـديدة وأصبح ارتقائه على العرش فاتحة عصر جديد، عصر السلام والخصوبة، عصر الرغد والطمانينة. وأمر الملك العادل الجـديد بالغاء المظالم، وأصدر قرارا بأن تنقش أوامره على الألواح النحاسـية المصقلة وترسل إلى جميع البلاد قريـة قريـة، ليعلم الشعب أن عصر

الجور والعدوان قد انتهى وغابت مردة الظلم والطغيان عن الولاية عن غير رحمة. وعد البراهمة هذا العهد الجديد، بعد شدائد قاسوها، دورا يتجدد بعد كل ألف سنة. فعاد «تيكا» رمز السعادة الداخلية يتلألأ على جباههم من جديد، ووجدوا أنفسهم مرة أخرى أحرارا فى إقامة شعائرهم وعباداتهم. ولم يقيدهم الملك إلا بأن يحافظوا على القوانين التى وردت بها كتبهم القديمة ولا يحيدوا عنها قولا أو عملا بيد أنه لم يحرم عليهم التفكير الحر إذا ساعدهم ذلك على مقاصدهم الحسنة.

ولم يكن البراهمة الذين حظوا بعناية الملك، وإنما فازت الطوائف والطبقات قاطبة بحياة حرة سعيدة مهما كانت عقائدهم ومهما كانت دياناتهم. وكانت الدولة العادلة تظللهم جميعا دون امتياز أو تفوق، إذ كان هم الملك الوحيد أن يدير الدولة إدارة تأتى بالسعادة التامة لشعبه. ووجه بالغ اهتمامه إلى المشاكل الزراعية. وبذل لحلها محاولات جاءت بتقدم واسع فى الزراعة ورفعت مستوى حياة الفلاحين. وذلك بما أنشأ نظاما جيدا للرى ونقض الضرائب المأخوذة على الرى. وكان زين العابدين مؤمنا بالعدالة الاجتماعية، فلم يسمح للثروات أن تتكتل فى حياض معينة. وحاول أن تنقسم الثروات على أسس المساواة، حتى يرتفع مستوى حياة المتخلفين ويقضى على غطرسة الأغنياء ويخلصهم من الثروة الزائدة. وكان دخله الذاتى لا يزيد على ما يعول حياة بسيطة. وكان مصدره معدن نحاس اكتشف حديثا فى البلاد، وخرج من المعدن مقدار من النحاس ما كفى لسبك نقود جديدة، حينما كانت تسبك من شظايا الأصنام المعدنية أيام أبيه الملك المهمل.

وفى نفس الوقت دونت قوانين السلع والتجارة، وحددت الأسعار لأول مرة فى تاريخ كاشمير، وأنذر التجار أن لا يحتكروا ولا يأخذوا أثمانا باهظة،

وإلا فلهم عقاب شديد. وكان زين العابدين ذا بصيرة ثاقبة قلما أخطأت، وروح كريمة لا زالت تحفزه على إقامه العدالة وإصلاح الادارة، وقل أن أمر بشنق مجرم، وعفا فى كثير من الأحيان عن اللصوص وقطاع الطريق، ومنح لهم الحياة وشغلهم فى بناء القناطر والشوارع وغيرها مما تنفع الشعب. وكان عطفه البالغ هذا ما استفزه على حظر الصيد للهواية. وعدل هو نفسه عن الاصطياد الذى ما زال للملوك والولاة، لعبا ممتعا كما لم يتهافت على اكتناز الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وظل يؤثر الشعب ورفاهه على نفسه.

ولم يقصر عنايته عند تحسين إدارة الدولة ولكنه كان محبا للعلوم ومشرفا على الفنون، ومشجعا على التعليم، وكان مغرماً مثل الامبراطور أكبر، بأن يجمع حوله العلماء. والأدباء والبراهمة وعباقرة الفن، وكان يستمع إليهم ليفيد من معارفهم. وكان محافظا على مكانتهم ومراعيا منزلتهم، ولم يترك لهماز أو مشاء أن يجد سبيلا فيفسد هذه الجماعة من الجهابذة. وكان بلاطه بريئا من الاغتياب والنم على عكس ما شاع فى بلاط الملوك المغول. فكان جو علمى أدبى سائدا فى الديوان، وتمكنت عبقرية الكاشميريين من أن تتجلى فى أبهى مظاهرها. فظهرت من بينهم شخصيات خالدة حفل التاريخ بذكراهم. نخص بالذكر منهم:

(١) الشاعر الفيلسوف سلطان محمد. الذى حظى بذكاء جاد وفطنة خارقة ساعدته على حل الغوامض الفلسفية وترك من النظم آثارا خالدة.

(٢) الشاعر «ستوام» أنشد بلغته المحلية أشعارا ساحرة وألف تاريخا جامعا لعصر زين العابدين.

(٣) الأديب «لودى بت» له مؤلفات فى الموسيقى نسبها إلى الملك، وكان يحفظ شاهنامه لفردوسى. يتلوه من أوله إلى آخره دون أن يلتبس عليه شعر.

(٤) الحافظ جميل الخراسانى. وكان شاعرا بارعا حلو الصوت، يلتف الناس حوله عند إنشاده الأشعار. وألف أغانى وأنغاماً ما زالت مقبولة ومتداولة فى كاشمير إلى زمن طويل.

وإلى جانب الأعمال التى أتمت فى عصره، نقلت كنوز عربية وفارسية كثيرة إلى اللغة الكاشميرية. وبالعكس. وترجم مهابهارتا وراج ترنجنى[١] فى عصره من السنسكريتية إلى اللغة الفارسية، وكان الملك بنفسه عارفا بلغات كثيرة وضالعا من ستة لغات، وكان الملك يحب الموسيقى أكثر من غيره. فجمع حوله كثيرا من النابغين منهم ملا عودى الخراسانى، وكان فريد عصره. اعتاد الملك أن يستمع إليه حين عزفه على العود وكان يعجب به أكثر من الأورفيوس (Orpheus).

وأمر أن تذهب آلات الموسيقى مثل رباب وغيره وترصع بالأحجار الكريمة وتعزف عليها فى البلاط، وبما أن الملك أحب الموسيقى انتشر الفن فى الولاية كلها، ونشأ فيها مهرة الفن وعباقرته ودوت فى العالم أصواتهم. وذكر المؤلف الشهير أبو الفضل كذلك الموسيقين الكاشميريين.

وأما فى ميدان البناء فقد أقيمت عدة عمارات فخمة، وبنيت جسور وسدود وغيرها من المبانى القيمة، وتقدمت صناعة البناء بالأخشاب المنقوشة. ويذكر أن مبنى فخما استخدمت فيها الأخشاب المنقوشة كان فى سرينكر متكونا من ١٢ طابقا يحتوى بعضها نحو خمسين غرفة إلى شرفات جميلة. وكان بعض النماذج لعصره باقيا أيام الامبراطور جهانجير حيث ذكرها فى يومياته، كما كانت قصص عدالته شائعة. وأبدع الأمبراطور جهانجير فى وصف إحدى القرى الجميلة مما أسسها الملك زين العابدين على شواطىء عين نضاخة حيث كانت ألوف من الأشجار المتشابكة تظالل على فراش أخضر ذى الأزهار. وإن أفخم المبانى التى بناها زين العابدين،

١ — تاريخ قديم مطول لكاشمير.

كان واقعا على جزيرة مصطنعة أقيمت وسط خليج وولر الواسع على مقربة من سرينكر، وكان المبنى محلا لاستراحة الملك يؤمه حينا لحين، وأهل به فى أيامه الأخيرة ليقضى أوقاته فى المراقبة والعبادة. ويذكر الأمبراطور جهانجير أسطورة شائعة تتعلق بهذا الربع المنعزل، فيقول إن الملك كان يستريح مرة فى هذا القصر، ويصرف أيامه فى العبادة، فتقدم إليه أحد أبنائه مدفوعا برغبته الملحة فى الارتقاء على العرش، ولم يحفل بأن محاولته هذه تكاد تفضى إلى قتل الوالد على يد المولود، لكنه فقد وعيه فى آخر لحظة وتراجع مرتبكا فزعا، فاذا بملك يطل من القصر ينوى العودة إلى المدينة. ودعا ابنه إلى المرافقة، فركبا سفينة جرت بهما وتذكر الوالد فجأة، وهما فى الطريق، أنه نسى سبحته فى غرفة العبادة والتفت إلى ابنه أن يعود ويأتى بها. فعاد الابن ودخل القصر، وما إن ولج غرفة العبادة حتى توقف مصعوقا عليه إذ وجد والده جالسا فى مجلسه ومسبحا على سبحته ومستغرقا فى العبادة كأنه لم يتحرك من جلسته، وكان المنظر للابن منظر دهش وفزع، فارتجف وأدرك مكانة أبيه منه وتاب على الفور عما عقد عليه العزم منذ حين.

وتوجد كذلك أسطورة أخرى خارقة تتعلق بابلاله من مرض، فكان ذات مرة أصيب بداء عضال أعجزت الأطباء، واستولى اليأس على الجميع، فاذا بدرويش يدخل مع أحد تلامذته ويقدم إلى الحاشية أن يفدى حياته ويشفى الملك المحتضر، فالتمس إلى الخدم أن يخلو بينهما وبين الملك، فخرجوا من الغرفـة وانتظروا على بابهـا ما ستأتى به الأقدار، ورأوا تلميذ يخرج من الغرفة بعد هنيهة يحمل على ذراعيه جثمان سيده الذى لاح لهم ميتا، فبادروا إلى مليكهم واستخفهم الفرح لما وجدوه متماثلا من العلة كأن لم يكن به مرض منذ أحقاب. وحقيقة المعجزة أن قام الدرويش بأعمال سحرية نقلت روحه إلى جسد الملك المشرف على الموت.

وبجانب ما نال زين العابدين من حب الشعب واحترامه إياه، ذاع صيته بين

الملوك المعاصرين. فرأوا أن يؤسسوا العلاقات الودية معه، فبعثوا إليه بهدايا ورسائل الصداقة والبعثات الودية. وكان عاهل خراسان السلطان أبو سعيد مرزا راغبا — بوجه خاص — فى مصادقة بطلنا العادل، فأرسل إليه بعثة تحمل رسالة الود والهدايا القيمة من بينها الجياد العربيــة والابل. وقدر زين العابدين هذه العواطف وقبل الهـدايا شاكرا وبعث بغرارات الزعفران وأذناب الياك (Yak) والمسك والأكواب الزجاجية وغيرهـا من خيرات كاشمير. وأوفد عاهل سنده رسولا خاصا ليعرب عن حبه لزين العابدين. وجاء بقصيدة بديعة فى المدح وهدايا أخرى. وكذلك قدم والى جواليار عدة كتب نادرة فى فن الموسيقى، كما رأى والى بلاد التبت أن يرسل إليه العرانق السود مما ألقى عليــه القبض على خليج مانسرور.

وكان السلطان بهلول اللودى والسلطان محمـــد والى گجرات وشريف مكة وعاهل سنده من الملوك والولاة الذين انتهزوا فرصة استرضاء زين العابدين وإنشاء العلاقات الودية.

وتوفى زين العابدين سنة ٨٧٧ من الهجرة (١٤٧٠ م) بعد أن حكم البلاد نحو خمسين سنة ملأ فيها الولاية رفاهة وخصوبة، وكان سر نجاحه كامنا فى شخصيته الساحرة التى جلبت له حب شعبه وحفزته على الاطاعة. وكان سليم الطويــة، عطوفا شفوقا. لم يعبس لأحد ولم يعذل مجرما ولم يزجر جانيا، فاذا ثقل عليه قول أو عمل أحـد لم يجاهره بالكلام بل دبر حيلة ليغيب عن أعينه، دون أن يلمس هو بأنه سبب استياء الملك.

ولا مراء فى أنه كان من الملوك النبلاء الذين خلد التاريخ ذكراهم.

من اخبار الهند الثقافية

كانت الحكومة الهندية قد شكلت لجنة فى نومبر سنة ١٩٥٣ لتنظر فى التقاويم الشائعة فى البلاد، وتقدم إلى الحكومة وصاياها بشأن تقويم هندى جديد، وواصلت اللجنة بحوثها العلمية، وقدمت تقريرها سنة ١٩٥٥ مع تقويم هندى جديد برىء عن العيوب التى لم تخل منها التقاويم الهندية الأخرى.

وقررت الحكومة ترويج هذا التقويم الجديد منذ شهر مارس ١٩٥٧. فأخذت الدوائر الرسمية فى استعماله ونشره، وبما أن الشعب متعود على التقويم الغريجورى، وكان من الصعب أن يرغب عنه فى تقويم جديد دفعة واحدة، تقرر أن يتداول التقويمان جنبا لجنب لمدة يسيرة حتى ينتشر التقويم الهندى الجديد.

والتقويم الهندى الجديد مؤسس على سنة ساكا (Saka) التى بدأت منذ الاعتدال الشمسى الربيعى سنة ٧٨ م، وتتكون السنة من ٣٦ يوما، وذلك باضافة يوم واحد إلى الشهر الأول (شيترا) لكل سنة كبيسة.

وكانت هذه السنة متداولة شائعة فى البلاد إلا أن الفلكيين أخطأوا فى قياس السنة التى أصبحت تطول من السنة الحقيقية بنحو ٢٤ دقيقة، وظلت هذه الدقائق تتكاثر وتزداد سنة فسنة خلال القرون الماضية، مما أدى إلى تغير الأعياد والفصول عن مواعيدها الأصلية بنحو ٢٣ يوماً. وحاولت اللجنة محاولة ناجحة فى صون التقويم الجديد عن الأخطاء، محددة طول السنة تحديدا قطعيا حتى لا تتحول التوانى على مر الزمن إلى الدقائق فالساعات فالأيام فالشهور.

وفيما يلى السنة الهندية الجديدة مع ما يعاصرها من السنة الغريجورية:

شيترا	(Chaitra)	٣٠ يوما	يبدأ من	٢٢ مارس
»	»	٣١ »	(فى سنة الكبيسة)	
ويشاكها	(Vaishakha)	٣١ »	يبدأ من	٢١ ابريل
جيت‌ها	(Jaishtha)	٣١ »	» »	٢٢ مايو
أشادها	(Ashadha)	٣١ »	» »	٢٢ يونيو
شراوانا	(Shravana)	٣١ »	» »	٢٣ يوليو
بهادرا	(Bhadrapad)	٣١ »	» »	٢٣ أغسطس
أشوينا	(Ashvin)	٣٠ »	» »	٢٣ سبتمبر
كارتيكا	(Kartika)	٣٠ »	» »	٢٣ اكتوبر
مرجاشيرشا	(Margashirsha)	٣٠ »	» »	٢٢ نوفمبر
پاوشا	(Pausha)	٣٠ »	» »	٢٢ ديسمبر
ماجها	(Magha)	٣٠ »	» »	٢١ يناير
بهالجونا	(Phalguna)	٣٠ »	» »	٢٠ فبراير

* * *

أبرمت الحكومة الهندية معاهدة ثقافية مع رومانيا وتفضل صاحب المعالى مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف والتحقيقات العلمية ورئيس مجلس الهند للروابط الثقافية، بتوقيعها عن الهند. وتستهدف المعاهدة إلى إنشاء التفاهم والتعاون المتبادلين بين البلدين وتوسيعها فى الحقول المختلفة.

* * *

ورع الدكتور راجندر برساد رئيس الجمهورية الهندية أوسمة وشهادات على الأفلام الهندية الرائعة المخرجة لسنة ١٩٥٦، وكان الفيلم البنغالى «كابلى والا» الذى ظفر بوسام الرئيس الذهبى، وهو ثالث الأفلام التى أخرجت باللغات المحلية وفازت بالأوسمة الذهبية.

ومنح الرئيس وساما ذهبيا آخرى لـ «جوتاما البوذا» الفيلم الانجليزى، وذلك علاوة على الأوسمة والشهادات التى تكرم الرئيس بمنحها على الأفلام الهندية الأخرى.

* * * *

أقامت أكاديمية الموسيقى والتمثيل حفلة فخمة للمناقشة حول الموسيقى. وألقى فيها الأستاذ آير محاضرة قيمة قال فيها إن مبدأ الاتزان (Harmony) فى الموسيقى الغربية يختلف عن مبدأ النغمة (Melody) التى هى أساس الموسيقى الهندية الكلاسيكية، ومن العسير اجتماعها فى نقطة. فان حاولنا إدماج (Harmony) فى الأغانى الكلاسيكية الهندية فسنكون قد قضينا على الثروة التقليدية التى امتازت بها الموسيقى الهندية منذ عصور. وقال المستر آير أثناء حديثه عن الموسيقى الكلاسيكية إن فكرة راجا (Rag) فكرة خاصة بالنسبة إلى النظم الهندية. ثم أسهب المستر آير فى ذكر فكرة راجا وقال إنها تختص على تطورها بفن الموسيقى الهندية، وأضاف المستر آير قائلا إن الأغانى الشعبية ربما تلوح لنا مستوحشة أو ناقصة بيد أنها حقيقة لا مراء فيها. أن هذه الأغانى تكون معظم أساس موسيقينا الكلاسيكية إذ ترشدنا دراسة دقيقة إلى أن كثيرا من راجا يرجع فضلها إلى الأغانى الشعبية.

* * * *

تقول التقارير الواردة من البحرين أن بعثة دانمركية أثرية اكتشفت عن خاتم حجرى (Seal Stone) عليه كتابة للغة مجهولة، ويرجع تاريخه إلى ٥٠٠٠ سنة، ويشبه فى طرازه بما وجدت فى وادى الهندس والعراق. ويرى أعضاء البعثة أن هذا الاكتشاف يؤيد النظرية القائلة بأن المدنية السومرية نشأت أولا فى وادى الهندس وانتشرت عن طريق البحرين إلى العراق.

* * * *

بينما كان العمال يحفرون الأرض فى نالندا، لبعض الأغراض البنائية، وجدوا تمثالا لبوذا منحوتا من الحجر. وتقول التحقيقات الأثرية أن التمثال يرجع إلى القرن السادس ق.م.

أنباء مجلس الهند للروابط الثقافية

أقام المجلس مأدبة تكريما لمستر سى - اے - ايف دونداس وقرينته فى شهر إبريل، وذلك بمناسبة تقاعده (Retirement) من تمثيل المجلس البريطانى فى الهند.

* * * *

قام قسم المجلس للثقافة الفارسية ولغتها بتنظيم المحاضرات القيمة التى ألقاها جهابذه العلم والأدب، فكان المحاضر على موضوع «روح الفلسفة الهندية الفارسية» المستر س، ل، باندے الأستاذ فى جامعة الهآباد. كما ألقى البروفيسور ر، ن، كول رئيس قسم الفلسفة فى جامعة الهآباد محاضرة على «التصوف الاسلامى فى شعر غالب وإقبال».

* * * *

قدم المجلس كتبا فى المواضيع الهندية إلى المعاهد الأدبية فى ألمانيا وفرنسا والسودان.

* * * *

بعث المجلس نخبة من الألاعيب الهندية إلى الأطفال فى الولايات المتحدة.

* * * *

أقام المجلس مخيمين للطلبة الأجانب المقيمين فى الهند. وكان أحدهما فى اوتاكاموند (فى الجنوب) وثانيهما فى دارجيلنج فى الشرق وداما لشهر كامل وحضرهما الطلبة.

حضرت المخيمين البروفيسور همايون كبير وزير الحكومة الهندية للطيران المدنى والمستر غلام السيدين سكرتير وزارة المعارف الهندية، والمستر راما سوامى آير.

* * * *

اهتم المجلس في بومباى بدروس في تاريخ الشرق وثقافتـه والهند على الخصوص. وذلك لافادة الطلبة الواردين من البلدان الأخرى فيطلعون على المواد اللازمة بايجاز.

* * *

عين الأستاذ فيضى نائب مدير (Vice Chancellor) لجامعة جمون وكاشمير وكان للآن عضوا للجنة الخدمات الشعبية وعضوا من أعضاء المجلس.

THAQĀFAT-'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1	Buddha and Buddhism	Mr. 'Aamir Ansari	2
2	Indian Dance	Mr Mahmood Fahmi Zaki ...	74
	Arab Dance	... ...	90
3	Kashmir	Mr. Usman Hayder Mirza ...	101
4	Cultural News of India	... ...	107
5	News of I. C. C. R.	... ...	111

ANNUAL SUBSCRIPTION: Inland Rs. 8 Abroad Sh. 8. **SINGLE COPY:** Rs. 2

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY

KHALEEL SHARAFUDDIN, 444 MEMONWADA ROAD, BOMBAY 3 AND PUBLISHED BY

MR I R KHAN

SECRETARY INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS PATAUDI HOUSE NEW DELHI 1

THAQĀFAT'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

JUNE 1957

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

سبتمبر ١٩٥٧

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات فى السنة: مارس ، ويونيو ، وسبتمبر ، وديسمبر

الاشتراك للسنة: فى الهند : ثمانى روبيات فى الخارج : ثمانى شلنات

ثمن العدد الواحد : روبيتان

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية ، پتودى هاؤس ، دلهى الجديدة نمرة ١

مطبعة «ق» بالهند

لصاحبها خليل شرف الدين ، ٤٦ اے شارع ميمن وارا ، بمبای ٣

طبعت بامر مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الثامن | سبتمبر سنة ١٩٥٧ | العدد الثالث

محتويات هذا العدد

		صفحه
١ الثقافة عند الآسيويين ـ للأستاذ غلام السيدين	تعريب الأستاذ عامر الأنصارى	٢
٢ فلسفة غاندى السياسية	للسيد أبى النصر أحمد الحسينى	١١
٣ شانكر اجاريار	بقلم الأستاذ محى الدين الالوائى	١٧
٤ التعليم فى العصر البوذى		٤١
٥ منظومة « بنجوتى »	للأستاذ عبد الحليم ، بومباى	٥٠
٦ الطاقة الايحائية فى الكلمات العربية	للأستاذ صفا الحيدرى	٥٨
٧ من أخبار الهند الثقافية		٦٤

الثقافة عند الآسيويين

للاستاذ غلام السيدين

تعريب الاستاذ عامر الانصارى

منذ أن ظهر التطور فى الصناعة وتقدمت العلوم التجريبية الحديثة ما زالت زعامة العالم فى أيدى الغرب الذى منح البشرية هدايا قيمة كثيرة. كفتح الآفاق ممتدة الأرجاء نحو العلم وتوفير المواد الانتاجية التى لا عهد لنا بها، ورفع مستوى الحياة وتحسين الخدمات الاجتماعية وغيرها من المرافق المادية المعلومة الشهيرة التى لا تحتاج إلى شرح وبيان.

بيد أن الخيرات التى أتحفنا بها الغرب يعكر صفوها مقدار من الغضاضة عظيم، ويلوح فى بعض الأحيان كأن هذه الغضاضة استحوذت عليها بكل قوة، فنى ناحية وسائل مواصلاتها السريعة التى تدعو إلى الاعجاب ومعجزاتها الكهربائية ورئتاها الحديديتان وعقاقيرها المخدرة التى توفر الراحة وتقضى على الآلام، وفى ناحية أخرى الاستغلال الاقتصادى الفعال الواسع النطاق الذى يفتك بجميع الطبقات والشعوب بواسطة العصابات القوية وبالوسائل الفظيعة المخيفة التى لا يصدقها العقل و التى تنتهى إلى القنبلة الذرية.

ويظهر مما ذكرنا أن العقل الغربى، رغم نجاحه فى تمهيد واستغلال وسائل القوة ما لم يعرفها البشر من قبل، مازال قاصرا عن تذليل هذه الوسائل واستخدامها للأهداف النافعة الثمينة. فكأن عفريتة خبيثة لعنت هذا العصر الحديث المرتجى حين مولده فى الحياة البشرية، وسمت كل ما وهبته أرواح طيبة أخرى من الهدايا والفضائل. فلعل من أهم المشاكل اليوم امام البشر أن يخلص نفسه من

وبلات هذه اللعنة، فيتمكن من استخدام هذه القوى النافعة استخداما حسنا.

وأما ما يتعلق بآسيا فانها قد استمرت خلال القرنين الماضيين فى حالة من التدهور والخمول حتى إلى أيامنا القريبة. وكانت مكرهة — إذا لم تكن طائعة — على أن تطاوع أمريكا وأوربا فى كل تصرفاتها، وقد بهرتها ظواهر المدنية الغربية الزائفة وملكت على أمرها عقليا وماديا، وذلك بفضل القوة التى خولتها هذه الظواهر إلى الغرب، ولم تكن العاقبة أن فقدت آسيا حريتها السياسية والاقتصادية بل كانت أوخم وأفظع من ذلك. فكثير من الدول الآسيوية أخذت تنسى أسلوبها وتراثها الثقافيين واندفعت تقلد المدنية الغربية فى مظاهرها الخارجية دون انتقاد وعلى غير هدى، وتعدت بعضها فصارت تنظر إلى تراثها الثقافى نظرة الاحتقار والامتهان. وكان من هذه النزعة الاحتقارية ومن هذا الميل إلى التسول الثقافى أن حرمت الشعوب الآسيوية روحها ومعنويتها. فأخفقت فى المحافظة على تضامنها الفنى والثقافى والبقاء على قيمها الأدبية والاجتماعية، وأصبح طابع حياتهم تعوزه المعانى السامية. كما لم تعد قادرة على إيجاد الروابط الحيوية المباشرة مع جاراتها الآسيوية، وإذا كان هناك ما يسمى علاقة، كان المعول فيها على وساطة الغرب.

وبلغ التنافر بين الشعوب الآسيوية المجاورة كل مبلغ حتى لا ترى بعضها بعضا كما هى هى، بل حسبما تراءت لها من خلال المنظار الغربى المستعار، وأصبح الهنود والروس والعرب والصين والأمم الآسيوية الأخرى ينظر بعضهم إلى بعض نظرة الأجانب كأن لا رابطة بينهم. وتفاقمت الاختلافات السطحية التافهة واستفحلت وأمست تحجب ما كان بينها من الاتحاد فى الفكر وتصور العلم والفلسفة منذ قرون، وظلت الأمم المتجاورة تزداد تنافرا غير طبيعى وتتجاهل معنويتها وروحها الأصلية. وما برحت كذلك لأحقاب مضنية كثيرة.

وقامت الحرب العالمية الأولى فجاءت بعملية مزدوجة لايقاظ آسيا وإزالة

الأوهام عنها، فثارت آسيا الجبارة من سباتها تنفض عنها غبار الغفلة وتفيق لترى ما فى درع عدوها الغاشم من فتق وخرق.

وخلقت المدنية الغربية فى أحضانها قوى عدة تتسرب إلى كيانها وتدمر وتأتى على مظاهرها الخادعة بالتدريج، ولم تكن الأرواح الغربية فاقدة الفهم، فسرعان ما فطنت إلى هذا الخطر الداهم واعترفت به، ولم تعد آسيا بدورها مبهورة بالغرب بل أصبحت تتضايق من مزاعمه للتفوق وأخذت فى انتقاد دعاويه الزائفة المتوالية، وثبتت الحرب الكونية الثانية متممة لهذه العملية إذ أماطت اللثام عما كان فى المدنية الغربية من الانحلال الأدبى، وتعرفت آسيا على هذا الانحلال وتطلعت إلى سعادة الحرية وفازت بها إلى حد لا يستهان به واهتمت برفاهها المادى، لكنها لم تقصر عنايتها واهتمامها عند هذا الحد وإنما أخذت على عاتقها مهمة إنقاذ العالم دون أن يستخفها الزهو أو تردهيها الغطرسة.

ويتوقف إنجاز هذه المهمة على ما لنا من مقدرة وكفاءة، فنحل المشكلة حلا أحسن من الغرب. أى المشكلة الأساسية الحاضرة التى يحق لنا أن نعبر عنها بمعضلة إعادة الاتزان والتعادل بين رقينا الفنى والعلمى وبين مقدرتنا الأدبية والاجتماعية على استخدام هذا الرقى للأهداف السامية النبيلة، ويمكن تفسيرها بعبارة أخرى بأن الواجب علينا هو أن نخلق تلاؤما بين القوة — سائبة العلم الحديث — وبين البصيرة الروحية (vision)، الهدية الفريدة التى لا بأس فى تسميتها بالفكرة الدينية، وهى التى تزودنا بروح الانسانية النزيهة وتمدنا بشعور صادق بالقيم، وإليها يرجع الفضل فى تقديرنا طبيعة الانسان ومصيره، وبها ندرك علاقة الانسان مع غيره من بنى جلدته.

ومن هنا نقول إن واجب آسيا أن يكون دورها الخطير وميزتها فى هذا النضال أكبر مساهمة ممكنة فى خلق التعادل اللائق بين هاتين الدعامتين الكبيرتين اللتين هما أساسان لعالم أرقى وأفضل.

وكانت آسيا منذ قديم مولد أديان عالمية كبيرة، فربت فى حجورها الهندوسية والبوذية والمجوسية والمسيحية والاسلام وغيرها من الديانات العالمية. وكانت هذه الديانات كلها — كما ليس بخاف — ترمى إلى أن تجمع البشر تحت ظلال حقائق وقيم روحية، فتأثرت بها الثقافات الآسيوية فى حقولها المتنوعة من الفلسفة والفن والأدب، وامتازت باهتمامها بالسلام أكثر من أى شىء آخر، فلم تعتن بالثروات المادية والقوة وما سماه برتراند رسل «السعادة التملكية»، مثل اعتنائها بالبحث عن طلب السعادة والحقائق الداعية للسلام وما نعبر عنها «بالسعادة الابتداعية».

ولا إخالنى مغترا أو مخدوعا حتى أزعم أن الشعوب الشرقية — أو عدد وفير منها على الأقل — متهالكة فى طلب هذه القيم بينما يخضع الغرب للشهوات وينال منه التهافت على القوة والمرافق المادية، حتى أمسى يتغافل القيم الحسنة كل التغافل، كما لا يمكننى أن أويد النظرية السمجة القائلة بأن الغرب مادى والشرق روحانى. فان مثل هذه النظرية التى ربما ينافح عنها البلهاء إسراف فى تبسيط الصورة إلى مدى تشويهها، فلو كان الأمر كذلك لما واجهت الشرق أية مشكلة من مشاكل التعسفات الاجتماعية والأدبية الحامية، ولما استطاع الغرب تأسيس نظام من نظم الخدمات الاجتماعية التى أنشأها فى هذا القرن. وليس هذا فحسب، وإنما تفترض هذه النظرية نوعا من الثنائية بين المادية والروحية بينما لا نرى لهذه الثنائية مبررا قانونيا، فالحياة البشرية — سواء ننظر إليها من حيث المجموع أو الأفراد، تتكون من نفس وجسد وتتطور على أساس العقل الجسدى، وللجسد مقتضيات مثل الروح حتمية. وإنه لمن العسير أن يتقدم نظام اجتماعى صاخ أو تنمو حياة صالحة قبل أن نوفق بين مقتضيات هذين العنصرين، وعندئذ تتمكن من خلق مثال لائق للثقافة والمدنية، ولو أفرطنا فى استجابة مقتضيات جانب وفرطنا فى استجابتها لجانب آخر، ففى هذه الحالة ينشأ الصراع الداخلى والتناقض فى الحياة البشرية مما حاول أرباب البصيرة الروحية والعقيدة

دائما للتغلب عليها. وتفاقم هذا الصراع والتناقض وازداد فى عصرنا هذا مرارة.

وكذلك «هيدونيزم» أو التلهف على طلب السعادة والأفراح الجسدية وجعلها هدفا رئيسيا للحياة؛ والتقشف أو إنكار الجسد وإهمال مطالباته وغض النظر حتى عن رغباته العادية، فهما لطرفان متطرفان تنتهى إليهما ذبذبة هذا الرقاص الخالد. وكان هذا هو التطرف الذى جاء لكل عصر بالمشكلة من جديد، واضطره إلى أن ينصب له قواعد ومعايير جديدة أمل أن يحل هذه المشكلة ويستعيد الميزانية الضائعة ليوجهها توجيها سديدا.

وبعد هذه الملاحظات كلها، أرى أن أقول إن المساهمة الرئيسية التى قامت بها المدنية الغربية الحديثة فى سبيل تقدم البشرية، أسفرت عن العلم وفنونه التى زادت البشر سيطرة على الكون وأضافت إلى قوته إضافة هائلة. بينما عكفت الثقافات الشرقية على الدفاع عن القيم الروحية والثروة العقلية مما لا يمكن نموها إلا فى حياة ابتداعية وجو يسوده السلام. فلا نستطيع أن نأمن على مستقبل العالم من غير أن نتصف بشجاعة وفكر وشعور صادق، حتى يتسنى لنا أن نمزج القيم ونخلق من مزيجها مثالا للحياة متضامنا، ونستوحى القوة إلى البصيرة الروحية، ولا نتناسى فى حين من الأحيان أن البصيرة الروحية هى الوسيلة الوحيدة التى تساعدنا على إدراك الوحدة الخالدة بين البشر، وتكمل الشخصية الانسانية بوصفها مهبطا للأنوار الالهية.

وإنه لمن أهم وأشرف ما تستطيع آسيا أن تساهم بها فى تصور الثقافة النبيلة، أن تفضل الفرد وتسيطره على المجموع الذى يأتى على مملكة الفرد بغارات فتاكة، إذ بسطت قوة الدولة نفوذها خلال بضعة أحقاب، واستولى العلم على ناصية الوسائل الفعالة التى تفرغ آراء المدنيين ونظرياتهم فى طابع معين، وتصوغ عواطفهم صوغا مخصوصا، مما أدى إلى أن الفرد يفقد أهميته فى نظام الأشياء. فبينما نجد الديموقراطية فى ناحية تنافح عن دفاعها عن حقوق البشر نجد فى ناحية أخرى المدنية الحديثة —

بجميع نزعاتها وميولها وبجميع ما لها من نظم واسعة المدى تكمش الحرية الحقيقية وتضيق نطاقها. فلا تعنى الدولة إلا بمظاهر الديموقراطية وأشكالها الخارجية غير مبالية بالروح الأصلية التي تفارقها مع كونها مصدر الحسنات كلها.

وكل ذلك في حدوث مستمر مع أن الأرواح الشرقية والغربيـة المتيقظة فطنت إلى هذه المخاطر التي تكاد تأتي بها هذه النزعات، وبادرت إلى وقاية الروح الأصلية.

ولم تقبل آسيا — في سيرها التقليدي إلى الثقافة — هذا النوع الجديد من علاقة الفرد مع المجموع، وظلت تكرس اهتمامها على الفرد، ولم تجعل موضع تكريمها قوة الدولة أوثروات كبار التجار وأرباب الصناعة، كما جعلت زهادها ونساكها وأنبيائها ووعاظها وشعرائها ودراويشها، الذين حظوا باحترام آسيا. ولا زالت الحال هكذا إلى حد ما، حتى في أيامنا الحالية، أيام جعلت التجارة تملك بقيمها الزائفة على العقل الشرقي أيضا وتخيم عليه جناحيها. وهـذه حقيقة لا مراء فيها أن الأغلبيـة الكبيرة من الأمم الشرقيـة تشارك الشعوب الغربية في خضوعها أمام الثروات، إلا أنها لم تتجاهل مكانة شخصياتها الكريمة. فما زالت تبجل بوذا ومحمد صلعم وأشوكا وغاندي، رجالها البارزين الذين قاموا في وجه القوى المعاصرة والنزعات السائدة في بيئاتهم، وملكوا عليها، وعلموا أتباعهم تضحية مطبوعة أكثر مما علموهم التملك والاستغلال.

وفي عصركعصرنا هذا — الذي استحوذت عليه مثل هذه العوامل والدوافع — يعود على آسيا أن تعيد الميزانية الضائعة وتضع الثروة والقوة فيما يناسبهما من المكانة، وبعبارة أخرى تستخدمها كوسائل لترقية حياة أسمى ولا تنزلها منزلة الأهداف.

ولا أرى أن أقول إن الثقافات الآسيوية دافعت عن شيء دفاعها عن التقشف. فقد تطورت هذه الثقافات في أجواء تختلف جغرافية، وفي طبقات تختلف بمزاياهـا النفسية، وتأثرت بديانات كثيرة. فكان من الطبيعي أن تتسم هـذه الثقافات بهذه العوامل لكن هـذه الأجواء والطبقات على اختلافها لم تخل من نوع التقارب

الأساسى فى وجهة النظر، وهو عدم التفانى فى جمع الثروات والزهد فى القوة الدنيوية والرغبة عن جعلها أسمى هدف للحياة. واشتد البعض فى مراقبة الشهوات المادية والرغبات الطبيعية وهم الذين قاموا — كما يقول طاغور — بالانذارات ضد مقيدات الروح. لكن البعض الآخرين لم ينكروا العالم المادى ولم يعرضوا عنه بل رأوا إخضاعه متمسكين بالفقر الأداة القوية التى تحرر البشر من مغريات الأملاك الدنيوية وتشعره بأن لا يضحى مثاليته وتضامنه فى سبيلها.

ونجد آسيا فى بلوغها الثقافة لم تنفك ترغب فى معرفة المواضع الملائمة للأهداف والوسائل. وفى الحد من نفوذ الوسائل حتى لا تتغلب على الأهداف أو تنال من قيمتها الأدبية والخلقية. هذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى نعلم علم اليقين أن زعماء الشرق — كغاندى فى أيامنا — أدركوا ما بين الوسائل والأهداف من علاقة داخلية وطيدة. فكل ما يجب علينا هو أن نرمى إلى الأهداف السامية ونحاول إدراكها بواسطة الوسائل النبيلة، ونذكر دائما أن الوسائل إذا كانت وضيعة أو فاسدة تكون الأهداف فاسدة ووضيعة أيضا. ومن المتعذر أن نؤسس حرية أو ديموقراطية أو تنال بغية سياسية أخرى بالمذابح أو باستخدام القنابل الذرية، كما يتعذر علينا أن نصلح حياة المجتمع بأفراد حياتهم ليست سليمة ونزيهة.

ومن هنا نقول بالاصرار على إصلاح الفرد وتزكية عقله وقلبه مما يجعلنا أحيانا نتجاهل الضرورة البدائية لانشاء معاهد ونظم الخدمات الاجتماعية وتحسينها، كما اهتم بها الغرب وفاز بما ابتغاه إلى حد.

ولا يمكن أن تأمن البشرية على مستقبلها إلا أن تتماسك مظاهر هاتين البغيتين، أى حرية روح الفرد وتحسين لنظم الاجتماعية والبصيرة الروحية التى تتأتى لها أن تحدد الأهداف والقوة ما عسى أن تزيف الوسائل وتفسد طرق استخدامها.

وكيف يمكن تحقيق هذا كله؟ أما تفسيره نظريا فلا صعوبة فيه، فاننا نجد

المدنية الغربية أخضعت من الفنون ما هدتنا إلى طرق استنتاج المواد والافادة أكثر من قبل. فما يمنع آسيا أن تكتسب هذه الفنون من أوربا وتقوى على إبادة الفقر والجهل والمرض مما تفتك بأبنائها وتحول دون استمتاعهم بحياة غنية كاملة.

وحاولت روسيا أن تساوى فى تقسيم الثروات ونجحت فعلا فى تجاربها، وأقامت للعدالة الاجتماعية والاقتصاد أسسا جعلت منها مبادىء للاهتداء إلى السبل المستقيمة فى الاقتصاد الاجتماعى. وذلك حينما ظلت آسيا وأوربا فى حاجة ماسة إلى ضبط شؤونها الاقتصادية حتى تنفق ومثالية العدالة الاجتماعيـــة التى تكفل لنوع البشر كافة نجاحه وفوزه بهذا التراث الثقافى بحيث لا يركد فى مخازن أفراد مترفين معدودين. وعلى آسيا بدورها أن تستعيد ولاء العالم الذى أنهكته الحروب ونالت منه الشراهة والجشع. وتوجه ولاءه إلى هذه القيم الخالدة للروح الانسانية وإلى احترام البشر وحب السلام واحتمال الاختلافات والاستمساك بالروح الدينية التى تزلف الحياة الانسانية الفانية إلى الاله إلى الغاية التى تنشدها الدين بأوامره، وهذا هو الأساس الذى يمكن أن تعتمد عليه الحياة الانسانية الصادقة، وإلا — لو فاتتنا هذه القيم — تتحول ديناميتية العلم الحديث إلى صراع فتاك، وذلك بأن البشر يفقد شعوره بالاتجاه الصادق. فاذا تيسر لآسيا أن تخلق من نفسها مثالا وتأخذ بناصية العالم وتقوده إلى هذا الاتجاه الصادق، فستكون — لا محالة — قد فتحت فى تاريخ البشر باباً منورا.

ولو سألنا سائل هل تستطيع آسيا أن تقوم بكل ذلك؟ فالجواب نعم بلا شك. أما إذا سأل: وهل ستنجز آسيا هذه المهمة وتبرء من هذا الواجب؟ فالجواب: لا ندرى. فانما ذلك يتوقف على نوع الزعامة التى تظهر بين بلادها المختلفة التى فى طريقها إلى الاستقلال وتستقبل فجر الحرية. ولا مراء فى أن الفرص لتحقيق هذه الغاية ستكون أكثر سنوحا لآسيا إذا كنفت أمم هذه القارة روابط وعلاقات ثقافية

متزايدة. وتهتدى هذه الأمم بهذا الطريق من جديد إلى ما كان بينهم من الاتحاد الفكري القديم المؤسس على المساهمة المشتركة فى بعض اتجاهات الحياة وقيمها الأساسية. وتبحث هذه الشعوب الآن عن روحها الحقيقية ويرجى أن ستحمل رسالتها إلى العالم حيال المشاكل الحاضرة والقضايا الراهنة، بمجرد ما قدر لها إدراك تلك الروح المنشودة. وإذا تعاونت العقول المتقاربة فسيكون تعاونها خير عون ونعم للعمل والروح فى هذه الرحلة المقدسة نحو الغاية النبيلة. وأما فضل هذه الحركة الجارية نحو إنعاش التفاهم الداخلى بين الأمم الآسيوية فزاده على ما يرجى من آسيا فى تسهيل هذه الغية. وعلى قدر ما تنسى الأمم الآسيوية من إجادة دورها فى الهيئات العالمية.

وإنه لمن دواعى اغباطنا أن الهند قد خطت خطوتها الأولى فى هذا السبيل، سعيا منها لأن تنشىء بين الأمم الآسيوية مصادقة ثقافية تقرب بعضها إلى بعض. وذلك تحت زعامة رجالها العظام مثل البانديت جواهر لال نهرو وصاحب الفخامة والمعالى مولانا أبى الكلام آزاد.

ولا يغربن عن بالنا أن أمانينا يجب أن تكون هى المساهمة فى استكمال الحياة الانسانية وغزارتها بوجه عام ما لا نقتصر فى نطاق الشرق أو لحياة الأمم الآسوية فقط، فهذا هو الطريق الوحيد تتفق مع عبقريتنا. ولأن العالم الحديث لا يسمح لأحد أن يعيش لنفسه متجاهلا غيره. وإنه لحقيقة صادقة تطبق على الأفراد تطبيقه على الأمم والقارات.

وكل ما توفق إليه آسيا من مساهمة ثقافية أو روحية ستعرض على العالم بأكمله أخيرا ليستفيد منها ويستمتع.

فلسفة غاندى السياسية

للسيد أبو النصر أحمد الحسينى

كان موقف غاندى عن موقف الفلاسفة الذين أومأنا إليهم فى مقالنا السابق يختلف، إذ كان شعبه مافتىء مستعبداً، وبلاده ما زالت مستعمرة، فكان طبيعياً له أن يكون أول شىء يشتد عليه حرصه، ويشغل به فكره فى فلسفته السياسية هو أن يكون شعبه حرا، وبلاده مستقلة. وليس ذلك لأن تصبح دولة قومه بالاستقلال صنما تطأطأ له الرؤوس، أو إلها تضحى له النفوس، كما رأى الفلاسفة المذكورون، بل لأجل أن تفتح أمامها آفاق جديدة تكون وسيلة إلى المطالب الأعظم، وذريعة إلى المراد الأكبر، ألا وهى خدمة الانسانية. فكانت الانسانية تقع فى نفس غاندى كما أشرنا إليه فيما سبق موقعاً جليلا، حيث لم يكن يعدلها بشى، ولذلك لم ير بأساً فى أن تفنى دولة وطنه المستقلة، إذا اقتضت الحاجة، فى خدمة الانسانية. قال:

> « إن حبى للقومية (Nationalism) أو تصورى لها هو أن تستقل بلادى، وإذا اقتضت الحاجة تفنى كلها لأجل أن يحيى نوع البشر. فلا يكون هناك مكاناً للكراهة الجنسية. يجب أن تكون هذه قوميتنا »[1].

إن قيام الدولة المستقلة لتفنى فى سبيل خدمة الانسانية مبدأ جديد فى فلسفة السياسة قدمه غاندى، لم تكن لفلاسفة السياسة به معرفة، ولا سبق لهم به عهد. فنذ أن تصور أفلاطون العلاقة بين الدول الحرة وقرر أنها عداء

---

١ -١ GANDHI: Indian Villages 1927, p. 170

شديد ولا غير[١]. رأى معظم الفلاسفة من ذلك الزمن إلى العصر الحاضر رأيه، ولزموا نهجه. فتلميذه أرسطو الذى خالف فى غير واحدة من المسائل آراءه كان يؤيد رأيه هذا حين وصف طبع الدولة بأنها يجب أن تكون كفيلة نفسها بنفسها أى غير محتاجة إلى أحد بتاتاً[٢] والفيلسوف السياسى الهولندى هو جوجروتيوس (١٥٨٣ - ١٦٤٥ م) الذى يعد أحد مبتكرى القانون الدولى كان يوافق ذلك الرأى حين أذاع مبدأه، وهو أنه يجب أن تكون الدولة حرة عن جميع العوائق الخارجية[٣]. وكان الفيلسوف الانجليزى هوبس يصرح بأن الدول بطبيعتها أعداء بعضها بعضا[٤]. وكانت الفاشستية من المذاهب السياسية الجديدة تعلن أن لا قوة فوق قوة الدولة الفاشستية. فهى لن تعترف بأحد أفضل منها بين الأمم. ويكون اتجاهها الطبيعى هو الافصاح عن نفسها فى صورة الامتداد. قال موسولينى مؤسس الفاشستية:

« إن نمو الامبراطورية أى امتداد الشعب مظهر جوهرى لحيوية الفاشستية. وعكسه علامة الزوال »[٥].

وهو يدل على أن غاية السياسة الخارجية لدى الدولة الفاشستية لم تكن خدمة الانسانية كما ناشدها غاندى فى مبدئه، بل التوسع لأجل إثبات الذات، أو المخاطرة الاستعمارية.

كذلك كان حال مذهب آخر من المذاهب السياسية الحديثة وهى النازية، فلم تكن غاية السياسة الخارجية لدى الدولة النازية خدمة الانسانية، بل الامتداد

١ — JOAD, Introduction to Modern Political Theory, p. 10

٢ — JOAD Introduction to Modern Political Theory p. 10

٣ — JOAD Guide to the Philosophy of Morals & Politics, p. 584

٤ — المصدر نفسه ص ٥٨٥

٥ — JOAD: Guide to the Philosophy of Morals & Politics p 585

والاستعمار. فالفوهرر (Fuhrer) أى زعيم النازية كان يطلب من أتباعه الاطاعة العمياء، ويعرض عليهم (Weltanschauung) تصور العالم الجديد الذى وثق عقيدتهم فى عظمة ألمانيا، وعزز تأكدهم للعبها دوراً هاما فى شؤون العالم. وكان يدعى أن ألمانيا لأجل أن تؤدى رسالتها وتقوم بنصيبها المقدر فى العالم يجب أن تحوز Lebensraum أى مكاناً للعيشة، وذلك بتوسيع حدودها وبالاستعمار. وظاهر أن ذلك الادعاء كان خالياً عن الشعور بكرامة الانسانية وحبها، شهدت عليه حوادث الحرب الماضية. والاستعمار بنفسه عدو الانسانية، إذ هو عبارة عن سلب الناس فى أوطانهم حريتهم وحقوقهم وثروتهم.

أما الشيوعية فلا تتصور وجود دولة غايتها خدمة الانسانية كما تصورها غاندى، بل ترى ضرورتها لأجل هدم الرأسمالية والرأسماليين. قال نبى الشيوعية كارل ماركس:

> «لأجل سحق البورجوازية (أى الطبقة المتوسطة) يختار العمال الدولة فى صورة انقلابية ووقتية».[١]

كذلك كان إنجلز زميل كارل ماركس فى أفكاره وأعماله يرى أن الدولة ضرورة وقتية اجتماعية، فكما أن فى البداية لم تكن دولة، كذلك فى النهاية لا تكون دولة.[٢] وهو أيضا صرح مردداً قول كارل ماركس فى الدولة، حين قال:

> «بما أن الدولة مؤسسة وقتية يمكن استعمال قوتها فى إحداث الانقلاب بكبح جماح المخالفين، فيكون سخيفا أن يتكلم أحد فى شأن «الدولة الحرة» أو «الدولة الشعبية». أما احتياج طبقة العمال إليها فليس رغبة فى الحرية، بل لاستئصال شأفة

١ — JOAD: Introduction to Modern Political Theory. p. 92—93

٢ — راجع: F. ENGELS & K. MARX: Das Kommunistische Manifest. S. 17-13 وأيضا: F. ENGELS: Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staates. S.162

الخائفين. وإذا تحققت الحرية للعمال فلا تبقى حينئذ الدولة.»[1]

يدل ذلك على أن ما تصورته الشيوعية «الدولة الوقتية» ورأت نفسها محتاجة إليها، غايتها القهر والظلم لابادة الخائفين، وليست خدمة الانسانية.

أما الدول فى العصر الحاضر وبخاصة الغربية منها، إذ هى التى تسيطر اليوم على العالم نفوذاً، واقتصادياً، وسياسياً، وتكون «اتحاد الأمم»، فما أحسن قول الأستاذ الانجليزى برنس (BURNS) فيها، قال:

«إن فى العالم الحاضر منذ هدنة عام ١٩١٨ يقال عموماً إن إنشاء القوات المسلحة هو لأجل «الدفاع». أما النتائج الغريبة لتلك الصورة من الخرافة، فنحن سنناقشها فيما بعد. ويكفى لنا هنا أن ننبه إلى أن دول العالم لا تزال عصابات مسلحة وفى «موقف المتقاتلين». إن التأهب للحرب نظراً إلى إمكانها فى المستقبل يضيع الكفاءة التى كان يمكن أن تبذل فى تحسين الصحة ونشر العلم. فقدار معين من الكفاءة فقط يمكن الحصول فى كل جيل، ومع ذلك يصرف الناس جزءاً كبيراً منها فى خدمة دول العالم إما لابادة كفاءة الآخرين، أو فى رسم خطة لابادتها».[2]

نعم كان من مفكرى الغرب السياسى الوطنى الايطالى الشهير ماتزينى (١٨٠٥-١٨٧٢ م)، والفيلسوف الاجتماعى الروسى الذائع الصيت تولستاى (١٨٢٨-١٩١٠ م) يتشوفان فى أفكارهما وآرائهما إلى هدف غاندى — خدمة الانسانية — ويلتمسان إليه مساغاً. ولكن طابع تفكيريهما، ووضع مسلكيهما صيرا بلوغ

١- راجع JOAD: Guide to the Philosophy of Morals & Politics. p. 665.

٢- ROSE: An Outline of Modern Knowledge. p. 752-753.

الهدف صعبا، ومرتقاه كؤودا. فطابع ماتزينى، وإن استهدف خدمة الانسانية، كان عدم التنسيق والترتيب فى أفكاره وآرائه. وهو وإن نبذ نظرية الجنسية فى مسلكه بازدراء، عرض نظرية ليست بأقل منها فى دحض الديموقراطية، إذ هى حددت ممارسة اختيار الجمهور، واستبدلته بمبدأ أعلى، وحبست كل رهط قومى فى ماضيه، وقيدت إقدامه.

تلك النظرية هى نظرية وظائف الشعوب المبنية على ميزاتها الذاتية. فكان يرى أن لكل قوم ولكل شعب وظيفة خاصة به فى خدمة تقدم الانسانية. ولم يتعد أفق نظره فيه عن محيطه الغربى الأوربى، ولا خلت فكرته عن طابع الحضارة الغربية التجارية التى هو من أبنائها فرأى مثلا أن وظيفة الانجليز هى «الصناعة والاستعمار»[١] وهو رأى سقيم وليس بحصيف. فان كل من ابتلى بالاستعمار، وعجمته خطوبه، سواء كان ذلك الاستعمار إنجليزيا أو غير إنجليزى، علم علم اليقين أن ليست فى الاستعمار خدمة الانسانية أو مساعدة لتقدمها، بل فيه تأخرها المؤكد، وسحقها، وهلاكها.

ولا حاجة للتثبت فيه أن يمعن القارئ فى التنقيب عن ماضى الاستعمار السحيق، بل يكفى له أن يجيل نظره وراء العصر الحاضر، وليتأمل آثار الاستعمار الانجليزى فى الهند، وآثار الاستعمار الفرنسى فى الهند الصينية، وآثار الاستعمار الهولندى فى إندونيسيا. وفى العصر الحاضر ما تعانيه البلاد فى أفريقيا مثل الجزائر، وكنيا وغيرهما، وفى آسيا مثل فلسطين، وعدن، وملايا، وغيرها من أيدى الاستعمار، حيث يسعى لابادة أهاليها بطرق شتى — بالاجراءات القانونية، وبالمدافع، وبالقنابل لتتم سيطرته على ثروتها الطبيعية وتستمر.

ثم ليلاحظ نوعاً جديدا من الاستعمار الذى ظهر فى الوجود بعد الحرب

١ — KING. Mazzini. P. 306.

العالمية الثانية ، ألا وهو الاستعمار الأمريكى الذى يستعبد الأمم بالمال . فأمريكا تسبغ أموالها على تلك الأمم بأسماء مختلفة — باسم الحلف الاقليمى أو المساعدة العسكرية ، أو المساعدة الفنية ، أو النقطة الرابعة ، أو رفع معيار الحياة ، أو . . . . أو . . . . الخ . وذلك لتصبح تلك الأمم سوقاً رائجة لبضائعها المادية والمعنوية فى أيام السلم ، ولقمة سائغة فترساً منيعاً لحفظ أمريكا فى أيام الحرب .

أما غاندى فكان عدوا لدودا للاستعمار أيا كان نوعه ، حاربه طول حياته فى الهـــند وفى جنوب أفريقيا ، ولم يكن يتصور فيـه فائدة ما للانسانيـة كما تصور ماتزينى خطاء .

— (يتبع) —

شانكراجاريار
محى البرهمية بعد موتها

بقلم الأستاذ محى الدين الألوائى

حياته وفلسفته

قال المستر جواهر لال نهرو فى حديث عن فيلسوف الهند شانكراجاريار:

«إن شنكر اجاريار كان مؤمنا بمهمته أشد الايمان وبصيرا بأعماله كل التبصر. وجعل ميدان عمله ممتدا من رأس كومرين بأقصى جنوب الهند إلى همالايا فى أقصى شمال الهند. وحاول أن يخلق من تيارات الثقافات العديدة والتقاليد المختلفة والعادات والطقوس المتنوعة المنتشرة فى أرجاء الهند الواسعة، ثقافة متحدة متراصة متكاتفة وسعى فى سبيل إيجاد اتحاد فكرى فى العقول وتضامن نظرى فى فهم الأمور وإدراك الاشياء. ولم يساعده القدر أن يعيش أكثر من اثنين وثلاثين عاما فى هذه الحياة الدنيا ولكنه عمل خلال هذه المدة القصيرة أعمالا جليلة وأسدى خدمات عظيمة تحتاج إلى عمر طويل!»

لا يستطيع مؤرخ أن يستوعب دراسات الفلسفة الهندية والكتب المقدسة الهندوسية إلا إذا درس دراسة وافية حياة الفيلسوف الحكيم شانكر اجاريار وفلسفته. وذلك أن عصره كان فاتحة دور جديد للكتب المقدسة الهندوسية لحدث تغيير شامل فى وجهات النظر، وأخذ المفكرون فى فهم ويداتا من ناحية

أخرى ومن ثم يعد شانكر فى مقدمة زعماء تاريخ الهند الفلسفى والدينى فى القرن الثامن الميلادى. وإليه يرجع الفضل الأكبر فى إعادة النظر فى محتويات الكتب الهندية المقدسة القديمة: ويداس وأپانيشاد وگيتا. فتفحصها ونقحها حتى وصلت إلينا فى الشكل الحاضر.

ولم تكن فلسفته تجربة وقتية حتمتها الظروف وتوفرت لها الدواعى بل كانت نقطة التقاء للاكتشافات العلمية، وإن الفكر الهندى. سيما العقلية الدينيـة لدى الهندوس فى القرن الثامن الميلادى، لمدين لعظمة شانكر وعلمه وبحثه. وكان ذلك العهد للديانة الهندوسية عهدا محاطا بالمخاطر. لانتشار الديانة البوذية فى شتى أنحاء الهند. مما أدى إلى صدام فكرى ومادى بين الطوائف الدينية وأصحاب الآراء الفلسفية المختلفة. وشاء القدر لشانكر أن ينزل إلى معترك الحياة الاجتماعية والعلمية والدينية فى هذه الظروف الحرجة. فوضع الحجر الأساسى لفلسفته الجديدة المعروفة باسم وحدة الوجود لتكون عنوانا للثقافة الهندية والوحدة العقلية للبلاد. وهى أعلى الجواهر الكامنة فى أنواع الثقافات والتقاليد الهنـدية المختلفة المتأصلة فى عقول ملايين الهندوكيين، كما أنها عصارة الكتب المقدسة الهندوسية. وقد صارت وصايا شانكراجاريار وفلسفته ميراثا عاما للهند، ونقطة تحول فى تاريخ الهند المديد.

مولده ونظام حياته

ولد شانكر فى عائلة برهمية عريقة عام ٧٨٨ م فى قريـة كالـڈى على مقربـة من مدينة ألواى بولاية كيرله بجنوب الهند. وتقول أسطورة شائعة فى مسقط رأسه كالـڈى إن والد شانكر سيواگرو وزوجته لم يرزقا طفلا إلى مدة طويـلة بعدزواجهما، ونذرا عـدة نذور ورتلا أشكالا من الأدعية منحهما إله شيوا طفلا، ألا وهو شانكر. وورد فى الأسطورة نفسها: أن الطفل شانكر أتم

دراساته الابتدائية وحفظ جميع فصول الكتب الدينية الهندوسية: ويداس وساستراس، ولما يتجاوز السن الثامنة من عمره! واعتزم فى مقتبل حياته على أن يزهد فى الدنيا ويصبح ناسكا. وكان شانكر الملجأ الوحيد لوالدته العجوز. ولما علمت بعزمه فى التنسك شعرت بوحشة مريرة لأجل فراق وحيدها وفلذة كبدها وعدة مستقبلها. وفاتحته يوما فى شأن تكفينها ودفنها لأنها لم تترك وارثا يقوم بهذه المهمة أحدا سواه، فأكد لها بأنه سيعود إليها ويقوم بهذه التقاليد رغم كونها محظورة على الزهاد لدى الطائفة البرهمية الارستقراطية فى ذلك العصر. فرضيت عنه الوالدة وأذنت فى مغادرة المنزل ليطلب مربيا يتلمذ عليه.

وسافر من مسقط رأسه كالذى ناشداً العثور على مرشد حق. وفى نهاية الأمر وجد مرشده المنشود فى شخصية گوبندا بهاگوات پادا. ولم يعرف كثيرا عن شخصية گوبندا وتاريخ حياته إلا من أعمال شانكر ومكتوباته. وكان يصفه فى كل المناسبات بـ « پرما گرو » أى الأستاذ الأعظم. وبعد أن قضى عدة سنوات لدى مرشده گوبندا، وتدرب على يده فى نظام كبح النفس والتغلب على النفس الأمارة والاطلاع على حقيقة الكون، توجه إلى بنارس كمرحلة أولى فى حياته العلمية. ومما هو خليق بالذكر أن بنارس من البلاد المقدسة لدى الهندوس منذ عصور بالغة فى القدم، كما أنها المركز العلمى والدينى عندهم إلى يومنا هذا، وتقوم هناك أكبر جامعة هندوسية فى الهند. ووضع شانكر أثناء إقامته فى بنارس أسس فلسفته ومبادئ تعاليمه. ونقح معظم الكتب المقدسة الهندية القديمة وعلق عليها. وكتب شروحه على الكتب المشهورة: كـ أپانيشاد وگيتا وويدانتا. وتهافت عليه طلاب النور والعرفان جماعات وفرادى من كل فج عميق. وتلمذ عليه آلاف النساك الباحثين عن الحق من كل صوب.

ومن أهم أعماله التى قام بها فترة إقامته ببنارس وضع المبادئ الخمسة المعروفة

باسم: مانيشا پنچكا. ويقال عن ما حداه إلى وضع هذه المبادئ: إنه كان يمشى مرة فى أحد شوارع مدينة بنارس مع أتباعه العديدين، فرأى الشارع مليئا بالقاذورات والأوساخ، ودعى أحد المنبوذين لتنظيف الشارع. فبادر ذلك المنبوذ قائلا: كيف يسمح أستاذ فلسفة وحدة الوجود لنفسه أن تتغاضى عن مثل هذه التفرقة الطائفية والتمييز العنصرى؟ فتأثر شانكر بقوله تأثرا عميقا. ووضع المبادئ الخمسة المذكورة قبل أن يغادر المحل. وجاء فى هذه المبادئ:

«كل من ينظر إلى الظاهرة الكونية من هذه الزاوية ويفهم الأمور على حقائقها الطبيعية فهو أستاذى ومرشدى حقا، سواء كان منبوذا أو برهميا!»

ومن أهم مؤلفاته فى هذا الميدان أدعيته المشهورة باسم بهاجا گوبندا ستوستترم. وهذه ما أرسلها لأحد طلابه يسأله أن يعبد الله تعالى ويقضى أوقاته الثمينة فى مراقبة الرب والتأمل فى كائناته، ولا يضيع الأوقات فى التبحر فى المسائل النحوية المعقدة للغة السنسكريتية ولا يرهق نفسه على حفظ القواعد الطويلة التى لا طائل تحتها. ووضع شانكر تآليف أخرى عديدة خلال إقامته فى بنارس وعقد عدة مجالس المناظرات مع كبار الشخصيات حول شتى المواضيع. وظفر فى كل منها بقوة حذقه وحدة عقله وسرعة ذكائه.

جولاته فى أرجاء البلاد

بدأ شانكراجاريار رحلاته التاريخية من بنارس. وقصد أولا إلى إله باد. وتقول أسطورة قديمة إن شانكر قد التقى بالعالم الدينى المشهور منتانامسرا، لأول مرة فى ماهشمادى حيث كان يعيش فيها منتانا فى أبهة ونخار تحت الحماية الملكية السامية. وكانت زوجة منتانا امرأة متعلمة حاذقة فى عدة علوم ومتبحرة فيها. وفى الأسطورة نفسها أنهما اتفقا على مناظرة، يصبح الفاشل فيها تابعا للظافر

وهكذا أصبح شانكر كأحد أفراد العائلة. واستمرت المناظرة لمدة سبعة عشر يوما، وتطرقت عدة مواضيع، وتناولت شتى الأمور، وأخيرا اعترف منتانا بهزيمته، وأصبح ناسكا من أتباع شانكر. ثم دخلت زوجة منتانا بهارتى فى المناظرة، ولم تترك علما من العلوم إلا وطرقته حتى هزمها شانكر فى كل ما احتجت به وراءها بطول باعه فى فن المناظرة واطلاعه الواسع فى العلوم والفنون. وأخيرا لجأت بهارتى إلى فن لم يألفه شانكر بحكم التقاليد المتبعة والعادات الشائعة فى البلاد فى مثل عائلاته العريقة المتزمتة. أى فن الحب. فسارع شانكر وطلب منها مهلة لمدة شهر قبل استئناف المناظرة فى هذا الموضوع. وتحدث الأسطورة أن شانكر ذهب إلى غابة فى شاطئ نهر نربدا وجرد جسمه من الروح بقوة رياضة يوغا، وتركه فى فتحة شجرة، ثم دخل بروحه فى جسم الملك الميت أمروكا الذى كان يتمتع بجميع أنواع المتع الملكية الراقية. ثم سار وانضم إلى الأسرة الملكية ليرتع فى مراتع الجمال ويدرس فن الحب ولوازمه ويطلع على نتائجه، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من خفايا هذا الفن العجيب إلا أحصاها وتبحر فيها. وبعد النجاح فى هذه المغامرة الخطيرة دخل شانكر بروحه فى جسمه الأصلى وعاد إلى بهارتى، وناظر معها فى الفن الذى كانت تتحداه فيه بكل مهارة وحذاقة. فخرج منها منتصرا ظافرا. وانهزمت بهارتى واستسلمت وأصبحت إحدى معتقديه كزوجها منتانا. وانتقل شانكر من ماهشمادى إلى ميسور. حيث بنى فيها معبده المشهور.

شانكراجاريار فى ميسور

ولما وصل إلى ميسور عائدا من بنارس، بنى فى منبع نهر تنغابهادرا معبدا هائلا، عزاه إلى بهارتى كاله العلم. وعين اسم منتانا لرئيس المعبد، طبقا للتقاليد المرعية لدى البراهمة. ويعرف هذا المعبد الآن باسم سرينجرى، ويقوم تحت إشراف ذلك المعبد معهد هندوسى كبير تدرس فيه الكتب الهندوسية المقدسة بتوسع.

سمع شانكر أثناء إقامته فى ميسور بمرض والدته، فغادر ميسور إلى كالدى لزيارة والدته العجوز. ووصل إليها وهى تحتضر، فدعت له وباركته ثم ماتت راضية مرضية عن شانكر. فلما أراد تكفينها وتشييع جنازتها طبقا لوعده، منعه البراهمة الارستقراطيون. ولكن شانكر قد وفى بوعده ولم يحفل بمعارضتهم الشديدة. وقام بأداء جميع التقاليد المرعية بمناسبة تشييع الجنازة فى عائلته البرهمية.

وبعد ذلك توجه شانكر إلى السواحل الشرقية للهند، فبنى معبدا فى بورى. وهو الآن يعرف باسم معبد گوبندامت. ثم توجه إلى شمال الهند مرة أخرى. واستقر فى مدينة دواركا. وشيد فيها معبدا ثالثا، أقام فيها مدة من الزمن معلما ومرشدا. وسافر إلى ولاية آسام فى شرق الهند بعد حين من الزمن. وعقد هناك مناظرة جبارة مع العلامة الكبير أبهنواگپتا. فتغلب عليه فى كل المواضيع التى تطرقت إليها المناظرة وواصل سفره إلى بدرى نات فى مناطق جبال هماليا ووضع هناك الأساس لمعبده الرابع. ولما فرغ من بناء فى بدرى نات توجه إلى كيدارنات. ولكن عاجلته المنية وهو فى الطريق.

ومات ولم يتجاوز عمره الثانى والثلاثين، وقد ترك وراءه تاريخا مليئا بالمخاطرات الرائعة والمغامرات العجيبة، وحافلا بالرحلات القيمة والجولات الموفقة. وكان فى كل مراحل حياته أنموذجا للنشاط المنقطع النظير والعمل المتواصل ليل نهار. وضرب به المثل للحذاقة والبراعة فى فن المناظرة، وللجهد المستمر فى سبيل الوصول إلى الهدف المنشود، وتحقيق الأمانى الطيبة، حتى أوتى حظا وأفرا من التجارب الواسعة فى مثل هذا العمر القصير!

موقف الهند الاجتماعى والثقافى فى عهد شانكر

إن الهند من ناحية الاتساع وحدودها الشاسعة قارة قائمة بنفسها وليست

بقطر قصير. فمساحتها تساوى القارة الأوربية بأجمعها باستثناء روسيا. أو بعبارة أخرى هى عشرون ضعف مساحة إنكلترا. ومجموع سكان الهند يعادل خمس سكان العالم. وضخامة القارة الهندية قد أوجدت فيها من الأجواء الطبيعية مايناسب الأحوال الاجتماعية، حتى قيل إنها خلاصة العالم وعصارته. لأنها تضم أحوالا جغرافية متنوعة، ولغات محلية عديدة، وأجواء إقليمية شتى، وهى مهد مئات الأديان وعشرات الشعوب بأجناسها المختلفة. ولا ريب أن هذا الاختلاط وذاك الاتساع وليد اتصالها بالعالم الخارجى ونتيجة طبيعتها الخلابة وفلسفتها الحرة وسماحتها المتوارثة مما شجعت على الرحلات منها وإليها. فما زالت تدخل فى حضارتها الأصلية ثقافات عديدة. ونستطيع أن نقسم السلالات التى أثرت فى الحضارة الهندية أو تأثرت بها إلى عدة أجناس، منها:

١ الآريون
٢ الفرس
٣ اليونان
٤ الروم
٥ الألمان
٦ المسلمون
٧ الأوربيون

ومن الأسباب التى ساعدت الأجانب والسائحين والباحثين على القدوم إلى القارة الهندية حدود البلاد الشمالية، فانها تسمح بتنقلات واسعة النطاق، وليست الممرات الطبيعية فى غاية الوعورة كما هى الحال فى بعض الحدود الأخرى. وكانت الهند فى الجنوب دائما عرضة للنفوذ الأجنبى بطريق البحر، وأول بقعة عززت فيها العلاقات التجارية مع البلاد الخارجية، خصوصا مع

مصر وبابل فى بداية الأمر، ومع الروم والبونان أخيرا. إذ عثرت فى مدافن مصر القديمة على منتجات هندية عديدة مثل النيلج للصباغة، والثوب الناعم موسلينى لاستخدامه فى لف المومياءات، وخشب أشجار التمر الهندى وما إلى ذلك. وكان من بين الغنائم التى حملها فرعون فى باخرته إلى مصر كذلك العاج وخشب الصندل والقردة، والأحجار الكريمة، والذهب. وكلها مصدرة من الهند. ووردت أيضاً إشارة إلى التجارة الهندية فى التوراة، إذ جاء فيها ذكر الأشياء التى ما كانت تستطيع دولة أن تصدرها إلا الهند فى ذلك الزمن، مثل التوابل، والطاؤوس، والعاج وغير ذلك. وكانت هذه الأشياء من ضمن البضائع التى كانت تحملها سفن سليمان! وبدأت اليمن تجارتها مع الهند على أعقاب التجارة بينها وبين مصر وبابل والروم. ولما جاء الاسلام زاد التجار العرب سيطرة على جميع الموانىء الهندية الواقعة على بحر العرب وسواحل أفريقيا، وعلى الطرق البحرية المؤدية من الخليج الفارسى إلى الهند والصين.

وبعد الاكتشافات الحديثة فى الملاحة والمواصلات السريعة بدأت السفن الأوربية تمخر عباب البحر إلى السواحل الهندية بسهولة. وجعلت من الهند مركز التجار ومطمع الغزاة. هذا من الناحية البحرية. ولم تكن حدود الشمال الغربى للهند أقل أهمية منها للمواصلات البرية والتنقلات والهجرات بنطاق واسع. ومن هذه الطرق جاء الآريون إلى الهند، وهم الذين يتكون منهم جزء أهم من التاريخ الهندى. بل وجاء جميع الغزاة الأجانب إليها بالطرق البرية فى حدود شمال الهند إلا الأوربيين الذين توافدوا بطريق البحر من ناحية جنوب الهند.

ويليق بنا الآن أن نلق نظرة على السلالات البشرية فى أنواعها التى تتألف الأمة الهندية الضخمة والتى كانت هدفا لدعوة فيلسوف الهند العظيم شانكراجار وفلسفته المنبعثة من تيارات هذه السلالات المتنوعة، لجعل موطن دعوته

أقصى جنوب القارة الهندية إلى أقصاها فى الشمال. وننقل الآن خلاصة تقرير السير هربرت راشلى، عن إحصاء السكان عام ١٠٩١م. الذى يشير إلى الأصناف التالية:

١ ـ الصنف الأصلى قبل الدراويديين ويتميز هذا الجنس بقصر القامة وعرض الأنف، وله معظم الخصائص التى توجد للقبائل الموجودة فى الأدغال.

٢ ـ الجنس الدراويدى الذى يتميز بالبشرة السوداء وغزارة الشعر وطول الرأس، وعرض الأنف وقصر القامة.

٣ ـ الصنف الهندى الآرى. ويتميز بطول القامة وشقارة البشرة وغزارة الشعر على الوجه، وطول الرأس ودقة الأنف البارز.

٤ ـ الجنس الفارسى التركى. يتميز بقامة فوق المتوسط وبشرة شقراء ورأس عريض وأنف طويل.

٥ ـ الصنف الآرى الدراويدى، أو المعروف بهندوستانى من بنجاب الشرقية والأقاليم الوسطى ومقاطعة بهار. رأسه طويل، ولون بشرته بين الأسمر والأسود، ويكون الأنف بين المتوسط والعريض والقامة دون المعتدل. ويعود أصل هذا الصنف إلى اختلاط الهنود الآريين مع الدراويديين الذين هم السكان الأصليون فى الهند، قبل أن أصبحوا عرضة للفتح الآرى!

٦ ـ الصنف المنغولى فى آسام وبورما ومنخفضات سلسلة جبال همالايا وبنجاب وكشمير. وميزته الرأس العريض، والبشرة الغامقة الصفراء، وقلة الشعر على الوجه، وقصر القامة، والوجه المسطح، وجفن العين المائلة. ويرجع وجود هذا الصنف إلى الفتوحات المنغولية من التبت والصين.

٧- الصنف البنغالي في بنغال وأوريسا. ومن ميزاته رأس عريض، وشعر غزير على الوجه، وقامة متوسطة، وأنف متوسط مائل إلى العريض، وبشرة غامقة.

وهـذا التنوع في الأجناس والأصناف للشعوب التي تتكون منها الهند ينتج إلى تنوع اللغات. وجاء في التقرير الاحصائي الصادر عام ١٩٣١م أن اللغات الهندية الحية يبلغ عددها حوالي مأتين وخمس وعشرين لغة حية وأصبحت اللغة الدراويدية في الجنوب متمثلة في لغات: تلگو، وتامل، وكناذي، ومليالم. ولكل واحدة منها أدب خاص ونفوذ واسع في مناطقها. وفي الشمال سيطرت اللغة الهندية الآرية على اللغات الأصلية القديمة المحلية وتغلبت عليها.

ومن الناحية الدينية تقدمت الهند جميع بلدان العالم حيث توجد فيها جميع الأديان السماوية والأرضية على حد سواء. وتقدمت الهند وتطورت مع جميع التطورات البشرية في كل الأدوار، حتى قيل عن الهند إنها متحف الطقوس والمذاهب والعادات، ومركز الشعوب واللغات، ومظهر الأساليب الاجتماعيـة، ومنبع المعتقدات والآراء الفلسفية! ولكن الظاهرة البـارزة في كل منها أن الأساليب الروحيـة تتغلب على الجميع، والقوة الفكريـة الهادئة تقود الأغراض والتطورات والحوادث كل على شاكلته. وفي الهنـد الآن ثلثمائة مليون نسمة من أتباع الديانة الهندوكية، وأربعون مليون من أتباع الدين الاسلامي، واثنا عشر مليونا من البوذيين، وستة ملايين من المسيحيين، وأربعة ملايين من السيخ، ومليون شخص من أتباع المذهب الجيني، ومائة ألف من الفرس المجوس. وعدة آلاف من اليهود، مركزهم ولاية كيرله بجنوب الهند.

تصور شانكر للوحدة الهندية

قد أدرك الفيلسوف الحكيم شانكراجاريار الوحدة الكامنة الأساسية في أديان

الهند وتقاليدها. وكان يتلمس الوحدة فى الكثرة والجماعة من الأفراد. وتصور أن مجرد التنوع ليس دليلا مناقضا للوحدة الأساسية، بل اعتبر هذا التنوع الظاهرى علامة الحيوية المكنونة فى عقلية الأمة، ودليل الوفرة والقوة المعنوية. وكان يفكر فى عوامل الوحدة الظاهرية مثل وحدة اللغة والدين والتقاليد والطقوس فى الدرجة الثانوية. أما الوحدة الحقيقية فتكمن فى كيفية تصور الحياة وإدراك الأمور والوقوف على حقائق الأشياء. وإذا أضيفت إلى ذلك حياة مشتركة ووطن مشترك فيكون نورا على نور!

وإن الأمة الهندية كلها، مع اختلاف أجناسها وتنوع أصنافها، مشتركة فى تصور حقائق الأشياء وماهيتها، كما أنها متحدة فى شأن التمسك بالروحانيات وإخضاع القوى المادية الظاهرية للقوى الروحية المعنوية. وهم يرجحون دائما الأمور الروحية على الأمور المادية كلما تبدو شائبة التعارض بين هاتين القوتين ويتعذر التوفيق بينهما.

حب الوطن لدى الهندوس

إن السبب الحقيقى للنهضة الثقافية والاجتماعية لدى الهندوكيين مع تعدد الطوائف والأجناس فيما بينهم — بالاضافة إلى الاشتراك فى الروحانيات وتصور حقائق الأشياء — هو اعتبارهم الهند كلها كموطن مشترك. وتنص دعاء من الأدعية المعروفة لدى الطوائف الهندوكية على أنه يلزم كل هندوسى أن يتذكر صورة وطنه دائما. بل ويعبدها بصفة كونها مجموعة من الأنهر السبعة المقدسة، وهى: كنكا، ويمنا، وكوداورى وسرسوتى، ونرمدا، وسند، وكاويرى. ومجموع مساحة الأراضى الهندية مقسمة فيما بين هذه الأنهر السبعة الكبيرة. كما أن دعاءاً أخرى تفرض على الهندوكى أن يتصور موطنه مجموعا للمدن السبع المقدسة المشهورة: أيودهيا، ومتهرا، ومايا، وكاشى، وكنجى ويرم، وأوجين، ودواركا. وهذه الأدعية التى

توجب على كل فرد هندوسى أن يتذكر دائما هذه الأنهار وتلك المدن لا بد أن ترسخ صورة الوطن الموحدة فى قلبه آونة فأخرى. وفوق هذا وذاك تتجدد روح هذه الأدعية وتتقوى مقاصدها بنظام الزيارات والرحلات، مما يتحتم على كل هندوسى القيام بها إلى هذه الأماكن والأنهر المقدسة. فالمطلوب من كل هندوسى أن يزور فى حياته، ولو مرة، هذه المدن المقدسة التى هى جزء من معتقداته. وما يزيد هذه الزيارة نفعا أن هذه الأماكن المقدسة متفرقة فى طول الهند وعرضها. وليست متجمعة فى مقاطعة واحدة أو فى ناحية معينة. ومن هذه الزيارات التى يقوم بها فرد من أقصى البلاد إلى أقصاها ينبعث شعور حى مشترك عن الموطن الذى يضم الجميع تحت لواء وحدة المراكز الدينية والأهداف المشتركة. وبناء على هذا البيان المجمل نقول إن الطائفية لدى الهندوكيين تسير جنبا بجنب مع القومية المشتركة والثقافة الهندية العامة.

يقول ناقد بريطانى مشهور فى معرض كلامه عن الهندوسية ووحدتها وتنوعها:

«إن الهندوكيين ينظرون إلى الهند كوحدة سياسية، وطبعا يريدون أن تكون تحت سيطرة واحدة. سواء كان صاحب السيطرة بريطانيا أو مسلما أو هندوسيا، وأن تكون الهند تجسيما ماديا لثقافتهم الروحانية، بل معبدا لهم وبمثابة آلهة الأمر لهم. وجعلوا الهند رمزا لثقافتهم وملاؤها بروحهم، فهى فى وجدانهم بمثابة شىء أكبر من أنفسهم». (ثقافة الهند – ص ١٤٢ عدد مارس ويونيو ١٩٥٦).

ومهما كانت صحة هذا الرأى فان الأدعية والنصوص الواردة فى الكتب المقدسة الهندوسية والأساطير والملاحم الهندية القديمة تدل على أن شأن الوطنية لديهم بدرجة الدين. وجعلوا الوطن جزءا لا يتجزأ من معتقداتهم. حتى جاء

فى بعض المراجع المقدسة الهندية أن الآلهة بأنفسهم ودوا لو أنهم ولدوا فى «بهارت» أى الهند، لأنها بمثابة الجنة على الأرض بسبب بيئتها المحركة للروح. وورد أيضا فى بعض منها «الأم والوطن يفوقان الجنة فى العظمة».

إن الديانة السائدة فى طول البلاد كانت ديانة مؤسسة على تقسيم السكان إلى الطبقات فى حياتهم حين ظهر شانكراجاريار إلى ميدان الحياة الهندية. فوجد المجتمع مقسما إلى أربع طبقات أو أربع هيئات اجتماعيـــة على حدة. وهى: براهمن، وتشتريان، وشودران، وويسيا. وبمضى الأيام انقسمت هذه الهيئات إلى طوائف عديدة، مالا يمكن حصرها. فالهندوس كانوا — ولا يزالون — فى جميع الهند مقسمون إلى مئات من الطبقات والطوائف. والشىء الجدير بالاعتبار — إلى حدما — أن هــذا التنوع يتصل عموما بالحياة الفردية الذاتية والمنزلية والاعتقادية فلا يتصل بالحياة العامة.

وبعد ذلك قسم النظام الهندوسى حياة الفرد إلى مراحل مختلفة مثلا:

١ براهماچارى أى مرحلة طلب العلم.
٢ گراهستا أى الحياة المنزلية الأهلية.
٣ ناپراستا أى دور العبادة.
٤ سنياسى أى مرحلة ينصرف فيها المرء إلى التأمل والزهد فى الدنيا.

وعند الهندوسيين أعمـار خاصة لكل من المراحل المذكورة. فمرحلة العبادة مثلا تبدأ والمرأ فى الخمسين من عمره، وهو العمر اللائق لصاحب الأهل والبيت أن ينعزل قليلا من متاعب الحياة الدنيا وينصرف إلى العبادة فى معظم أوقاته. والمراد بمرحلة السنياس الاستعداد للانتهاء من جميع علائق الدنيـا الفانية بقـدر الامكان. فتألفت الهندوسية من نظامين: نظام الطبقات ونظام المراحل. أما نظام الطبقات فيكون بحكم الولادة، ونظام المراحل يربط بين الطبقات المختلفة

بقوانينه المشتركة. فاللغة السنسكرتية، التي كانت اللغة السائدة ذات النفوذ الواسع فى شتى أنحاء الهند، مظهر لهذه الثقافة الهندوسية المشتركة المركبة. والأدب السنسكرتى هو المخزن الوحيد للكتب المقدسة والعلوم فى العصور الماضية فى طول الهند وعرضها وهو مرآة تنعكس فيها جميع الفرق الهندوكية قديما وحديثا، وآرائها وخصائصها.

وجمع شانكراجاريار الأفكار الهندية كلها وعصارة الثقافات الهندوسية وخلاصة تعاليم السابقين إلى الكتب المقدسة القديمة التى تبحر فيها وأدرك حقائقها ودقائقها واطلع على الأناشيد الشعبية، وأخلاق الناس وعاداتهم، والطقوس المنتشرة فى شتى القبائل، والتقاليد المرعية فى أنحاء البلاد. وفضلا عن ذلك كان ملما بالديانات الشائعة فى البلاد المجاورة مثل التبت ونيبال والصين وبورما وسيلان وسيام وكمبوديا. وكانت تدين بمذهب «هنايانا» من البوذية. وفطن الفيلسوف شانكر بثاقب فكره وبعد نظره إلى أن الوحدة ليست عسيرة المنال فى المجتمع الهندى مع وجود هذه الفوارق كلها. فاتسع نطاق عمله من سلسلة جبال همالايا فى أقصى الشمال إلى رأس كومرين فى أقصى جنوب شبه القارة الهندية. وجعل أم فلسفته «وحدة الوجود».

والديانة التى تأثر بها شانكر تأثرا كثيرا وساعدت على تشكيل حياته فهى الديانة الويدية. وتحتوى تعاليم ويدا على عبادة الآلهة الذين يرجى منهم الاحسان والانعام، وذلك بتضحيات معلومة. وتشتمل الديانة الويدية على فلسفة عميقة. وهذه الفلسفة تثبت وحدة العالم فى النهاية كمخلوق للخالق الواحد الذى تنتمى إليه المزايا المختلفة. وتشير عبارات رگويدا إلى الحق الوحيد الذى يتكلم بلسان الأنبياء فى طرق مختلفة. وأخيرا يعتقد رگويدا بالحياة بعد الممات فى عالم يسيطر عليه ياما. وكتاب رگويدا يعتبر أقدم كتاب عن سلالة الآريين بأكملها. فهو

بوضح بدء التاريخ الآرى فى الهند، كما أنه ينير تاريخ الآريين فى أماكن أخرى. ويبين هيئة اللغـــة فى عصر ما قبل التاريخ وهيئة الديانة وهيئة الحضارة على العموم. فقد قال اللغويون بأنه يبدو من لغة رگويدا وأساليبها ومصادر أفعالها أن لها علاقة وثيقة بالفارسية واليونانيـــة واللاتينية والتونونية والسلتية والسلاوية. فيوجد فى هـــذه اللغات كلها ألفـــاظ مشتركة متشابهة للأب، والأم، والولد، والبنت، والرب، والقلب، والدموع والشجر، والبقر وغيرها.

وهذا التشابه هو دليل هام فى معرفـــة تاريخ العهد الابتدائى للآريين، كما أنه يدل على أن موطنا مشتركا ولغـــة مشتركة كانت تضم آبائهم الأولين. أما الموطن الأصلى الآرى فلا يعرف إلا من المعلومات التى توجد فى هذه اللغات، والذى يظهر من الأساطير أن الآريين الأصليين كانوا يقطنون فى مناطق زراعية وأراض صالحة لتربية الخيول ورعى الغنم. ولا تظهر من رگويدا بداية الثقافة الهندية أو انبثاق فجرها، وإنما يظهر منها ازدهار الثقافة الهندية وبلوغها أوجها. وإن ويدا لهو الأصل الأول لشجرة الفكر الهندى والمعتقدات الفلسفية وطرق العبادة. فهو لا يزال المصدر المسلم به فى العبادة لدى الهندوكيين عامة. فيوجد ورد خاص يعرف باسم گيانترى منترم يرتله ملايين الهندوس إلى يومنا هـــذا ليل نهـــار. ويوجد فى ويدا قوانـين خاصة لجميع شعب الحياة ومرافق الجنس البشرى تقريبـــا. والولد يرث أباه طبقـــا لتعاليم رگويدا، ولا ترثه بنته إلا إذا كانت وحيدة فى نسله. واعترف بحق الملكية وأبيح التمليك فى الممتلكات المتنقلة كالمواشى والخيول والذهب والحلى، وكذلك فى الأراضى والحقول. أما نظـــام الحكومة فى ويدا فيمكن أن يقسم كالآتى:

١ نظام الأسرة أى گراها.
٢ نظام القرية أى گراما.

٣ نظام المقاطعة أى ديس.
٤ نظام الشعب أى جنا.
٥ نظام البلاد أى راشترام.

وجاء فى ويدا ترغيب بالغ فى العلم والفنون والفلسفة. والحضارة الويدية مبنية على أسس حياة ساذجة وفكر عال. وتهتم كثيرا بالتقدم الفكرى والروحانى. ويصل بعض الأدعية الواردة فى رگويدا مثل گياترى منترم إلى أقصى درجة العلم ويهز روح البشر ويوقظ الهمم وينفخ روح اليقظة فى القلوب. ويشمل على الأناشيد فى مدح الآلهة وحمدها كما يشمل على أدعية التضحية والقربان. ويحتوى كذلك على قصص شعرية وأناشيد فكرية فلسفية عالية. ويشتمل رگويدا على ثمانين ألف بيت. ولا يزال أصل هذه الأبيات محفوظا بدقة وأمانة بدون تبديل ولا تحريف اللهم إلا ما لا مناص منها لقوانين الكتابة المتبعة فى اللغة السنسكرتية عند كتابة المتن المقدس فى الأدوار الأخيرة.

والكتب المقدسة الأخرى التى أنطبعت بها فلسفة شانكر هى ويداس، ويوراناس، وسائر الملاحم الهندية المعروفة الكبرى مثل مهابهارت، وراماين وبهگوت گيتا. وتقول هذه الكتب عن خلق العالم إنه كان قبل أن يوجد شيء ما بيضة كونية تسميها الأساطير پراكرتى أى الطبيعة. وتطورت هذه البيضة تطورات كثيرة فى مختلف الدهور حتى تحولت إلى بيضة ذهبية واستكن سيد الكون فيها، وكانت البيضة عائمة فوق سطح البحر المحيط، ومن تلك البيضة خلق العالم الحاضر.

وجاء فى أسطورة نارايان عن خلق الكون أن الخليقة انبعثت من دموع پرجاپتى. فلما جاء پرجاپتى إلى الوجود من العدم بكى، فما سالت من دموعه تحولت إلى الأراضى، وما مسها منها تحولت إلى السماء، وجاء فى ترنيمة نارايان المشهورة

فى وصف إله الكون وحده وثنائه :

« يا روح الأرواح! أنت التى بسطت المكان فى جميع الجهات وبسطت الزمان الذى لا نهاية له، فأنت الموجودة قبل وجود السماء والأرض، فأنت استويت على الارض ».

إلى أن قالت :

« ولكن لا أرى الآن شموسا ولا عوالم، فانى أرى الله فقط وأحمد الله فقط ».

وترد الأساطير الهندوكيـة وحدة الكون إلى كلپا، أى إلى يوم من زمن براهما الخالق. فكان براهما يخلق فى الصباح العوالم الثلاثة : الأرض، والجنة، والنار، وتنتشر فى الليل هذه العوالم الثلاثة. فتسير الأيام والليالى هكذا بأحداثها الخطيرة. وتدل نظرية الحياة الهندوسية على أنها نظرية الارتقاء التدريجى إلى الانحطاط. ومن العجيب أن تصور انحطاط العالم يوجد فى جميع الأديان والمذاهب. وكان أتباع الديانات السامية جميعا يعتقدون بوجود جنات عدن وهى الفردوس الأرضى الذى طرد منه أبو البشر آدم عليه السلام. وقد أورد مؤلف پورانا الهندوسية صورة أخرى عن كيفية انتهاء الكون. فتقول إحدى الروايات :

« إن الإله وشنو سيظهر على شاكلة إله كالى. بطلا مسلحا راكبا على حصان أبيض له جناحان محليان بالجوهرات، محركا بيـده فوق رأسه حسام الدمار والخراب، وحاملا فى يده الأخرى قرصا. ويرفع حصانه قدمه الأمامية اليمنى. والدنيا واقفة على رأس الحنش (وهو نوع من الحيات المعروفة) الجالس على ظهر سلحفاة. وعنـدما يضرب الحصان بقدمه

المرفوع على الأرض تسقط السلحفاة فى الهاوية وتتخلص من الثقل العظيم، ويهلك جميع خبثاء العالم».

وورد فى بهكوت گيتا عن نهاية العالم:

«الغيوم تمتنع عن المطر لمدة مائة عام. فلا يجد الناس طعاما يأكلونه. فلما يشتد الجوع بهم يضطرون إلى أكل بعضهم بعضا. وهكذا يلقون بأيديهم إلى التهلكة والفناء».

وجاء فى محل آخر ذكر طوفان عالمى يحيط بالأرض. وشموس ملتهبة فى السماء تمتص مياه الطوفان، ثم تهب على الأرض ريح من نار. تأكل جميع الأشياء. وهكذا يحترق العالم بأسره. وأما نظرية ويداس عن العالم فهى تحتوى على الأرض والسماء. وفيها آراء عن هيئة الأرض الأصلية. فاذا اتحدت بالسماء قورنت بطأسين وضعا وجها لوجه. وفى جهة أخرى شبهت الأرض والسماء بدولابين على طرفى محور. وفى أسطورة من الأساطير الهندوسية أن الأرض يحملها أربعة من العفاريت فوق أكتافهم. وأن الزلازل تقع فى الأرض حين يعتريهم تعب. فيضطرون إلى نقلها من كتف إلى آخر.

ختام أعماله

ولم يعش شانكر أكثر من اثنين وثلاثين عاما، لكنه قضى عمرا مليئا بالنشاط، وموفورا بالأعمال الجليلة، ومكتظا بالخدمات الخالدة. وكانت أولى مهمته مزج المعتقدات الهندوسية المختلفة مع فلسفته التى اختارها لنفسه، أى (وحدة الوجود). ووضع وصاياه العشر المعروفة للناسكين والزهاد! وبنى أربعة معابد فى أربع جهات الهند، كرمز لوحدتها الثقافية والجغرافية. وهذه المعابد الأربعة أو على الأقل أماكنها الأصلية المقدسة لا تزال كعبة الزهاد والنساك يؤمونها من كل

حدب فى طول البلاد وعرضها . وكان يؤيد مبدأ « الفكر الحر » ، ولم يكن قائلا بالرهبنة المتغالية ، أو بفرض قيود على عقول الناس . وكان مثالا للشجاعة والحماسة حيث خرج على التقاليد المتبعة بتنقيحه ويداس وأپانيشادس وگيتا وغيرها من الأساطير الهندوسية المقدسة والتعليق عليها.

ويرجع إليه الفضل الأكبر فى هزيمة البوذية وتقلص نفوذها فى شتى أنحاء الهند ، خصوصا فى بلاد جنوب الهند ! وكان شانكر يسعى للتوفيق بين الدين والعقل ، كما كان يحاول دائما أن يطلق عنان الفكر الحر والبحث الحر بغية الوصول إلى حقائق الأمور وأسرار الكون . و مما هو جدير بالذكر أن شانكراجاريار كان يستخدم المناظرة الحرة النزيهة فى إخضاع الخصوم . وبهذه الطريقة قد لقى الدين البوذى وأتباعه هزائم شنيعة كلما عقدت مناظرة بينه وبين النساك البوذيين . وإذا تغاضينا عن بعض المعتقدات الطائشة الشائعة عن الفيلسوف العظيم شانكر فى أتباعه الذين يرفعونه إلى حد الألوهية ويعتبرونه مخلوقا خارقا للعادات فلاشك أنه كان مثلا نادرا فى ميادين العلم والتصوف والفلسفة والشعر والفكر.

فلسفة شانكر والمذهب الجيني

إن للمذهب الجيني أثرا بالغا في تكوين شخصية شانكراجاريار وفلسفته. كما كانت الآراء البوذية أبعد نفوذ في «فلسفة شانكر» وتعاليمه. فالجينية والبوذية ديانتان مستقلتان تنفرد كل منهما عن الآخر بمقوماته وميزاته. واشتبه الأمر على بعض الباحثين الغربيين فقالوا إن الجينية فرع من البوذية. ومنشأ هذا الاشتباه هو معاصرة مؤسسيهما وتماثل كبير بين حياتهما إلى جانب تجاور أوطانهما وتقارب آرائهما. بيد أن هناك دلائل داخلية وخارجية تقطع على استقلال كل منهما عن الأخرى. فالجينية إحدى الثورات الفكرية الكبيرة في تاريخ العالم وهي معاصرة للفكرة «الأپاناشيدية» Upanashid. وعمادها الرياضات المتعبة والمراقبات الشاقة والتورع عن الملذات والمتع وسبيلها التقشف في الحياة والتزام الرهبانية. وهي حركة حرة من قيود «الويدات» Vedas ومطبوعة بطابع الذهن الهندوكي العام. والأدب الجيني المقدس عبارة عن الأشياء الموروثة من «مهاويرا» مبشر الجينية وخاتم سلسلة دعاتها العظام، وعن الخطب والوصايا والمحادثات وغيرها مما يمكن الناس وعيه والاحتفاظ به على مر العصور وتطورات الزمن. وتناقل الأتباع ذلك التراث جيلا بعد جيل مشافهة بدون تقييده بالكتابة. ولما أشفق بعض الناس على ضياعه واختلاطه بغيره عقدوا مؤتمرا عاما في القرن الرابع قبل الميلاد، لتقرير الوثائق المتعلقة بالجينية وتقييدها وترتيب قانونه المعتمد عليه. فجمعوا أحد عشر جزءا وأربعة عشر بابا — ثم عقدوا مجلسا في القرن الخامس الميلادي وقرروا الأدب المقدس لآخر مرة. وجمعوا أربعة وثمانين كتابا وقرروها مستندات ديانتهم وقانون مذهبهم إلى الأبد بدون اختلاف.

اختلاف وجهات النظر بين البوذية والجينية

إن العلم عند الجينيين — وأتباع أبانيشاد — هو الايقان بوحدة فى الكثرة لمشهودة، والنجاة هو الاندماج فى الوحدة المحضة. أما البوذيون فلم يتعدوا حدود المظاهر والمشاهدات من التغير والانقطاع، وجعلوا الحياة عين التغير اختاروا الفناء الكلى للنجاة الأبدية وارتضوا به. وتقدم الجينيون بخطوة أخرى لجمعوا بين المشهود والمستور والتغير والدوام على مستوى واحد وقالوا إن لكل متغير حظا من البقاء. ويدعى الجينيون أن طريقهم هو الطريق المتوارث عن لكاملين منذ أمد بعيد. ويقولون ما من دورة للكون إلا خلت فيها دعاة هذا لطريق، ويتصل التاريخ العملى لهذا الطريق «بيارسواناد» Parsvanath المولود ى القرن التاسع قبل الميلاد والمتوفى فى القرن الثامن. فهو الذى أنشأ نظاما رهبانيا اهتم فيه بالرياضات الشاقة، وأسس طريقه على أربعة عهود هامة. أولا: عدم العنف أى Ahinsa، ثانيا: الصدق فى القول، ثالثا: عدم السرقة، رابعا: لتورع عن جميع أنواع المتع الدنيوية والمادية. وقسم النظام على قسمين: نظام لخاصة وهم الرهبان والزهاد الذين تركوا الأهل والمسكن ويجوبون أقطار لأرض منقطعين عن الملذات وأنواع الترف. ونظام العامة هم الذين يناصرون هذا الطريق بأموالهم ويساعدون الرهبان ورجال هذا الطريق بالأرزاق والثروات. تكون سعادتهم فى اجتناب الفواحش والتمسك بالمعروف مشتغلين بأعمالهم ومكاسبهم دون عنف وإيذاء للآخرين. وحرز هذا النظام نجاحا باهرا وكثر أتباع القسمين — العامة والخاصة.

مهاويرا

وما زال هذا النظام فى رقى وظهور. حتى جاء مبشر كبير من أتباعه وعلا صوته وطار صيته فى كل مكان، وأصبح كأنه هو الداعى الأول والمؤسس لهذا

النظام. واشتهرت الطريقة باسمه وإليه تنسب الجينية الآن. وكان هذا المبشر الكبير الجديد مهاويرا Mahavira. ويقال إنه المبشر الرابع والعشرون وخاتم سلسلة المبشرين لهذه الدورة للكون. ولم يبق من آثار «البارشويين» إلا رسوم ونحوت لا تغنى من الحقيقة إلا قليلا.

ولد مهاويرا Mahavira فى قرية بيساره Besarh فى بيهار عام ٥٩٩ ق.م. (B. C. 599) من عائلة ذات مجد وسؤدد. وترعرع فى مهد الرخاء وطيب العيش. وكانت قبيلته من أتباع «بارسوناد» ذات سيادة وسلطة. وكان «مهاويرا» أوسط أنجال أبيه. وكان منذ طفولته عزوفا عن الترف زاهدا فى ملذات الدنيا ومتاعها الفانى. وعقد عزمه على التزام عيشة الرهبنة والتبتل، لكنه لم يتمكن من تنفيذ إرادته فى حياة أبويه. ومضى برهة من الزمن كعامة أصحاب تلك الطريقة. فتزوج وولدت له بنت. فلما توفى أبواه ترك الدنيا تركا رسميا. وكان ثاقب الفكر ومقتصد القول والعمل لا يرتكب فاحشة ولا يعمل سوءا. وقد طهر نفسه بالرياضات الشاقة والتأملات النفسية المستغرقة وأخذ يبشر بما لاح له من الطريق السوى الهادى إلى الفوز بالنجاة الأبدية. واستمر فى دعوته إلى أن جاوز الثانية والسبعين من عمره. وكان يقيم فى «بناپورى» Panapuri فى مدينة «پٹنه» Patna بولاية «بيهار» Bihar، وقام فى يوم غزير المطر خطيبا فألقى خمسا وخمسين خطبة وأجاب عن ستة وثلاثين سؤالا. ولما فرغ من خطبه حان أجله فقضى نحبه فى حوالى عام ٥٢٧ قبل الميلاد (B. C. 527) تاركا وراءه تراثا عظيما من الأعمال الجسام والتعاليم القيمة!

العلم وأنواعه عند الجينيين

تأثر الفيلسوف العظيم «شانكراجاريار» كثيرا بالنظرية الجينية حول العلم وتصوره وأنواعه. ويرى الجينيون أن الظواهر — خارجية كانت أو داخلية أو

هنية — موجودة فى أنفسها سواء نعلمها أو لا نعلمها وكفى بالمشاهدة دليلا عليها.
الظواهر معروضات علمنا لا فاعلاته! ويقف بحثهم عند حدود العلم وأنواعه
تناقضاته من غير أن يتعدى إلى التنقيب عن المعلومات أنفسها أو شروط
جودها وبدون التدقق فى العلم نفسه. ويقولون إن الشعور الخالص والنور المحض
و الروح بفطرتها الأصيلة لا يكون نطاقها ضيقا عن إدراك شىء لا فى الأرض
لا فى السماء. والتطهر والتصقل يحصلان بالعلم الصحيح الواقعى. وهناك معيار
خاص للتمييز بين الصحيح والفاسد. فعلينا أن نجعل من الصحيح إماماً نقتدى
ه ونوراً نهتدى به. فليست للعلم قيمة لديهم إلا لاستخدامه فى عمل الخيرات
اجتناب السيئات.

يقسم الجينيون العلم من نواح عديدة إلى تقسيمات ثنائية وثلاثية و رباعية
خماسية وما إلى ذلك ويستخرجون أقساما أوليـة وثانوية وغيرها. ونذكر هنا
هذه المناسبة بعض النواحى الهامة من أقسام العلوم لدى الجينيين لتعم الفائدة
لتكون عونا على فهم كنه النظرية الجينية وأثرها على النظريات الأخرى. العلم
عندهم خمسة أنواع بحسب الادراك والتصور الحسى والذهنى. أولا: العلم بالحواس
و متى جنانا، وهو الادراك بالحواس والذهن كليهما ويتضمن المخزونة فى القوة
الحافظة بعدد الارتسامات المنقوشة فى الأذهان ويحتوى على القياس والاستقراء
المبنيان على المشاهدة. وثانيا: العلم المستند إلى المستندات المقدسة أو «شروتا جنانا»،
يجب لهذا النوع من العلم من البيان بالأصوات والنقوش. ويدعى معظم الفرق
الهندوسية وكذلك الجينية بأن كتبهم المقدسة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحاطت
بها علما وبحثا من التوجه والارتكاز والفهم والادراك وغيره. وثالثا: العلم
الوجدان البصرى هو إدراك ذى الصورة من الأشياء دون حيلولة الباصرة.
بعبارة أخرى هو إدراك مباشر للروح بنفسها. وهو ملكة اكتسابية مختصة بالبشر

تحصل بتزكية الروح عن أدران الأعمال السيئة والبعد عن ارتكاب الخطيئة. وهذا الادراك متوقف على المبصرات فقط. ورابعا: علم ما فى الضمير والسرائر. وهو اكتشاف روحى من غير وسيلة مادية أخرى. ويقول الجينيون إن هذا العلم لا يحصل عليه إلا كل من ترك الأهل والسكنى وتزهد فى أمور الدنيا واجتنب عن الملذات المادية. والطريق للوصول إلى هذا العلم هو القيام برياضات شاقة وارتكازات ذهنية خالصة. يقال إن القوى الذهنية عند الفكر والتأمل والارتكاز تتقبل انفعالات عديدة تنكشف لصاحب هذا العلم مباشرة. وإذا انكشمت له المواد الذهنية انكشف ما يحل فيها من التصورات والنقوش التى تمكنت فيها بدون حائل. وخامسا: علم وجدانى يحيط بالكل من غير واسطة مادية أو آلة خاصة. وهو انكشاف الحقيقة. فإذا تطهرت الروح من أوساخ الأعمال السيئة وتبددت السحب المتراكمة عنها تشعر بحقايق الأشياء ويتجلى لها الكون والمكان والزمان. ومن أهم المبادئ فى تعاليم الجينية هو أن الكون مجموع حقايق غير متناهية ذو علاقات وإضافات. فلا تستوعب منها حقيقة واحدة علما إلا أن يستوعب جميع الحقائق غير المتناهيـــة ولا يقدر عليه إلا من حاز هذا العلم الذى يحيط بكل شيء.

وبالجملة أن شانكراجاريار كان يتبع فلسفة «خذ من كل شيء أحسنه» ولم يكن منكرا للأديان السابقة ولا مقلدا للمذاهب المعاصرة بل كان مقررا لفلسفتى البوذيـــة والجينية وتمسك بوحدة الوجود طول عمره. وكان يؤمن من أعماق قلبه بوحدة أصول الأديان القديمة وضرورة التعايش السلمى بين الطوائف المتعددة العقائد والمتنوعة المذاهب. «عش ودع الغير ليعيش».

التعليم فى العصر البوذى

نقدم إليكم فى المقال التالى بعض الفضائل والمزايا الأساسية التى امتاز بها نظام
نعليم فى الهند البوذية، دون أن نتعرض للمبادئ التى تمسكت بها البوذية، ودعت
بشر إليها تخليصا له من شبكة المواليد المستمرة التى تطرأ على الفرد حينا بعد
نين، إذ كتبنا عليها فى الأعداد السابقة وسنكتب فى الأعداد اللاحقة، وكل ما
منا اليوم هو دراسة الخطوات التى خطتها البوذية لتنمية النظم الاجتماعية ولا
سيما التعليمية، مما ساعدتها فى نشر الحقائق الخاصة والدعوة إلى مثالية الفكر
الحياة التى رمت البوذية دائما إلى إدراكها.

وكان التعليم فى العصر البوذى متركزا فى الأديرة، وليست النظم التعليمية إلا
ظاهر الديانة نفسها فى الحياة الاجتماعية، ومن يتتبع تاريخ البوذية يطلع — لا
حالة — على المناهج التى اتخذتها الشخصيات المسئولة لنشر المعارف وتدريب
شباب. وكان النساك فى الأديرة — فى نفس الوقت — أساتذة معلمين يدرسون
لعلوم الحاضرة إلى العلوم الدينية، ولم يروا فى حين من الأحيان أن يفصلوا
لمعارف عن الشريعة، أو ينشئوا مراكز علمية مستقلة عن الأديرة.

وتسمى الخطوة الأولى نحو البوذية باسم باباجا أى الارتحال، ومعناه رحلة
لانسان عن حالته الراهنة إلى اعتناق الشريعة. والناس كلهم فيها سواسية، لا فضل
غنى أو صاحب منزل على فقير أو غريب، ولا ميزة لزاهد وناسك، ولا مانع
لهم من أى طبقة كانوا وبأى دين دانوا.

وقال بوذا :

«أيها التلامذة ! إن أنهارا كبيرة زاخرة المياه تفقد أسمائها عند ما تنصب فى البحر ولا يعود يطلق عليها إلا اسم «البحر». فكذلك يتخلى البشر عن الأسماء القديمة ويتحرر عن الأبوة والقرابة عند ما يرتحل عن مسكنه إلى حياة لا منزل فيها، ويقطع على نفسه اتباع القوانين والنواميس التى يدعو إليها الكامل المكمل، ولا يطلق عليه حينئذ إلا كلمة الناسك».

ولم يكن الأطفال الصغار قبل السن الثامن أحرارا فى اعتناق الديانة الجديدة. وذلك مثل البرهمية، وإنما كانوا يتمكنون من اتخاذ البوذية دينا لهم بعد وصولهم الثانية عشرة من أعمارهم.

وأما البداية فى البوذية فبالأيمان الثلثة التى يحلف بها الشاب ثلاث مرات بين يدى ناسك من نساك الدير الكبار :

١ ـ أنا ألتجىء إلى الدين

٢ ـ أنا ألتجىء إلى بوذا

٣ ـ أنا ألتجىء إلى الشريعة.

وحيئنذ يجب عليه أن يأخذ نفسه على العمل بالأحكام العشرة الآتية :

١ ـ التورع عن أخذ الحياة،

٢ ـ « عن أخذ مالم يؤذن به

٣ ـ « عن الأعمال القذرة

٤ ـ « عن الكذب

٥ ـ « عن تعاطى المسكرات والمشروبات الروحية

٦ ـ التورع عن تناول الطعام فى غير وقته
٧ ـ « عن الرقص والغنا والملاهى الأخرى
٨ ـ « عن التزين بالأزهار والرياحين والحلى وما على شاكلتها
٩ ـ « عن استخدام المقاعد المرتفعة الكبيرة
١٠ ـ « عن قبول الذهب والفضة.

وهنا ينتهى الاحتفال.

ولم يكن الأطفال أن يعتنقوا الديانة الجديدة دون أن يوافق عليه آباؤهم، وذلك حرصا على تماسك الأسرة وحفظا على مكانتها، فان الأسرة أساس المجتمع، إذا فسدت فسد الثانى، وكذلك كانت قوانين البلاد من أشد ما يحافظ عليها فلم يكن موظفوا الحكومة، ولا سيما الجنود، أحرارا فى اتخاذ الدين الجديد، كما طلب إلى الخدم والعمال استرضاء سادتهم عند تبديل الديانة.

والدخول فى مرحلة «باباجا» فاتحة لتدريب التلميذ الذى ينتهى إلى إدراكه مرحلة «أوپاسمپادا» وهى مقام الترهب، ومرتبة «بهكشو» فيصبح حينئذ من أتباع الشريعة الكاملين.

والمدة بين هاتين المرحلتين لا تزيد على ١٢ سنة، وبالخصوص إذا أتم الناسك العقد الثانى من عمره، وهذه هى نقطة امتياز بين النظامين: البرهمى والبوذى. فان طالبا برهميا «برهماچارى» حينما يبلغ رشده ويتم دراسته يعود إلى بيته ليعيش بين أسرته ويدعى باسم «سناتك» وسرعان ما يتزوج ويصبح «گرهستا» أى صاحب المنزل، فلا يكون ارتحاله من البيت إلا لمدة موقتة. وأما البوذى فتسريحه البيت أبدى عن غير رجعة، وعليه أن يواصل عيشة لا منزلية، حتى يجود بأنفاسه الأخيرة.

لا حرية فى السلوك

ولا يترك الناسك حرا مختارا فى سلوكه وعمله حتى يفعل ما تشتهيه نفسه، ولو يكون قد ظفر بمقام «أوپاسمپادا». ويجب عليه أن يأخذ نفسه على ما يأمره آچاريا وأوپادهيا المشرفان عليه مادام يتدرب، وهما أكثر منه علما ومعرفة وأتقى منه عملا وقولا. وأكبرهما خيارا «أوپادهيا» وهو الذى يلقى إليه دروسا فى المتون المقدسة والمبدأ، بينما يكون زميله آچاريا مشرفا على الدراسة ومعتنيا بتحسين السلوك. ويدعى من هذه الجهة كرمچاريا.

وهؤلاء النساك الجدد بجماعاتهم، أجزاء لوحدة النظام التعليمى على رأسها مشرف كبير يدعى أوپچاهيا أو آچاريا، وهو مسؤول فى نفس الوقت عن الصحة البدنية وتقدمهم فى الزهد ودراساتهم وأخلاقهم. وتتبع هذه الوحدة مع وحدات أخرى لوحدة كبيرة شهيرة باسم ويهارا أو «دير». وتقوم بتكاليفها بما يقدم إليه العطايا والهدايا.

وكان التعليم فى النظام البرهمى دائرا فى حدود عائلية، لم يخرج منها إلى الجامعات والكليات، بينما وسعت البوذية نظمها التعليمية وأبرزها من الدور إلى فضاء الأديرة التى أصبحت جامعات كبيرة، ومما لا مراء فيها أن البوذى يأخذ فى التعلم بمجرد خروجه من البيت وتبرئه من علائق الأسرة، وذلك أن البوذية خصت اهتمامها بالفصل بين الحياة النسكية والحياة الدنيا، وإبقائهما متباعدتين متجانبتين، لا يصل بهما واصل حذر أن تتسرب الثانية إلى الأولى، فتدنسها وتزيغ الناسك عن الطريق السوى. بل الواجب أن لا يسرف فى الاستمتاع وإرهاق النفس إذ كلاهما مخطور. وهذا القصد فى السلوك والحرص عليه فى جميع مناحى الحياة مزية باهرة تثنى على نفسها. وبما أن البرهمية حرصت على الجو العائلى — كما قلنا — لم تشجع على توسيع الدراسة والصناعة البيتية، فلم

تتحول إلى جامعات ومصانع. إلا أن كل نظام، صغر أو كبر، يحمل مزاياه وعيوبه، ويتأثر بها الصناعة والتعليم. ومن هنا يكاد يصدق ما زعم أن عوامل انحطاط البوذية فى الهند تعود إلى نظام المجتمع أكثر مما تعود إلى الشريعة والمبدأ.

الأخوة البوذية

أبطلت الأخوة البوذية الأملاك الفردية، إلا أن الأملاك والثروات التى ملكها الأخوة نفسها تكاثرت وتوافرت إلى حد استطاعت الأديرة أن تعول جماعات النساك والرهبان، ولا أرى أن النساك يعيشون عيشة ضنكا والثروات متوفرة متقاطرة لدى الأديرة، وخزائنها طافحة بالذهب والفضة، ومستودعاتها مليئة بالمحاصيل. وكانت الحياة داخل الأديرة فى مستوى أرفع وأرقى منها خارج الأديرة.

مناهج التعليم البوذى

وندرس الآن طرقا ومناهج اتخذتها البوذية لنظمها التعليمية، يقول الرحالة الصينى Hiewn Tisang الذى أقام بالهند من سنة ٦٢٩ إلى سنة ٦٤٥ م.

> « إن الطفل يبدأ أول ما يبدأ دراسته فى « سيدهى واستو » كتاب ابتدائى يحتوى ١٢ فصلا فى شرح الحروف الهجائية السنسكرتية والربط بين الحروف الأصلية والعلة، ثم يقرأ، وهو فى السابع من عمره، شاستر الكبير ويتعلم منه العلوم الخمسة:
>
> « وياكرنا » (الأجرومية) و « پاستاناويدهيا » (الصنعة والحرفة) و « چيكيتساويديا » علم الأدوية، « وهيطوويديا » المنطق والمناظرة، و « أدهياتماويديا » العلوم الداخلية، وهذا إلى جانب المقالات النظرية العقلية للدكتور أبهى دهرما ».

ولا خفاء فى أن هذا المنهاج الابتدائى قد استوعب المعلومات الدينية والدنيوية والفلسفية والعملية، ما تصح أن تكون أسسا للثقافة الكاملة، وتؤهل الطالب للتخصص فى العلوم العالية والاضطلاع بالفنون الراقية. ومن أجل هذا لم تكن الجامعات الكبيرة مثل تاكسيلا ونالندا وولابهى أن تقبل طالبا إلا بعد أن ينتهى من دراسة المنهاج الابتدائى.

فصول الطلبة

وكانت الطلبة مقسمين إلى فصول عدة وفق دراساتهم ومؤهلاتهم. فلكل صف دروسه وآدابه وأساتذته، كما كان لكل واحد منها مسكن خاص مستقل، وذلك تسهيلا على الطلبة مراجعتهم إلى الدروس ومذاكرتهم، ولئلا يفضى اختلاطهم إلى حرج فى دراساتهم المختلفة.

ومع أن فن الكتابة لم يكن حينذاك متخلفا غير محفول به، لم يعول التعليم على الآداب المكتوبة. وكانت الدروس تلقى عامة كما يشاء الأساتذة مستمدين من دراساتهم الواسعة ومعتمدين على ذاكرتهم، ويقول Rhys Davids و Oldenberge:

> «إن متون وينى Vinay لا تشير إلى المخطوطات إشارة، عند ذكرها ممتلكات «وهارا» مع أن هذه المتون بيان مستوعب يشتمل على ما ملكت وهارا. ويوجد شواهد أخرى تدل على أن البوذية لم تعتن بالكتابة، فلم تحاول إلى توسيعها، ورأت أن يجرى نظام التعليم شفويا، ومن أجل هذا كان الاهتمام البالغ موجها إلى التالف بين الأستاذ وتلامذته وموضوعه، وله أن يدرس فى داره أو فى مبنى الجامعة أو فى محل ما يعجبه. فكأن النظام

البوذى للتعليم كان قائلا بالنظرية الشهيرة، هى أنك إذا أردت الاضطلاع برياضيات كرشنا فلا تقتصر دراستك على قراءة الرياضيات، وإنما الواجب أن تدرس كرشنا نفسه، وهذا لا يتأتى إلا أن تحبه صادق المحبة».

واهتمت البوذية مثل البرهمية بالمناقشات والمباحثات التعليمية، ورأت أن تجعل منها وسائل ترقية المعارف وأسسا لتدريب الطلاب. ومن أجل هذا جاهدت فى دعايتها أكثر من الويدية، واعتنت بزعمائها وخطبائها ليساعدوها. كانت خطبهم الساحرة ومحاضراتهم البليغة المبرهنة تجذب الناس إلى البوذية عن الديانات الأخرى. يقول رادها كومار مكرجى:

«إن الأديرة البوذية عكفت على تنمية الخطابة وكرست جهودها على تربيه المؤهلات التى حرزت لها النجاح فى المناقشات والمناظرات العامة وجلبت لها تقدير الجمهور وإعجابه بها. ولم يكن لكل طالب أن يصبح خطيبا ومرشدا، وإنما المشرفون كانوا يختبرون ذكاءهم وكياستهم. فاذا لمسوا منهم أمارات النجاح فى الخطابة والارشاد، قاموا بتوجيههم وتدريبهم. وبجانب الامتحانات الدورية العادية كانت اختبارات خاصة أخرى للاطلاع على نزعاتهم النفسية وتسهيلا للتدريب اللائق بهم».

ويقول هيون تسانگ:

«إن الأديرة التى تهتم بنشر المعارف يبلغ عددها نحو خمسمائة دير كل واحد منها مركز هام يؤمه الطلاب من الأمكنة النائية للتعليم العالى والتخصص. ولعل هذا شاهد واف على أن التعليم كان منتشرا شائعا فى ذاك العصر.

« وأما تدريب النساك وتثقيفهم وإصلاح أخلاقهم، فكان له نظام خاص مستوعب لحياة النساك فى جميع مناحيها، ولا حياد عنه فى سلوكهم ونظمهم ولو قليلا، كما كان عليهم أن يقوموا بخدمات وضيعة تحت إشراف ناسك كبير ينتخب خصيصا لهذا الغرض. فيأخذ كل طالب على ما يناسبه ويثقفه، وكان يدعى كرمداتا، فكأنه أحد البرهماچاريين فى النظام البرهمى. ولا لناسك طالب أن يعفى عن خدمات وضيعة، أللهم إلا أن يثبت أنه لم يعد يحتاج وأصبح مضطلعا من الخطابة والارشاد.

« ولم تحرم حياة الزهد، على قوانينها الشديدة، الألعاب والملاهى الجائزة، مخافة أن يسأم الطالب حياة التقشف وينفر منها إلى الحياة الدنيا، ومن هنا كانت حياة الناسكين نفسها دعاية ناجحة. ويذكر شولاواجا قائمة للألعاب والرياضات المسموحة للنساك، ومنها الرقص مع النساء، والرقص بثمانى عشر قطعة، والوثب عبر الحبال المنصوبة على الأرض. والمسابقة فى حرث الأراضى بالمحاريث وركوب الأفيال والفروسية. والمسابقة فى الرمى، وسوق العربات، ومضاربة السيوف والألعاب البهلوانية والملاكمة، وبسط الثياب فى هيئة منصة ترقص عليها الفتيات، ولعل أعجب هذه القائمة هو الرقص والتمثيل ».

ويذكر إتسيانج أن الشعب الهندى وزعماءه دأبوا على المشى الطويل فى الخلاء، فهم يخرجون إلى الفضاء فى أوقات مناسبة ويمشون طويلا فى الطرق ثم يعودون عندما يشاءون، هذا إلى جانب الرياضات البدنية الأخرى التى يقوم بها الأهالى لاستنشاق الهواء ودفاعا للأمراض.

ومن أهم ما امتازت به الأديرة البوذية حيادها عن العصبية. فلم تغلق أبوابها على طبقة أو ديانة، وظلت أبوابها ترحب الطلاب من أى طبقة كانوا وأى دين اعتنقوا. فكان فيها كثير من الطلبة الذين لم يختاروا البوذية وفضلوا البقاء على دياناتهم، وتخرجوا فى العلوم مع زملائهم البوذيين دون أن يشعروا بضيق أو عصبية. قال رادها كومارمكرجى:

« إن الأساتذه والطلبة كانوا ينالون ما يستحقون من المناصب والجوائز دون أى حاجز دينى أو قومى، وهكذا، كان التعليم فى العصر البوذى بريئا من شوائب الامتيازات، ولا سيما فى بلاد اشتهرت بالتحمس فى العقائد والعصبية والطبقية، وما زال يدعو الشعب إلى المبدأ الفريد القائل بأن طريق الوصول إلى الحق منحصر فى الحرية وعدم الاكراه. ويؤيده التفات الصينين إلى الهند بغية اكتساب العلوم، فقاموا بالرحلات الشاقة ولم يحفلوا بالأخطار المهددة والشدائد المودية، والصحارى الملتهبة والجبال الثلجية، تغلبوا على كل مكروهة ووصلوا إلى الهند ».

وينبغى لنا أن نذكر ملخصا ما قال ماكس مولر عن تراث الهند:

« إذا سألنى أحد عن البلاد التى خصتها الطبيعة فى العالم بجميع ما يلزم لفردوس من الثروات والقوة والجمال، لقلت إنها هى الهند. وإذا سألنى أحد عن السماء التى تمكن العقل الانسانى تحتها من تنمية مواهبه ومن اكتناه معضلات الحياة فيجد لها حلا لا يمكن أن نتغاضاه، لقلت إنها سماء الهند. وإذا سألنى أحد عن المنبع الذى نستطيع نحن — الأوربين — أن نتعرف على المصالح اللازمة لتكميل حياتنا الداخلية، وجعلها مستوعبة وعالمية بل وجعلها إنسانية خالدة، فلقلت إن هذا المنبع الوحيد هى الهند لاغير ».

منظومة «بنجوتى»

للأستاذ عبد الحليم، بومباى

متهلى شرن گبت هو الشاعر المجيد و إمام الشعراء النابغين فى الشعر الهندى فى عصرنا الحاضر. قد ولد فى سنة ١٨٨٥ الميلادى بقرية تسمى بـ «جرگاؤن» من ضواحى بلدة جهانسى القديمة الشهيرة الخالدة فى تاريخ الهند. وقد نظم كثيراً من أناشيد رائعة عذبة فى اللغة «كهرى بولى» وهى اللغة الوحيدة التى تنطق على العموم فى الولايات الشمالية الشرقية للهند. وإن ميتهلى چرن قد التزم فى كلامه إيراد ما جرى على رام چدر أيام نفيه من وطنه العزيز «أجودهيا» و أيام إقامته فى صحراء «بندرا بن» بأساليب متلونة. وأيضا قد أتى بأناشيد وطنية تهيج عاطفة حب الوطن فى أبناء الوطن. ولذلك انتخبته الحكومة الهندية المركزية عضواً لمجلسها البرلمانى العام (لوك سبها). فهو يمثل الشعراء المواطنين بأجمعهم اليوم. وذلك تكريماً له واعترافا منها بخدماته العالية فى سبيل تحرير البلاد وأنقاذها عن مخالب الأجانب بجهاد لسانه وقلمه.

وله مجموعات من النظم، وأشهرها وأهمها «بهارت بهارتى» «وسكيت»، و «يشودهرا» و «بنجوتى»، وغيرها من الروايات الغرامية والمسرحيات والتراجم. وكلها فى اللغة الهندية الفصيحة العذبة، وليس المقصود من هذه العجالة النقد على منظومة «بنجوتى» بل نظرة عامة وتعارف ما، لكى يعتنى أدباء اللغة العربية الغرا بمثلها من الخزائن الأدبية التى ازدهر فيها الأدب الهندى.

ولا شك أن المجموعة بنجوتى هى أشعار بديعة على صورة المثنويات، ذكرت فيها قصة من قصص «راماين» إحدى المآخذ التاريخية القديمة للهنود، وتلك القصة

تدور حول سيرة رام چندر وأخيه لكشمن و زوج رام چندر، سيتا. وعلى رغم أن هذه المجموعة مختصرة غاية الاختصار، فانها تحتوى على زهاء ثلاثين صفحة فحسب، ولها مكانة رفيعة فى الشعر الهندى الرائع، نظراً إلى نعومة الألفاظ ودقة المعانى وجمال الأسلوب الساحر الذى امتاز به الشاعر، حتى أن القارى إذا أخذ فى مطالعة القصة، فلا يمكن له أن يدعها بدون استيعابها فى جلسة واحدة. وجماع محاسنها أن نتيجة القصة لا تزال مستترة خفية غير مدركة بها حتى الختام، فيكون القارى مشوقا إلى معرفة ما يكون إليه مصير القصة، من بدايتها إلى نهايتها.

وإنما سميت المجموعة بـ «بنجوتى» لأن الاسم ينبئ عن محل كان مسكنا للأسرة المهاجرة وقد تظلل عليه خمسة أشجار من بركد (نوع من الشجر العالى، له ظل ظليل لسعة أوراقه وكثرة أغصانه) وإليكم ملخص القصة:

ذات ليلة من الليالى المقمرة كان لكشمن جالساً على صخرة واقعة أمام عريشة من الحشايش والأوراق، ما كان رام چندر و زوجته يبيتان فيها وقد مضى وهن من الليل. وبينما كان لكشمن يحرس العريشة، اتفق أنه استغرق فى مخيلاته وانغمس فى تفكراته فى عجائب الفطرة والطبيعة، فاذا بعذراء ناهدة تظهر له متجملة بزى جذاب ومتحلية بالجوهرات الثمينة والأحجار الكريمة. وفى بدء أمرها، لم يلتفت إليها لكشمن التفاتاً ما، لكنه بعد محاورة طويلة بينه وبينها، إذا فتح عينيه، رأى تلك الغادة فبهت بجمالها ونضرتها وزينتها.

ثم أخذت العذراء تلقى عليه أسئلة تهيج عواطف جنسية وتثير النزعات الشهوانية، لكن لكشمن لم يتزلزل عن موقفه من الزهد والعفاف والتقوى قيد شبر. بل أجابها على أسئلتها بكل عفة القلب وغض البصر، إلا بعض الأسئلة التى كانت فى غاية النكران والفحاشة، فقد ابتسم عند الاجابة عنها.

ودارت المحادثة بين لكشمن وبين الحسناء حتى مطلع الفجر، وإذا هبت سيتا

من نومها الهنيء رأت أجنبية بجانب لكشمن وأعجبها ذلك المنظر، فقامت من فراشها مبتسمة إلى حميها البار وقالت له على سبيل المزاح: «إنى أصغيت إلى تحاوركما بتمامه وها أنا أشفع للأجنبية أن تتزوج معها يا حمى ..... يا ترى»؟

لكن لكشمن مكث على ما كان من الاباء والانكار عن ذلك، فلم يجبها بنعم قط، إلى أن استيقظ رام چندر من نومه. فسأل العذراء، من هى وماهو مطلوبها؟ وحينما كانت الحسناء تكلم معه سقطت فى حبه وأعرضت عن هدفها الأول وهو لكشمن، واندهشت سيتا وتعجبت على تغيرها تقلبها فى لحة واحدة. وقد امتلأت غضبا وغيظا على سوء نيتها وكيد نفسها. وبعد برهة أدرك رام چندر أيضا ما كانت تكن الامرأة فى نفسها من الخيانة والمكيدة.

فلما أحس لكشمن أن الأجنبية قد شغفها حب أخيه الكبير رام چندر. أجاب الحسناء جواباً باتاً أسكتها، فقال: «إنها أصبحت الآن له بمنزلة الأم، لأنها أرادت التزوج مع أخى الكبير»! فبهذا الجواب خاب سعيها وانقطع حبل أملها، فندمت على فعلتها وحسبت الانكار والاباء من هذين الأخوين الكريمين تذليلا وتحقيراً لنفسها فى آخر الدرجات. ثم صممت على الانتقام من هذه النفوس الثلاثة، فانقلبت ظهر المجنو تمثلت لهم جنية فى غاية الدمامة وقبح المنظر: وأبرزت أسنانها وأخرجت أظفارها. وجعلت تهددهم وكادت أن تهجم عليهم، حتى أقبل عليها لكشمن ونجح بسلب مدية حادة منها، فقطع بها أذنيها وجدع بها أنفها، إعلاماً للناس أنها خبيثة الطبع، دنيئة النفس، عديمة الحياء، محرومة العفة. وبعد أن أصابها ما أصاب ولت إلى سيلان (لنكا) هاربة جازعة فازعة ومؤثرة للحرب التى نشبت بين رام چندر و راون أخيها (على رواية) و ملك سيلان. فانتصر فى تلك الحرب رام چندر بجنوده من القرود، وذهبت دولة سيلان أدراج الرياح بسبب النار التى ظهرت فيها، فجعلت ذهبها وفضتها رماداً. فعلى هذا التقدير يكون لهذه القصة أساس تاريخى

محقق تؤيده الكتب القديمة والمآخذ التأريخية للهنادك.

ويقول عديد من العلماء الخبراء إن الفتاة الأجنبية ليست هي شوبنكها أخت راون كما ظنها الظانون، بل هي شخصية مفروضة ومتخيلة، وهي تحكى عن النفس الأمارة لكل إنسان، وهي التى تحرض الانسان على ارتكاب المعاصى والآثام والابتعاد عن الصراط المستقيم. وعلى كلا التقديرين. إنما القصة بنفسها عجيبة غريبة وفيها دروس وعبر للناس: درس التعفف. ودرس التزهد فى الدنيا وزخرفتها. إذا هى أقبلت عليهم! وأيضا تنبئ عن أحوال البيئة والمعاشرة الهندية فى أوائل الزمن القديم.

ولا شك أن ميتهلى چرن گپت أجاد فى وصف منظر الليلة فى فاتحة القصة، فانه صور أولا المنظر الهنىء السار فى تلك الليلة المقمرة. وأما اختياره الليلة دون النهار. فدليل باهر على شعوره الكامل. بما لذلك الوقت الهادى من أثر ونفوذ فى الطبيعة البشرية، فيقول:

«إن نور القمر الفضى منبث فى كافة الأنحاء والأرجاء. والرداء الصافى النظيف الجميل مفروش على الأرض والسماء، وإن الأرض تبدى فرحها وبشرها بأطراف الأوراق الخضرة. وإن الأشجار الخضراء تميل يميناً وشمالا بمر النسيم العليل اللطيف».

«وفى ظل الأشجار هناك عريشة صنعت من الحشيش والأوراق، وأمامها صخرة صافية، عليها بطل عظيم وهو يحرسها، فمن هذا الرامى البارع الذى بات أرقا حتى الآن والدنيا غارقة فى نومها الحلو؛ كأنه صنم الحب، الذى أصبح راهبا قديساً».

ثم هو بعد أبيات يرى لكشمن منغمسا فى أفكاره فيقول:

«ويخيل إلى لكشمن أن الطبيعة ليست بساكنة أبداً ولو فى

ساعات الليل، فانها تأتى بأعمال فائقة مدهشة بكل هدوء وطمأنينة فى الليل» (وذلك على خلاف ما يعتادة الانسان!)

ويستطرد قائلا:

«إن الطل ينثر اللآلى، والناس نيام. أما الشمس فتخطفها دائماً وتلتقطها عند الصباح. وإنها تقدم أمام المساء هدية نفيسة وهى اللّألة. ثم إن السماء الزرقاء تظهرها (أى اللآلى) فى أعين الناس بزى جميل جذاب فى صورة الكواكب والنجوم».

ومن أحسن أفكار لكشمن:

«وإنما نحقر ونستذل المنبوذين العمال من أهل البادية والصحراء، فنضعهم موضع المواشى والحيوانات، لكن قولوا لى، هل تخرج طبقة الحيوانات على قوانين الطبيعة؟ لا، أبداً. أما البشر فهو يفسد فى الأرض ويدمر قوانين السلم ويهدم أركان الفلاح والصلاح؛ فكيف نقول إن طبقة العملة المنبوذين البائسين فى الحياة هى أرذل الطبقات؟ حتى أنها أرذل من طبقة الحيوانات؟ فيا أسفى على فتوانا».

وإن شوبنكها الفتاة إذا تقربت من لكشمن فى زى عجيب وطراز حسن فقد أبرقت عينا لكشمن برؤية الأنوار الساطعة عليها وإنها تبتسم إليه، فصور المنظر:

«والحلى التى كانت تغشى بدنها الرشيق كانت مثل اليراعات تتلألأ على غصن البان الرطب النضير الناعم. ويدها اليسرى كانت تداعب بضفيرتها التى أرسلتها إلى ظهرها. وإن هذا المنظر كان رائعاً جداً، كأن زهرة بيضاء (كنول بالهندية) التى تضرب إلى الحمرة تلاعب

بالزنابير السود. أما يدها اليمنى فكانت بها قــلادة الأزهار جميلة الألوان وذات الرياحين؛ كأن منك الحب والغرام ألتي أرجوحته في وسط القوس له».

ثم لما لم تفز شوبنكها بامالة فؤاده، مع هذه الرشاقة والنضرة والجمال الساحر الفنان، أخذت تتحدث إلى لكشمن وألقت عليه أسئلة تنبئ عما استتر في قلبها. فما أجابها إلا بجواب قصير كأنه لا يجيب إلا بكره. ولذلك تقول الفتاة:

«يا أيها المحب الغادر القاسي. إنك ماسألتني إلا بهذه الألفاظ: «من أنت»؟ فيا للحسرة على ذلك. أنت ما استعلمتني: «ماذا تريدين»؟. فكيف تطمئن نفسي وتهدأ. لا شك أني اليوم صرت منهزمة، مغلوبة منهوبة بجمالك الساحر المفتن. ولا تزعم أني ذاهبة من هذا المحل بدون ربح ومنفعة».

ثم إنها لما أظهرت اسم لكشمن على أنه هو المحبوب لها والآخــذ بمجامع قلبها وأنها مشغوفة به قال لكشمن:

استغفري الله! استغفري الله! فأني متزوج من قبل. يا حسناء! أقلعي عن التفوه بمثل هذه الكلمات الدنسة ياغادة».

فأصبحت شوبنكها تناقضه:

«أليس للرجل أن يتزوج زوجا أخرى مع زوجه الأولى! وقد استبدت الرجال بالنساء، فشرعوا لأنفسهم أن يتزوجوا مثنى و ثلاث ورباع من النساء في وقت واحد: أما النساء فليست مأذونة في التناكح في وقت واحد إلا من زوج واحد. فأين العدالة وحسن القضاء من الرجال؟»

وما زالت شوبنكها تراود عن نفس لكشمن بمثل هذه المناقضة والمعارضة ـ طلع الفجر وارتفعت الشمس ، فرأتها سيتا ثم رآها رام چندر ، وإذا هي شعرت ا كلا من الأخوين يأبى التزوج معها . عادت إلى صورتها الأصلية الجنية لكى تهدد هؤلاء الكرام . فأخذ الشاعر يبين ذلك المنظر الخبيث المستنكر :

«فاذا وجنتاها الناضرتان أصبحتا كبيت الزنابير وإن شفتيها عادتا تتحركان كأنهما رأيتان ، وإن ثغرها الجميل الباسم الذى كان مثل البرعومة قد أصبح كضرس الخنازير . فتمثلت أمامهم بأدنى الصورة المهيبة المفزعة» .

أمعن النظر أيها القارى الكريم فى المنظر، كيف أتى الشاعر بتمثيلات أنيقة وتشبيهات نادرة!

وبعد أن غادرت شوبنكها خائبة خاسرة إلى حيث أتت ، غرقت سيتا فى تفكرات كأن عواقب هذه الوقعة أصبحت على مرأى منها . فقام لكشمن يواسيها بهذه الألفاظ المليئة بالطمأنينة الروحية والتوكل الصحيح الصادق :

«وإنا لا نستدعى بأنفسنا الحوادث والكوارث ، أما إذا هى أقبلت علينا ، فلا نفزع ولا نجزع ، وعندى المصائب والمحن بمنزلة وسائل الامتحان الفطرية التى لا بد منها لكل إنسان أن يتذوقها . أما الخوف منها فليس إلا لأولئك الذين ليس لهم نصيب وافر من التدريب الصحيح والتربية الصالحة» .

وبمثل هذا ، تقول رام چندر أيضا لكى يسكن ويسلى سيتاجى حتى ذهب عنها روعها وسكن بالها ، فأصبحت هاشة باشة كما كانت فقالت :

«لنا أن نذهب إلى مورد الماء لكى نحمل الماء إلى الشجيرات الناشئة لنا» .

فقام لكشمن ومعه سيتا، فاذا أبصر رام چندر هذا المنظر الرائع قال رام چندر:

«مهلا! فانى أريد أن أنظر إليكما، الحو وصاحبته، لأتمتع بموجة الهنـاء والسرور والنشاط الروحى الكامل، فرمى إليهما بالأزهار الحديثة التفتح من حديقتهما».

وقـد ختم به القصة العجيبة. وإنى ما نقلت إلى العربية من الأشعار إلا نبذا منها على سبيل المثال. وإلا المنظومة بأسرها لها شأن فائق فى الشعر الهندى الخالص البرىء من أية شائبة من السقم والخلل الأدبى. وأما الوقوف على حسنها ومزيتها فلا يمكن إلا بعد مطالعة المنظومة بنفسها باللغة الهندية الغراء.

الطاقة الايحائية

والعطور والظلال والأشعة والألوان التى فى الكلمات العربية وما فيها من طاقات ايحائية

للأستاذ صفا الحيدرى

فى اللغة العربية كثير من الكلمات ذات طاقة ايحائية تصور المعنى بذاتها وتكشف من مؤداها، حتى وإن كان يجهله السامع. وهناك أيضاً كلمات يشعر الانسان — ودون أن يعلم السبب — بارتياح عام لمجرد تلفظها شخصيا. وكلمات أخرى على عكسها تخلق فى النفس إنقباضاً وشعوراً بعدم الارتياح.

فنى كلمة (شفق) مثلا ألوان مفتوحة منعشة تنبعث من حرفى الشين والسين كأنها طاقة ضوئية ملونة تتلألأ على صفحة السماء. على عكس كلمة «غسق» ففيها كثير من الايحاء الغامق الذى ينطلق على أفقها. فيوحى إليك مثل ما يوحى الطفل عند ما يمتص المغرب الثقيل آخر أشعته الآخذة فى التعتم والاسوداد.

وهناك كثير من الناس يلتبس عليهم الفرق بين كلمتى الشفق والغسق. وقد كنت يوما ما أحدهم — ولكن مجرد تلفظ الكلمتين بالتعاقب كان يحدث فى ذهنى تداعياً صورياً يتفتح إذا ذكرت كلمة شفق ويعتم لدى ذكر غسق.

فيكفى أن تسقط كلمة شفق على ذهنى ليتفتح عن طاقة ذهنية مشرقة بينما يحدث العكس عند ذكرى كلمة غسق.

وهناك عدا هذه الكلمات الايحائية كلمات كثيرة يند عنها إيحاء صامت خاص هو غير الايحاء الموسيقى الذى ينفضه رنين الكلمات والحروف يرسم فى الذهن

الجو الذى تعنيه الكلمة، فتمتلىء بمعناها خلايا الانسان الشعورية وإن يكن يجهلها بعد.

ومن هذه الكلمات ما ينبعث من حروفها منفرداً ومجتمعاً ألوان ورموز غريبة وأخرى، يكشف المرء — حدساً — المعنى الذى تعنيه عن طريق شعور يدب فى الكيان. وتختلف نسبة كثافة ورقة هذه الموسيقى أو الألوان أو الرموز وحرارتها كذلك، حسب قوة الكلمة وتأثيرها النفسى بمجرد التلفظ الصامت لها.

فكلمة (طفل) تحدث عند تلفظها شيئا كالتكلس الطينى على النفس، فتتصاعد إلى الذهن حالا طبقات ترابية يحدثها التزاوج الذى يجمع بين حرف الطاء والفاء واللام. فكأنه ازاء طوق ترابى يهدم بيتا تشعره، وأنت تذكر كلمة (مساء) بأنك تنزلق على السين فى إنسيابية وإمتدادية تقطعها عليك الهمزة أخيرا، وهى نفس طبيعة المساء والليل. كذلك الأمر مع كلمة (فاتر)، فيشعر المرء وهو يتلفظها بخمول وسكينة لينة بعيدة وتهالك وتداع أشبه ما يكون بطبيعة الوقت الذى يسبق الغروب.

بينما تحدث كلمة سفينة شعوراً بالثقل والامتلاء والسمنة. أما كلمة (هواء) فتحدث فى النفس حالة أشبه ما تكون بالانتفاخ بتأثير حرف الهاء وسعة امتداد حرفى الواو والألف، والوقوف عند الهمزة فى الوقت الذى تذكرك كلمة (سهول) بالروابى الخضراء الممتدة. فتلمح فى عين الفكر النسيم وهو يمر على رؤوس السنابل والعشب الأخضر، ويتركه منحنياً فى إتجاه الريح. بينما توحى كلمة (نسيم) للين والطراوة.

كما توحى كلمة (صبوح) التفاؤل، بعكس كلمة (غبوق) فانها تقبض النفس. هناك أيضا كلمة (يراع) فهى كذلك تفتح القلب وتنبسط أمام الانسان للتو اللحظة شيئا كصفحة السماء الصافية أو البحر الزرقاء الفاتحة اللون.

أما كلمة (شب) فانك عندما تتلفظها تشعر بشيء ما يثب ويقفز. ويتراى لخيالك أرنب أبيض فى الحال رافعا أذنيه. بينما توحى كلمه (ينش) بشيء رقيق خيطى يسيل ويتسرب. وتصور لك كلمة (يتسلسل) شيئا ما يتنقل بخفة من مكان ما إلى مكان. أما كلمة (قلم) فهى بعكس كلمة (يراع) لا تحدث مثل ذلك التأثير.

وتحدث كلمة (دين) بكسر الدال شيئا كالعبء أو كالحمل الثقيل. بينما تحدث كلمة (دين) بفتح الدال شعوراً ذهنياً فى النفس كالدين الغرين. وعندما يتلفظ المرء بلسان نفسه كلمتى (ردم أو هدم) يشعر حالا بصوت اصطدام (بم) يرتفع إلى أذنيه رغم أنه لم يتلفظها مصوتا. ويكون الوقع أشد فى كلمة (ردم) منه فى هدم.

أما إذا ذكر الانسان كلمة (هم) فانه يشعر بشيء فى داخله يندفع وراءها بقوة. بينما توحى كلمة (نيران) بأشعة الشمس البرتقالية فى الغروب. ويتصاعد إلى العين لمجرد ذكرها منظر الغيوم البيضاء والزرقاء تمزقها حزم من ضوء الشمس الغاربة وهى تنتشر عموديا فى صفحات الأفق.

وعند ذكر كلمة (غسيل) تتراءى للعين أو ترسم فى صفحة الذهن قطع بيضاء من الغسيل (مشرورة) على الحبال فى السطوح. وعند ما تصل إلى حرفى الـ (يل) يتراءى لك جدول ماء مترقرق يكمل لك الصورة. فتبتدىء بالغسيل وتنتهى بالماء فتعطى تعبيرا كالأول.

أما كلمة (عبير) و (فوح) فهى قلما تترك تأثير العبير بعكس كلمة عبق وشذى، فهى تجعلك تحس بشيء شفاف يتصاعد من مسام الأرض.

أما كلمة (فانوس) فانها توحى بليل عميق كثيف هادىء يمتد إلى مالا نهاية،

يكاد يكون أسود تمـاما . وتوحى كلمة (شمس) بأثمار وأشياء ناضجة . أما كلمة (قمر) فبسائل متخثر رمانى اللون، بعكس كلمـة (نجوم) التى تنطلق لمجرد تلفظها فى الذهن المعتم إشارة ضوئيـة (كاللاسلكى) فى الليل تنطلق من نقاط دقيقة منتشرة فى عدة مكانات .

أما كلمة (غيوم) فتحس وأنت تلفظها بصمت يثقل فى صدرك . بينما تحدث كلمة (شهاب) شعوراً باندفاعات تغوص فى أعلى طبقات المجهول أشبه ما تكون بالصعادات، ولا تتميز بألوان مفتوحة، بعكس كلمة (سهم) التى لا تحدث تأثيراً كهذا مطلقا. فأنا لا أذكر كلمة (سهم) إلا وتتصاعد إلى ذهنى الأرض. فأراه كرمح غائص فى جثة إنسان . وهذا أصدق، فان طبيعة السهام أن تعود للأرض بعكس الشهب التى تنطلق من مصادر مجهولة إلى إتجاهـات مجهولة هى أقرب إلى فهم السماء منها للأرض .

والسين والشين عادة أحرف منغومة مطربـة . وإذا تقاربت أو تزاوجت بأحرف أخرى مثلها، كحرف الفاء فى كلمـة (شف) التى تشف لمجرد تلفظها عن معناهـا أو جاءت مع (النون) مثـلا أو الهاء أوحت بالارتياح وتركت فى النفس رضا عاما بالاضافة إلى تأثيرها الموسيقى .

وهناك انسجام أخر بين الالفاظ عدا ما ذكرناه بين حرف الباء والدال وحرف لبـاء والسين والشين والطاء والنون والصاد والواو والتاء، كيدين، وبس، وشط، شطين وصوت. إن إختيار حروف الكلمات الموسيقية والموحية فى الوقت نفسه تطلب ولا شك استعداداً نفسياً خاصاً وقابلية فنية تضيف إلى الشعر ثروة غنائية كبيرة جدا .

ولنأخذ هـذا البيت مثلا (صـدى أمس يهسهس فى السهول) ولنقرأه بشىء ن السرعة فانظر كيف تمتد أمام مخيلتك فوراً سهول العشب الأخضر، والسنابل

اللامعة فى الفجر، وصوت النسيم (هس) وهو يمر عليها فى صمت الحقول. أو الايحاء والموسيقى اللذين فى هذه الأبيات العامية.

شنها لرحه بلا صوت   بس ايدج ادير
اطحن بكسايا الروح   .   موش أصحنشعير

إن الشخص الذى يسمع هذه الأبيات أو يلفظها يتمثل له حالا حجر الرحى وهو يدور على البذور اليابسة فيغرق فى موسيقى مسكرة.

وهــذا البيت الآخر الذى تخاله يوشوش فى نفسك شيئاً (يوشوشه لهاث الشمس عصراً).

وكذلك هذه الأبيات:

وهذه الآه التى فى فمى   .   غمغم فى عينى منها فم
وتلك ليلاتى التى غلتها   .   فقاعــة ينش منها دم
واليوم لا يتبق فى مقلتى   ه   منها (سوى ظل التى نلت)
كت إذا قبلتها مــرة   .   ردد صوت القبلة البيت
قالت وماضيك فقلت أنطوى   ه   الماضى ولم يبق سوى أنت

إنهـا موسيقى جميلة تعمل على غرس الصورة عميقا فى نفس السامع وتعطى التعبير حياة وقوة وحركة. وتكثر هذه الخواص فى الأدب الانكليزى المعاصر وفى الأدب الألمانى الحديث.

وطبيعى أن هــذه القابلية لا تتوفر لكل شاعر. وإلا لكنا لمسناها فى معظم ما نقرأ من أشعار معاصرة أو غير معاصرة، كما أن فى العربيـــة عدا ما ذكرناه شىء كثير مما لم نذكــره من الكلمات التى لها مثل هذه الطاقة الايحائية والأثر الموسيقى المدهش، ولكن المحقق فى دراسة هذه اللغة بالروح الحديثة لا يفوته

إستكشاف هذه الكلمات. واستكناه السر الكامن فى طاقتها الايحائية والموسيقية.

والشاعر بصورة خاصة أعنى الذى ينتظر أن يتبوأ المكان اللائق بين الشعراء يجب أن يضيف إلى الشعر إمكانيات أخرى غير الشكل والمضمون. ولا يتحقق ذلك إلا بالاستفادة من دراسة مخارج الألفاظ واستغلال الموسيقى التى تنشأ من تزاوجها فتكسب الصورة والمضمون والشكل جوا حيا. فتحس بمجرد تلفظك الأبيات أن المعانى تثب إليك وتتذبذب على سلم الحروف الموسيقى. كأنها قطع قطنية دقيقة يرسلها وتر (النداف) بحركات وثبات رائعة، ولا تفتأ أن تعود بعدها إلى مكانها من البيت الشعرى الذى لا يمكن أن يحل محله أى حرف آخر بمثل هذا الانسجام. فتحس بأن الحروف جميعا قد وضعت فى مكانها المناسب لها، وليس هناك أى حرف قلق غير منسجم. أخطأ الشاعر فى تحرى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه من السلم الصوتى أو النفسانى.

من أخبار الهنـد الثقافيـة

أقيمت فى سيلان حفلة تذكاريـة لبوذا. حضرها كبار الشخصيات الهنديـة، منهم المستر نهرو رئيس وزراء الهند. وقدم إليـه مجلس البلدية السيلانية خطاب الترحيب، وأجاب الرئيس على ذاك الخطاب شاكرا. وبينما كان الرئيس يلقى خطابه تحدث عن الأسلحة الذريـة الفتاكة فقال: «من المحتمل عن نتجح فى مساعينا لوضع بعض الحدود على استخدام هـذه الأسلحة الفتاكة. إلا أنها لا تكفى البشر ولا تغنيه شيئا. فان صالح البشر يحتم عليــه أن يفكر فى المشكلة، ويحاول توجيه العقل الانسانى إلى ناحية مختلفة حتى يتخاص البشر من الامعان فى القوات العسكرية والأسلحة الفتاكة. ويأخذ فى استغلال مواهبه لخلق التعاون البشرى، وإنقاذ الانسان من ربقة العبودية». واستطرد المستر نهرو قائلا: «إن هذه أول مرة فى التاريخ أن يتهدد العالم بالأخطار التى تقشر الجلود منها، والتى ستقضى على العالم بأسره، إذا لم يتحامل البشر ويتمالك أعصابه، ومما يزيد الطين بلة أن الأخطار ليست مما تحدثه الطبيعة وتعجز الانسان من مكافحتها بل هى فكر الانسان نفسه الذى يولد الأخطار المتكاثرة فالمعضلة الرئيسية أمامنـا الآن هى: هل نترك السياسة تجرى بجراها، وترى شيئا معارضا للآداب والأخلاق، ونهمل الشعوب والأقوام لا تفكر إلا لأنفسها غير مكترثة لمـا يعترى إخوانهم البشر الآخرين. إننا اليوم قد غشينا التعقل والخوف ونال منا الوهم والحذر المسرف، وتغلب علينا والتنافر والحقد، وأصبحت عواطفنا تنزع إلى تدمير كل ما لا يعجبنا. ويا للأسف قد ذهلنا عن الحقيقة الصادقة وهى أننا لو حضرنا لغيرنا هوة ليأتى وقت أن نسقط فيها نحن أنفسنا».

* * * *

تجدد انتخاب الدكتور رادها كرشنن نائبا لرئيس الجمهورية الهندية للفترة الثانية، وقدم إليه أعضاء البرلمان الهندى تهانيهم الحارة بمناسبة انتخابه الجديد. وبينما كان الدكتور يرد على تهانيهم قال: إننا نرمى إلى إنشاء نظام اجتماعى، ونتطلع إلى خلق مجتمع جديد. فأذا تكللت جهودنا بالنجاح فى إدراك أمانينا، يجب علينا أن نتخلق بأخلاق خاصة. ولا ريب فى أننا قمنا بواجبنا إلى حد لا يستهان به ولا نكون مذنبين لو تحدثنا بعملنا مفتخرين افتخارا مناسبا. دون أن يزدهينا العجب والغطرسة إذ لا مبرر لنا للزهو والعجب، وكذلك لا يجوز لنا أن نقتنع بارضاء أنفسنا فحسب، أو ننخدع بالمظاهر الخلابة التى لا علاقة لها بالحقيقة. فالبشر — ونحن بشر — كثيرا ما يخادع نفسه. فعلينا أن ننظر فى أنفسنا وندرك كنهها. ونعرف أننا مقسمون لا فى قوانا الخارجية بل فى الطبيعة الداخلية أيضا. وفى وسعنا أن ندرك الأهداف المرمية إليها. والحاجة إلى تحسين سلوكنا ماسة لا غنى عنها. ولنذكر دائما أن بوذا قام قبل آلاف سنة مثلا للانسانية والخلق، فهلا نحاول التخلق بتلك الأخلاق، ونسعى لترقية مصالح الشعب دون أن ينال منا الزهو وحب اللذات ولا نقصر جهودنا فى الفلاح عند أحزابنا.

* * * *

بينما كان الرئيس نهرو فى بومباى يفتتح فرعا من فروع بهارتيا وديا بهون، حذر الشعب من الفرح المفرط والاعجاب بالنفس فانهما عاطفتان أفضيتا فى الماضى إلى تدهور البلاد. وبما أن بعض المحاضرين أسرفوا فى الثناء على ماضيهم قال الرئيس، إن الشعب الهندى يكاد يجتاب الدمار بزعمه أن النساك الهنود القدماء أدركو المعارف عن آخرها، ولم يفتهم شىء من العلوم، فهولاء الزاعمون يخادعون أنفسهم كما لا يقل منهم غرة أولئك الذين يؤمنون بأن الهند كانت مركز العالم ودهلى مركزها، فهم المخدوعون بنفس السراب. واستطرد المستر نهرو فقال:

«إن مثل هذه المزاعم ربما تأتى على البلاد بسوء الحظ وما لا نشتهيه». وأكد الرئيس الحاجة إلى القصد فى تقدير التراث التقليدى والعلوم الحديثة، وقال: «إن قيمة المعارف هى دوافع الاستطلاع الدائمة والاستقلال قيمة الانتباه الدائمى. ومن أجل هذا تتعزز الاكتشافات الحديثة على كل من يزعم أنه وصل إلى غاية المعارف فأقفل فكره دون الاكتساب». وقال المستر نهرو «إننا جربنا فى ما مضى أن الشعب الهندى بقى متخلفا حين غلبت عليه هذه المزاعم الفاسدة، وتقدمت الشعوب الأخرى من لم تهمل مثل هذه المغريات تنال منها. ولا خفاء فى أن الحالة ستعاود إذا أصبحنا ضحايا لهذه المزاعم التى لامبرر لها». وقال الرئيس نهرو: «إن أهم واجب على كل شعب أن يحب بلاده ويبذل أقصى جهوده لتقديمها وترقية مستواها. ولا ريب فى أن الهند فى ماضيها فاقت الدول الأخرى فى كثير من النواحى الأدبية والعلمية، وكانت اللغة السنسكرتية — التى تستحق أن نسميها أم الألسنة الهندية — أساسا للثقافة الهندية لكنى لا أتجاسر على موازنتها مع لغات الشعوب الأخرى، مما لا يبعد أن كانت تعادل اللغة السنسكرتية. وبناء على ذلك كله لا يليق لأحد أن يسرف فى تقدير لغته وتراثه». واستطرد الرئيس نهرو قائلا: «إنى لا أريد الشعب الهندى على الاعراض عن ماضيه فاننا لو انقطعنا عن تراثنا لم نكن هنودا، وإنما أريد حياتنا تورق بأوراق العلوم الجديدة، بينما تكون مؤسسة ومغذاة بالجذور الهندية الأصلية. ولن نكون قد أروينا غلة بلادنا لو أقتصرنا على إحياء الثقافة الهندية الصميمة مع جعلها غنية بالعلوم والمعارف الجديدة. ومختصر القول أننا نحتاج إلى خلق تلاؤم بين القديم والحديث وذلك أن العكوف على كسب العلوم والتفانى فيها مما تفضى إلى إحدى النهائتين وهى إيجاد القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها من الأسلحة الفتاكة».

٭ ٭ ٭ ٭

أذاعت وكالة تاس أنه وجدت مخطوطات أثرية تكشف عن روابط قديمة بين الهند وآرمينيا. وأحد هذه المكتشفات كتاب فى أسماء المدن الهندية يرجع تاريخ تاليفه إلى القرن الثالث عشر. ويشتمل الكتاب على وصف مفصل للمدن الهندية الهامة، فيذكر المسافات بين هذه المدن وعدد سكانها كما يشرح دياناتهم وتقاليدهم وعاداتهم، ومنها تاريخ الولاة الهنود الذين حكموا البلاد بين ٨٠٧ م و ١٧١٩ م، ألفه أحد تجار الآرمينيين المدعو بـ «استيفان دشتيسى». وأكثر هذه المخطوطات أهمية كتاب ألفه أستاذ آرمينى المدعو بـ «كونستاند جوجايتسى» فى المنتصف الثانى من القرن السابع عشر، وأسهب الكلام على العلاقات الاقتصادية بين البلدين، ويذكر كذلك المدن والاقاليم الهندية مما وصل إليها التجار الآرمينيون كما يصف السلع التجارية والمقائيس والنقود المتداولة حينذاك. ووجد من بينها مخطوطات هندية مكتوبة على خوص النخل، أحدها هاهس، وهو كتاب الشاعر الهندى «هوسرود دهالواوى»، حدث فيه عن مستعمرات هندية فى آرمينيا ما بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر. وقالت وكالة تاس إن عددا من أعضاء مصلحة الآثار الآرمينية يدرس الروابط القديمة بين البلدين فى ضوء هذه الآثار حديثة الكشف.

° ° ° °

تعرفنا على شواهد هامة تلق الضوء على التاريخ القديم لمدينة «أجين» والشعوب الآهلة، وذلك بفضل الجهود التى بذلها فرع تابع لمصلحة الآثار الحكومة الهندية. ومن أهم ما أزيحت الستار عنها خلال الحفريات سور مصنوع من الطين، يبلغ عرضه نحو ٦٠ وعلوه نحو ٤٠ ذراعا. ويرجع تاريخ بنائه إلى ما قبل الميلاد. ولا يبعد أن بناته كانوا السكان البدائيين فى منطقة أجين، وهم الذين يستخدمون الآنية الفخارية المتداولة — طبقا للأبحاث — ما

بين القرنين السادس والثانى قبل الميلاد. واكتشفت كذلك الأبواب الكبيرة والخنادق المحيطة بالسور التى بنيت دفاعا عن المدينة. ويلوح أن الحصن تداعى مرارا وأصلح مرارا وكانت مياه النهر تفيض فيضانا هائلا. وأضطرت السكان حينا بعد حين إلى تجديد البناء وإحكام سدودهم واستخدموا الطوب أحيانا لهذا الغرض. وبدأت تظهر آثار لشارع فخم يعاصر السور نفسه ووجدت قطعات حديدية ونصال ونبال مكسورة على الشارع لعلها آثار لحرب دامية نشبت حينا ما، مما يدل على أن السور بنى دفاعاً عن الأعداء لا دفاعاً عن المياه المدينة. وكشفت الأبحاث كذلك عن الآبار والأرصفة، والطرق والحلى والألاعيب والأوانى الفخارية وغيرها مما تلق الضوء على الحياة المدنية التى عاشها السكان داخل الحصن المنيعة. وأهم المشكوفات بناء أعد فى الأرض كخزان مشيد نحو ٣٠ فى ٣٠ ذراعا، ونرجو أن النقود النحاسية أو الفضية المكتشفة ستوضح لنا الحياة الاقتصادية لذلك الحين.

٭ ٭ ٭ ٭

تقول الأنباء أن الأبحاث الأثرية كشفت عن معالم مستعمرة هندية فى كوتا موالا مواد فى شمال غربى ملايا، ويلوح أنها كانت ميناء تنزل به التجار فى رحلاتهم إلى الشرق. ومن المكتشفات تمثال بشرى يبلغ طوله ذراعين ويمثل بعض الآلهة الهندوسية. وقيل أنه أحسن ما اكتشف عنها فى ملايو إلى الآن من نماذج النحت.

٭ ٭ ٭ ٭

اكتشف عقار هندى شهير باسم باثور شور لمعالجة كوليرا، وجربه الأطباء فى مستشفى كلكتا فوجدوه فى غاية النفع.

٭ ٭ ٭ ٭

اعتزم المشرفون على مكتبة سالار جنگ بحيدرآباد على إصدار قائمة مستوعبة للخطوطات الموجودة فى دارالكتب ويبلغ عدد المخطوطات الفارسية والعربية نحو ٢٤٥٩ وتتكون القائمة من عشرين مجلدا، نشر منها مجلد وحد. وتوجد فى المكتبة نسخ ثمينة للقرآن الكريم تمثل فن الكتابة العربية فى أدوارها المختلفة ما بين القرن الثامن والثامن عشر الميلادى. وهذا علاوة على ما توجد فيها من نسخ مزينة بخواتيم الملوك أو إمضاءاتهم. كما توجد فيها نسخ مكتوبة بالكتاب العظام مثل ياقوت المستعصمى وغيره.

أنباء المجلس

دعا مجلس الهند للروابط الثقافية الأستاذ أبابكر ميانجا زعيم أوغاندا، فمكث ضيفا فى الهند لستة أسابيع. اجتمع خلالها مع كبار الشخصيات الهندية منها الدكتور راجندر برساد رئيس الجمهورية الهندية، والدكتور رادها كرشنن نائب رئيس الجمهورية والمستر نهرو رئيس وزراء الهند. وقام الزعيم ميانجا برحلة فى أنحاء الهند لدراسة التقدم الهندى فى الحقول المختلفة من الصناعة والثقافة. دعا المجلس الأساتذه الهنود ليلقوا محاضرات تحت إشرافه، ومنهم الأستاذ الفاضل محمد حفظ الرحمن أحد أعضاء البرلمان الهندى ورئيس جمعية علماء الهند، فألقى محاضرة عن اللغة الفارسية بوصفها لغة التعليم فى الأيام الماضية. ومنهم الأستاذ أنور سهاى تكلم على المساهمة الهندية فى تأليف المعاجم الفارسية.

* * * *

أهدى المجلس كتبا فى المواضيع الهندية إلى دور الكتب والمعاهد العلمية فى السودان وبلغاريا وروسيا وغيرها.

* * * *

أعد المجلس دروسا فى الدراسات الشرقية للطلبة الأجانب ممن نزلوا حديثا. وكان الأستاذ غلام السيدين نائب رئيس المجلس والمستشار التعليمى للحكومة الهندية قد افتتح هذه الدروس.

* * * *

أقام المجلس حفلة استقبال للطلبة الذين حضروا هـذه الدروس، ورأس

هذه الحفلة البروفيسور همايون كبير وزير الحكومة الهندية للطيران المدنى.

* * * *

ينتظر أن يعقد أول اجتماع للجمعية العامة الجديدة للمجلس فى مستهل العام القادم.

* * * *

تلقى المجلس كتبا هدية من إيران، رومانيا، المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول الأخرى كما أهدت إلى المجلس بعض الوزارات الهندية مطبوعاتها.

THAQĀFAT-'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1	Asian Approach to Culture ...	K. G. Saiyidain	2
2	Gandhiji's Political Philosophy ...	Abu-n Nasr Ahmed Al Husaini	11
3	Shankar Acharyar	Mohiyy-ud-Din Alwayee ...	17
4	Education in Buddhist India	... ...	41
5	Panchvati ...	Abdul-Haleem, Bombay ...	50
6	Positive Power in Arabic words ...	Safa Al-Haidari ...	58
7	Cultural News of India ..	... ...	64

ANNUAL SUBSCRIPTION: Inland Rs. 8. Abroad Sh. 8. **SINGLE COPY:** Rs. 2

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY

KHALEEL SHARAFUDDIN, 46A MEMONWADA ROAD, BOMBAY 3 AND PUBLISHED BY MR I R KHAN

THAQĀFAT'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

SEPTEMBER 1957

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

ديسمبر ١٩٥٧

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات فى السنة: مارس، و يونيو، و سبتمبر، و ديسمبر

الاشتراك للسنة: فى الهند : ثمانى روبيات فى الخارج : ثمانى شلنات

ثمن العدد الواحد : روبيتان

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية، پتودى هاوس، دلهى الجديدة نمرة ١

مطبعة «ق» بالهند

لصاحبها خليل شرف الدين، ٤٦ اے شارع ميمن وارا، بمباى ٣

طبعت بأمر مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الثامن ديسمبر سنة ١٩٥٧ العدد الرابع

محتويات هذا العدد

صفحة

١ استناد نهج البلاغة ٢

٢ من أخبار الهند الثقافية ٨٨

استناد نهج البلاغة

للأستاذ امتياز على عرشى

تعريب عامر الأنصار

يعد كتاب «نهج البلاغة» من الكتب التى لها أسمى مكانة فى الأدب العر
وهو يحتوى على نخبة من خطب سيدنا على بن أبى طالب ورسائله وحكمه.
يضاعف الكتاب أهمية، أن على بن أبى طالب كان. على بلاغته المبتكرة، أ
الخلفاء الراشدين، أو إماما معصوما عند طائفة من المسلمين.

والشائع بين أبناء الأدب أن مؤلف الكتاب، هو الشريف الرضى ذوالحس
أبوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوى الشيعى (٤٠٦ هـ، ١٠١٥م). و
أخوه الأكبر الشريف المرتضى ذا المجدين على بن الحسين المشهور بعلم الهد
(٤٣٦ هـ، ١٠٤٤م).

روى ابن أبى الحديد فى شرح الخطبة الشقشقية عن أستاذه أبى الخير مصد
بن شبيب الواسطى (٦٠٥ هـ، ١٢٠٨م) أنه قال:

«قرأت على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة.... فقلت له: «أتقول إنها منحولة»؟ فقال: «لا والله، وإنى لأعلم أنه كلامه كما أعلم أنك مصدق». قال فقلت له: «إن كثيرا من الناس يقولون إنها من كلام الرضى رحمه الله تعالى». فقال: «أنى للرضى ولغير الرضى هذا النفس وهذا الأسلوب؟ قد وقفنا على رسائل الرضى، وعرفنا طريقته وفنه فى الكلام المنثور، وما

يقع مع هذا الكلام فى خل ولا خمر». (شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٤٠).

وقال ابن أبى الحديد فى محل آخر:

«إن كثيرا من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضى أبى الحسن وغيره. وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات الطريق ضلالا وقلة معرفة بأساليب الكلام». (أيضاً ج ١ ص ٥٤٣).

ويظهر مما سبق أن كثيرا من علماء القرن السادس الهجرى كانوا يزعمون أن معظم ما فى نهج البلاغة لا يصح إسناده إلى على بن أبى طالب، وإنما ألفه قوم من فصحاء الشيعة، من بينهم السيد الرضى.

وقال ابن خلكان (المتوفى ٦٨١ هـ، ١٢٨٢ م) فى كتابه «وفيات الأعيان» حين ترجمته للشريف المرتضى:

«قد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضى. وقد قيل: إنه ليس من كلام على. وإنما الذى جمعه ونسبه إليه هو الذى وضعه والله أعلم». (ج ١ ص ٤٧٨).

ولا يكاد يختلف من قول ابن خلكان هذا، أقوال ابن الأثير الجزرى فى مختصر الوفيات[1] وصلاح الدين الصفدى فى «الوافى بالوفيات»[2] والعلامة اليافعى فى

١ — لم أره شخصيا إلا أن ما نقله عنه صاحب روضات الجنات (٢٨٦) ليس إلا صدى قول ابن خلكان.

٢ — قد طبع المجلد الأول من الوافى فى إستانبول سنة ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م. لكنه يشتمل على تراجم المحمدين فحسب، فلم يذكر عن الشريف المرتضى، وإنما رأيت فى روضات الجنات (٣٨٧) قولا للصفدى لا يختلف عن قول ابن خلكان.

«مرآة الجنان». (ج ٣ ص ٥٥) وابن العماد فى شذرات الذهب (ج ٣ ص ٢٥٧). فهم جميعا أعادوا فى ترجمة الشريف الرضى قول ابن خلكان، مما يدلنا على أنهم الآخرين وافقوه على هذا الرأى.

وقال العلامتان الذهبى (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، ١٣٤٧ م) فى ميزان الاعتدال (ج ٢ ص ٢٠١) وابن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢ هـ، ١٤٤٨ م) فى «لسان الميزان» (ج ٤ ص ٢٢٣):

«وهو (الشريف المرتضى) المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة. وله مشاركة قوية فى العلوم. ومن طالع كتابه «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه. ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبى بكر وعمر. وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم من بعدهم من المتأخرين، جزم بأن أكثره باطل».

ونستنتج من أقوال ابن خلكان ومن حذا حذوه:

١ ـ أن العلماء اختلفوا فى مؤلف نهج البلاغة، فمنهم من نسبه إلى الشريف المرتضى، ومنهم من عزاه إلى الشريف الرضى.

٢ ـ أن المرجح عندهم أن جامعه هو الشريف المرتضى، بدليل أنهم تعرضوا لذكر الكتاب فى ترجمة الشريف المرتضى.

٣ ـ أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن ما فى نهج البلاغة من الخطب والحكم ليست من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب، بل وضعها جامعه وعزاه إلى أمير المؤمنين.

وأما العلامتان الذهبى والقسطلانى، فواضع الكتاب عندهما هو الشريف

نضى، وهو الذى نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله. وذلك لأن الكتاب
السب الصراح والحط على السيدين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وتناقض بياناته
شتمل على الأشياء الركيكة والعبارات التى لا تتفق ونفس الصحابة، وتقرب
طباع المتأخرين.

وفيما يلى نناقش مزاعم ابن خلكان والذهبى، ونفحص حججهما وبراهينهما
مؤلفه الحقيق ومكانة الكتاب.

المؤلف

وندرس أولا من كتب التراجم ما عاصر مؤلفوها الأخوين الشريف الرضى
سريف المرتضى وذكروهما فى كتبهم.

يتيمة الدهر، وتتمة يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى (المتوفى ٤٢٩ هـ، ١٠٣٨ م).

كتاب الرجال للعلامة النجاشى (المتوفى ٤٥٠ هـ، ١٠٥٨ م).

كتاب الفهرست لشيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى [المتوفى ٤٦٠ هـ، ١٠٦٨ م].

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى [المتوفى ٤٦٣ هـ، ١٠٧١ م].

ويأتى بنا البحث فى هذه الكتب إلى أن الطوسى لم يذكر الشريف الرضى بتاتا،
لا يذكر نهج البلاغة فى ترجمة الشريف المرتضى [فى فهرسته ٢١٨] ولا
ه من مؤلفاته. وذكر الثعالبى [فى اليتيمة ج ٢ ص ٢٩٧ وتتمتها ج ١ ص ٥٣]
لخطيب البغدادى [فى تاريخه ج ٢ ص ٢٤٦ و ج ١١ ص ٤٠٢] الأخوين
وهما، لكنهما لم يذكرا شيئا عن نهج البلاغة. وأما النجاشى فذكرهما ومؤلفاتهما

[فى كتابه ١٩٢ و ٢٨٣] وذهب إلى أن مؤلف نهج البلاغة هو الشريف، ولا يخفى ما لشهادة النجاشى والطوسى من أهمية، حتى نستطيع أن نعتمد عليها، ونجعلها قولا فصلا. إلا انى أرى أن أذكر شواهد أخرى، داخلية وخارجية، إيضاحا للحقيقة وقضاءاً على جميع الملتبسات والموهمات.

قال المؤلف فى خطبة الكتاب:

« فانى كنت فى عنفوان السن وغضاضة الغصن. ابتدأت بتاليف كتاب فى خصائص الأئمة عليهم السلام. يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب، وجعلته إمام الكلام. وفرغت من الخصائص التى تخص أمير المؤمنين عليا عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيام. وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبوابا، وفصلته فصولا، فجاء فى آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير فى الحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة. فاستحسن جماعة من الأصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره، معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه، وسألونى عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب. الخ» [نهج البلاغة ج ١ ص ١].

ويظهر من كلامه هذا أن جامع نهج البلاغة جمعه بعد تاليف كتابه خصائص الأئمة، ويؤيده ما قال الجامع فى شرح الخطبة العشرين:

« قد نبهنا فى كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها » [ج ١ ص ٥٤].

وتوجد من «خصائص الأئمة» نسخة ثمينة قديمة فى مكتبة رامبور، وفى
امها أن كاتبه عبد الجبار بن الحسين بن أبى القاسم الحاج الفراهانى فرغ من
ابتها سنة ٥٥٣ ﻫ [١١٥٨ م]. وكتب الكاتب نفسه بخطه:

«كتاب خصائص الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، تصنيف السيد
الامام الرضى ذى الحسبين أبى الحسن محمد بن الحسين بن موسى
الموسوى رضى الله عنه».

وتدل هذه العبارة أن مؤلفه هو الشريف الرضى، ويؤيده كذلك نص
اجازة المكتوبة تحت اسم المؤلف ففيه أن عبد الجبار قرأ الكتاب على أبى
ضا فضل الله بن على الحسين الراوندى فى ذيقعده ٥٥٥ ﻫ [١١٦٠ م]
ستجازه عن أبى الفتح اسمعيل بن الفضل أحمد الأخشيد السراج عن أبى
ظفر عبد الله بن شبيب عن أبى الفضل الخزاعى وكان تلميذا للشريف الرضى،
ظهر من هذا أن فضل الله الراندوى كان الآخر يرى أن مؤلف كتاب
خصائص هو الشريف الرضى.

ويؤيده ما ذهب إليه النجاشى فى كتاب الرجال [٢٨٣] حيث عد كتاب
خصائص من مؤلفات الشريف الرضى. وأقوى الدلائل هى العبارات الواردة
الكتاب نفسه. فى شرح قول أمير المؤمنين «قيمة كل امرئ ما يحسنه»:

«قال السيد الرضى أبوالحسن رضى الله عنه، وهذه الحكمة التى
لا قيمة لها ولا كلام يوزن بها» [الصفحة الف ٢٠٠].

وهذا إلى جانب ما ورد فى الصفحات ٢٠٢ ألف و ٢٠٧ ب و ٢٠٨ ألف،
ال الشريف الرضى رضى الله عنه» مما ينص على أن مؤلف الكتاب هو
ريف الرضى. وفى خاتمة الكتاب أضيفت كلمة «ذوالحسبين» إلى اسم المؤلف
نبه وكنيته.

فاذا ثبت أن مؤلف الخصائص الشريف الرضى، ثبت أنه كذلك مؤلف نهج البلاغة.

الدليل الثانى

ذكر النجاشى وغيره من المؤرخين أن الشريف الرضى له مؤلف آخر فى تفسير القرآن موسوم بـ «حقائق التنزيل» وبالأسف أن الحدثان أباده إلا مجلدا خامسا قد طبع فى النجف الأشرف [سنة ١٣٥٥ هـ، ١٩٣٧ م] فلنلاحظ ما جاء فى الصفحة ١٦٧ من هذا التفسير:

«من أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك، فلينعم النظر فى كتابنا الذى ألفناه وسمناه بنهج البلاغة وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع الانحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم. وبوبناه أبوابا ثلاثة ليشتمل على هذه الأقسام مميزة مفصلة».

ولا خفاء فى أن العبارة المذكورة لا تشير إلا إلى نهج البلاغة الذى نحن بصدده وتوكد أن مؤلفه هو صاحب حقايق التنزيل، وهو الشريف الرضى كما حققنا.

الدليل الثالث

يعد العلامة النجاشى وغيره «كتاب مجازات الآثار النبوية» من مؤلفات الشريف الرضى، ونجد فى نسخته المطبوعة ما نصه:

« يبين ذلك قول أمير المؤمنين على عليه السلام فى كلام له «تخففوا تلحقوا». وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة الذى أوردنا فيه مختار جميع كلامه» [ص ٢٢].

وفى الصفحة ٤١ من نفس الكتاب:

« ومثل ذلك قول أمير المؤمنين على عليه السلام من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة ....
رقد ذكرنا ذلك فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة ».

سير المؤلف فى العبارة المذكورة إلى الحكم والأمثال التى أوردها فى نهج
:. وبما أنه لا خلاف فى أن مؤلف المجازات هو الشريف الرضى، يثبت
ج البلاغة كذلك تأليفه، ويليق بنا أن نذكر أن المؤلف يشير فى نهج
ة أيضا إلى كتابه « المجازات ». حيث يقول « وقد تكلمنا على هذه الاستعارة
ابنا الموسوم « بمجازات الآثار النبوية » [ج ٣ ص ٢٦٣].

يريد المؤلف من الاستعارة المشار إليها قول أمير المؤمنين « العين وكاء السه »
فى كتابه « مجازات الآثار النبوية » [ص ١٨٧] وفوق ذلك كله نجد بين
يها فى هذا المحل من تماثل وتقارب مما لا يدعنا نتخيل أن الكتابين
ن لا لمؤلف واحد.

لا يخيل إلى أحد أن الاشارة الواردة فى مجازات الآثار إلى نهج البلاغة
على أن المؤلف قد جمع نهج البلاغة قبل تأليفه « المجازات »، وإلا فكيف
كر السابق فى المسبوق، وذلك أن المؤلف قال فى ختام « نهج البلاغة »
٣ ص ٢٦٧] :

« وتقرر العزم كما شرطنا أولا على تفضيل أوراق من البياض فى آخر كل باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عسى أن يظهر لنا بعد الغموض، ويقع إلينا بعد الشذوذ ».

لا نجد نسخة من نسخ نهج البلاغة الشائعة، مطبوعة ومخطوطة، تشير إلى
ذه الاشارة إلى مجازات الآثار من العبارات التى أضافها المؤلف فى ما بعد،

ألبهم إلا نسخة خطية توجد فى مكتبة رامبور كتبها عبد الجبار كاتب الخصائص، فنجد فى خاتمة هذه النسخة بأنها منسوخة من نسخة السيد ضياء الدين تاج الاسلام أبى الرضا فضل الله بن على بن عبيد الله الحسينى. فى ١٩ من جمادى الأول ٥٥٣ هـ [١٨ يونيو ١١٨٥] وأن الكاتب لازم السيد ضياء الدين مدة نسخ الكتاب. وأن الكاتب قرأ الكتاب مع زميل له على تاج الاسلام سنة ٥٥٤ هـ.

وفى ختام المتن من هذه النسخة: «زيادة من نسخة كتبت على عهد المصنف رحمة الله عليه وسلامه» [١٦٩ الف]. فالظاهر أن كل مندرج فى ذيل هذا العنوان مما أضيف إلى الكتاب فيما بعد. ونجد الاشارة المذكورة إلى مجازات الآثار فى ذيل هذا العنوان.

الدليل الرابع

نجد فى بعض نسخ نهج البلاغة أن الشرح يبدأ باسم الرضى. وأهم هذه النسخ ما صححها محمد محي الدين عبد الحميد الأستاذ بجامع الأزهر ونشرها تحت عنايته، من مطبعة الاستقامة بالقاهرة. وراجع المصحح ثمانى نسخ، إحداها مذيلة بشرح ابن أبى الحديد وأخرى بشرح ابن ميثم. وكان الأستاذ يراجع إلى نسخة ثمينة أخرى من شرح ابن ميثم، ونشر كتاب نهج البلاغة بعد هذه الدراسة العميقة. ونجد فى هذه النسخة المطبوعة تارة بعد تارة: «قال الرضى أو قال الرضى أبو الحسن»[١] ولا نكاد نظن أن المصحح هو الذى أضاف هذه الجمل إلى المتن إلا إذا وجدها فى بعض النسخ الموجودة أمامه عند المراجعة، ولا سيما نجد جميع النسخ خالية من ذكر المرتضى، فلو كان هو المؤلف فما هو الداعى لذكر الرضى. ويؤيده ما ورد فى نسختنا بمناسبة قول أمير المؤمنين حين

١ — ايراجع ٢/٢١٢، ٢٢٨، و ٣/٣٦، ٧٧، ١٤٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٧٠، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٣ إلى ٢٦٧.

نصحه جابرا رضى الله عنه: «فمن قام لله فيها بما يجب، عرضها الله للدوام والبقاء، ومن لم يقم لله فيها بما يجب، عرضها للزوال والفناء» [ج ٣ ص ٢٤٣] ففى حاشية نسختنا [١٦٥ الف، السطر ٨] «فى نسخة الرضى، فان أقام بما يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها وإن ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها».

وهذا يدلنا على أن الكاتب أو المصحح تمكن من قراءة نسخة كانت لموكة للشريف أو بيده نفسه. وهذا كذلك يقرر أن الكتاب من تأليف لشريف الرضى.

الدليل الخامس

يبلغ عدد شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية ما ينيف على أربعين[١]. أجمع الشراح الذين تلى أسماءهم، على أن الكتاب من تأليف الرضى.

- شرح نهج البلاغة للسيد على بن ناصر العلوى الموسوم بـ «إعلام نهج البلاغة»، وكما يظهر من المراجعة إلى كشف الحجب، كان الشارح من معاصرى[٢] مؤلف نهج البلاغة. وتوجد لهذا الشرح نسخة فى مكتبة رامبور. ويقول الشارح فى الورق ١٩ ب يشرح كلمة ملطاط: «قال السيد الأجل الرضى رضى الله عنه، يعنى بالملطاط السمت الذى أمرهم بلزومه». ونجد نفس هذا الشرح فى نهج البلاغة [ج ١ ص ٩٤] مما يدل على أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضى لا غير.

---

١ راجع فهرست كتاب خانه عمومى معارف، تهران، لمؤلفه عبدالعزيز جواهر كلام ١٤١.

٢ هذا إلا أنى لست موقنا بذلك فان النسخة الموجودة فى مكتبتنا من هذا الشرح تحمل بعض العبارات مثل «قال بعض الشارحين» مما يدل على أنه ليس بأول شرح على نهج البلاغة، وإنما شرحه عدة شراح قبل المؤلف، وإلى جانب ذلك، لا يؤيد الأسلوب إسنادها إلى كتاب القرن الخامس، فلعل مؤلفه كان أحد المتاخرين الذى سمى كتابه «إعلام نهج البلاغة»، أو أضاف أحد الكتاب خطبة «إعلام نهج البلاغة» الأول إلى شرح آخر ليزيد الكتاب رتبة وثمنا، وهذا ما يحدث أحيانا فى الكتب الخطية.

٢ - شرح الشيخ أبى الحسن (أو الحسن) أبى القاسم زيد بن محمد بن على البيهقى النيشابورى المعروف بـ «فريد خراسان».

وكان الشارح أفقه عصره وأبرع المتكلمين وأستاذ الابن شهرآشوب المازندرانى مؤلف مناقب آل أبى طالب [المتوفى ٥٨٨ هـ، ١١٩٢ م] وتوجد للشرح نسخة عند الشيخ محمد صالح بن الشيخ أحمد آل طعان القطيفى البحرينى، تدل على أن الشارح قرأ نهج البلاغة سنة ٥١٦ هـ [١١٢٢م] على حسين بن يعقوب، وقرأ يعقوب على الشيخ جعفر. وقرأ الشيخ جعفر على الشيخ الرضى نفسه واستجازه. فهذا السند الآخر يدل على أن المؤلف هو الشريف الرضى.

٣ - شرح ابن أبى الحديد المعتزلى [المتوفى ٦٥٥ هـ، ١٢٥٧ م].

طبع هذا الشرح الممتع فى إيران ومصر، ونسب الشارح المتن فى خطبة الشرح إلى الشريف الرضى وفصل الكلام على حياته، كما ذكر غير مرة اسم الرضى.

٤ - شرح ابن ميثم البحرانى [المتوفى ٦٧٩ هـ، ١٢٨٠ م].

طبع هذا الشرح الآخر فى إيران، ويرى الشارح أن نهج البلاغة تأليف الشريف الرضى ويوجد غير هذه الشروح ما تلى أسمائها، والغالب أنهم كذلك قرروا بأن المؤلف هو الشريف الرضى. وإلا فلذكره عبد العزيز جواهر الكلام فى فهرسته.

١ - شرح قطب الدين أبى الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندى [المتوفى ٥٧٣ هـ، ١١٧٧ م] المعروف بـ «منهاج البراعة».

ذكره صاحبا روضات الجنات [٣٠١] وكشف الحجب [٣٦٥] وتوجد منه

سخة فى المكتبة الحكومية بطهران.

شرح النفائس المؤلف ٧٥٩ هـ [١٣٥٨ م] ولم يعرف اسم المؤلف، لكنه وجد له نسخة فى مكتبة رضوى.

شرح كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقى الحلى المؤلف سنة ٧٧٠ هـ [١٣٦٨ م] ومنه نسخة فى خزانة أمير المؤمنين بالنجف الأشرف.

مختصر القول إن هذه الدلائل قاطعة على كون الكتاب تأليف الشريف الرضى لا تأليف الشريف المرتضى أخيه الأكبر. فمن نسبه إلى الشريف المرتضى من عهد العلامة ابن خلكان إلى زمن الأستاذ بروكلمان الألمانوى فلعدم لبحث الصحيح المحقق[1]، وإلا فكيف والدلائل باهرة جلية على كونه عمل لشريف الرضى لا أخيه الكبير المرتضى.

مآخذ نهج البلاغة

وندرس الآن محتويات نهج البلاغة من خطب وحكم، ما هى مكانتها وهل انتسابها إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وإذا كانت لة فمن الذى نحله، هل الشريف الرضى جامع الكتاب وضعها أم الفصحاء نون من الشيعة أو من غيرهم؟ وذهب ابن خلكان ومن اتبعه إلى أنها نتاج ى نفسه. ويليق بنا قبل أن نمحص هذه الدعاوى، أن ننظر فى المتن نفسه، نجد فيها ما يساعدنا على نيل المقصود، فنتعرف بعد دراسة على عدة مراجعات. الخطبة ٣١ كما يلى:

[1] كتب الأستاذ فانديك الامريكانى فى اكتفاء القنوع (١٨١) الرازى بدل الرضى. ونسب الكتاب إلى لسيد المرتضى. الأستاذ جورجى زيدان فى تاريخ الآداب العربية (٢/٢٨٨) والأستاذ بروكلمان الألمانوى فى تاريخه للآداب العربية (١/٤٠٤) وتتمته (١/٧٠٤) وإن ذلك المتاخر نسبه إلى الرضى أيضاً فى التتمة (١/١٣١).

«أيها الناس! إنا قد أصبحنا فى دهر عنود، وزمن كنود، يعد فيه المحسن مسيئا، ويزداد الظالم عتوا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا» [ج ١ ص ٧٣].

وقال الجامع بعد هذه الخطبة:

«هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهى من كلام أمير المؤمنين ع الذى لا شك فيه. وأين الذهب من الرغام والعذب من الأجاج؟ وقد دل على ذلك الدليل الخريت، ونقده الناقد البصير، عمرو بن بحر الجاحظ، فانه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم قال: «هى بكلام على عليه السلام أشبه، وبمذهبه فى تصنيف الناس، وبالاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف أليق».

قال: «ومتى وجدنا معاوية فى حال من الأحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد»؟ [ج ١ ص ٧٦]

والخطبة موجودة فى البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧٢] مع نقد الجاحظ كما أشار إليه جامع نهج البلاغة[١]. والجاحظ شخصية شهيرة فى الأدب العربى، واسمه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلى، وتوفى فى شهر محرم ٢٥٥ هـ[٢] [٨٦٨ م].

٢ ـ وقال الجامع عند بداية الخطبة ٢٢٦:

«ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل». ثم نقل الخطبة كما يلى:

«فصدع بما أمر به، وبلغ رسالات ربه، فلم الله به الصدع ورتق به

---

١ — ليراجع أيضا منتخبات البيان والتبيين للثعالبى (ص ١٠١).

٢ — تاريخ بغداد ٢٢٠/١٢ والكامل لابن الأثير ٧٧/٧ واليافعى ١٦٢/٢، وفى شذرات الذهب ١٢١/٢ أنه توفى سنه ٢٥٠ هـ.

تق، وألف به الشمل بين ذوى الأرحام بعد العداوة الواغرة فى
صدور، والضغائن القادحة فى القلوب». [ج ٢ ص ٢٥٣]

ل الجامع من كتاب الواقدى نفسه الكتاب ٧٥. وهى ما كتبها أمير
منين إلى معاوية فى أول بابويع له:

أما بعد، فقد علمت إعذارى فيكم، وإعراضى عنكم. حتى كان ما لا
. منه ولا دفع له.

الحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل،
ايع من قبلك وأقبل إلى فى وفد من أصحابك». [ج ٣ ص ١٤٩]

راقدى هو أبو عبدالله محمد بن عمر واقد الأسلمى المدنى، وتوفى فى
جة ٢٠٧ هـ [٨٢٣م][1] وقال ابن النديم فى الفهرست ١٤٤ إن من مؤلفاته
الجمل». وهذا الكتاب ربما عفى عليه الدهر، إلا أن نسخا منها كانت
فى عصر ابن النديم الذى عاصر جامع نهج البلاغة.

أ كتاب أمير المؤمنين إلى طلحة وزبير رضى الله عنهما:

أما بعد فقد علمتما، وإن كتمتما، أنى لم أرد الناس، حتى أرادونى،
لم أبايعهم حتى بايعونى». [ج ٣ ص ١٢٢]

ل الجامع إن هذا الكتاب «ذكره أبو جعفر الاسكافى فى كتاب المقامات
ب أمير المؤمنين». وكان الاسكافى من المعتزلة وأحد سكان حارة
ـت بغداد، وكان إمام المعتزلة وموسس الفرقة الاسكافية. قال ابن أبى
عن قاضى القضاة أنه فى الطبقة السادسة من طبقات المعتزلين. وعاصر
فى الجاحظ، ورد على كتابه العثمانية. وكان معتزلو بغداد يفضلون عليا رضى

---

[1] رات الذهب ١٨/٢ .

الله عنه على الصحابة أجمعين، وكان الاسكافى أحدهم، وتوفى فى ٢٤٠هـ [٨٥٤م]، كما قال السمعانى فى كتاب الأنساب [٣٥ الف] وابن أبى الحديد فى الشرح [ج ٢ ص ٣٣٢]. ولم يذكر ابن النديم وصاحب كشف الظنون كتابه هذا، مما يدل على أن الكتاب لم يتداول بين العلماء.

٥ ـ ونقل الجامع حلفا له رضى الله عنه كتبه بين ربيعة واليمن، وبما أن النص يحمل مكانة سامية، ننقله هنا:

« هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها. وربيعة حاضرها وباديها، أنهم على كتاب الله، يدعون إليه ويأمرون به، ويجيبون من دعا إليه وأمر به. لا يشترون به ثمنا، ولا يرضون به بدلا. وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه، أنصار بعضهم لبعض، دعوتهم واحدة، لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوماً [ولا لمسبة قوم قوماً].

على ذلك شاهدهم وغائبهم وسفيهم وعالمهم، وحليمهم، وجاهلهم، ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه، إن عهد الله كان مسؤولا، وكتب على بن أبى طالب رضى الله عنه ». [ج ٣ ص ١٤٨]

قال الجامع إنه « نقل من خط هشام ابن الكلبى ».

والكلبى هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ [٨١٩ م]. وألف ما ينيف على مائة وخمسين كتابا ذكر منها ابن النديم ١٤٤[1]، وأما الكتاب الذى نقل منه الجامع هذا العهد فلا ندرى ولا يخفى ما فى البحث عنه من صعوبة، ربما وجده الجامع فى كتاب الكلبى المسمى بـ « الحلف » الذى

---

١ — الفهرست ١٤٠. وفيه أن عام وفاته ٢٠٦ هـ، ولسان الميزان ١٩٦/٦ والشذرات ١١٣/٢، والكامل لابن الأثير ١٣٣/٥ وفيه أن بعضهم يقول إنه توفى عام ٢٠٦ هـ.

نسخة منه إلى الجامع مكتوبة بيد المؤلف.

أ كتاب أمير المؤمنين إلى أبى موسى الأشعرى:

فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم، فمالوا مع

.نيا ونطقوا بالهوى». [ج ٣ ص ١٥٠]

ـ الجامع إنه أخذ هذا الكتاب من كتاب المغازى لسعيد بن يحيى

. وذكر صاحب كشف الظنون هذا الكتاب. مما يدل على أن نسخا

زالت موجودة إلى القرن الحادى عشر من الهجرة. وسعيد هو أبو عثمان

ـ يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن الأحيحة القرشى الأموى

ى، وتوفى ٢٤٩ ه [٨٦٣ م][1].

ـع الجامع فصلا خاصا ذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه المحتاج إلى

سير، وكتب فيه تسع جمل منقولة عن أمير المؤمنين وشرح الكلمات

ية الواردة فيها. فقال فى شرح الجملة الرابعة «هذا معنى ما ذكره أبو عبيد

ناسم بن سلام)». [ج ٣ ص ٢١٢]

ـن أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى البغدادى المتوفى ٢٢٤ ه [٨٣٨ م]

لنـاس فقها وأدبا، وأكثرهم إلماما بالحديث والشعر. ولم يذكر الجامع

ـخ بغداد ٩/٩٠. تهذيب التهذيب ٩٧/٤ وجاء فى الكشف ٢ العمود ١٧٤٧ أبو محمد يحيى بن سعيد بن
الأموى الكوفى الحنفى المتوفى ١٩١ بينما جاء فى العمود ١٤٦٠ أن يحيى بن سعيد ابن فروخ التميمى
ن البصرى المتوفى ١٩٤ ه هو المؤلف. وهذا ما لا خفاء فى بطلانه، اللهم إلا أن يكون مؤلف
ب المغازى هو يحيى بن سعيد أبو سعيد، إذ ورد فى تاريخ بغداد ١٣٢/١٤، والشذرات ٣٤١/١ أنه
ـ كتاب المغازى لابن إسحق، ما يدل على أنه كان مولعا بالمغازى والسير. وأخطأ صاحب الكشف
لك فى قوله بأن يحيى القطان توفى ١٩٤ (٨٠٩ م)، وذلك أنه توفى سنة ١٩٨ (٨١٣ م) كما فى تاريخ
. ١٤٣/١٤، وتهذيب التهذيب ٢١٩/١١، والخطأ الثالث الذى ارتكبها صاحب الكشف قوله أن يحيى
ـعيد هو أبو محمد، مع أن كنيته أبو أيوب، وقال إنه توفى سنة ١٩١ مع أنه توفى فى شوال سنة
كما جاء فى تاريخ بغداد ١٣٥/١٤ والتهذيب ٢١٤/١١.

اسم الكتاب الذى أشار إليه بقوله، لكنى عرفت بعد دراسة طويلة أن هذه الجمل منقولة من كتاب أبى عبيد فى «غريب الحديث». فنجد جميع هذه الأقوال على الورق ١٩٧ ألف و٢٠٣ ب من نسخة الكتاب الموجودة فى مكتبة رامبور التى يدور تاريخ كتابتها حول القرن الثامن الهجرى.

٨ - قال أمير المؤمنين:

«إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه. فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ» الخ. [ج ٣ ص ٢٤٣]

وقال الجامع إنه منقول من الطبرى. وهو كما لا يخفى مؤرخ إسلامى شهير اسمه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وتوفى ٣١٠ ﻫ [٩٢٣ م]. ورأيت هذا القول فى كتابه تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى. [ج ٨ ص ٢١]

٩ - وقال الجامع فى قوله رضى الله عنه أخبر تقله:

«ومن الناس من يروى هذا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ومما يؤكد أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال المامون: لولا أن علياً قال «أخبر تقله» لقلت «أقله تخبر». [ج ٣ ص ٢٠٢]

والثعلب عالم بالنحو واللغة مشهور توفى ٢٩١ ﻫ [٩٠٤ م]. وأما ابن الأعرابى فهو إمام العلوم الأدبية وتوفى ٢٣٠ ﻫ [٨٤٤ م]، وتوفى المامون خليفة بغداد ٢١٨ ﻫ [٨٣٣ م].

ولم أعثر على قول الثعلب المشار إليه فى أى كتاب، أللهم إلا ما كتب أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى بعد ٣٩٥ ﻫ [١٠٠٥ م] فى جمهرة الأمثال فانه قال [٢٦]:

«المثل لأبى الدرداء رضى الله عنه. فيما زعم بعضهم. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أيضا».

وقال أبو عبيد أحمد بن محمد الهروى المتوفى ٤٠١ هـ [١٠١٠ م] فى كتاب الغريبين:

«ومنه حديث أبى الدرداء. وجدت الناس أخبر تقله. أى من جربهم رماهم بالمقت لخبث سرائرهم وقلة إنصافهم وفرط استئثارهم، ولفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر» (كتاب الغريبين الورق ٢٣٦ ألف نسخة رامبور).

ـ وهكذا قول أمير المؤمنين «العين وكاء السه» فشائع بين الناس أنه حديث منطوق بالنبى عليه السلام إلا أن بعض الرواة نسبوه إلى على المرتضى رضى الله، وذكر ذلك المبرد فى كتابه المقتضب فى باب اللفظ بالحروف [ج ٣ ص ٢٦٣].

والمبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى النحوى المتوفى ٢٨٥ هـ [٨٩٨ م] يوجد كتابه المقتضب إلا أن ابن النديم ذكره فى الفهرست [٨٨] والحاج ...ة فى كشف الظنون [ج ٢ ص ١٧٩٣].

وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى [المتوفى سنه ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م] ...كتابه تاويل مختلف الحديث (٦٥) أنه من أقوال النبىّ كما كتبه أبو عبيد بن محمد الهروى المتوفى ٤٠١ هـ [١٠١٠ م] فى كتاب الغريبين ونصه:

«وفى الحديث العين وكاء السه. قال أبو عبيد وهو حلقة الدبر» [الورق ١٣٤ ب].

...أبو عبيد هذا هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى البغدادى المتقدم ذكره. ... القول المذكور فى كتابه غريب الحديث ضمن أحاديث النبى عليه السلام ...ق ١٣٨ ب نسخة رامبور].

المآخذ الأخرى

وليس بخاف على أبناء العلم والمولعين به أن معظم محتويات نهج البلاغة توجد في كتب المتقدمين، ولو لم يذكرها الشريف الرضى. ولو لم يعر بغداد ما عراها من الدمار على يد التتر. ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التى أحرقها الجهلاء لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة فى نهج البلاغة. وكان كثير من مآخذ الكتاب موجودا عند ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة، فنقل العبارات منها فى شرحه. وهكذا نعرف نبذا من مآخذ الكتاب. وإليكم بعض الاشارات والمراجع.

١ ـ إن أكثر الخطب عرضة للنقد والايراد فى نهج البلاغة هى الخطبة المعروفة الشقشقية، ذكر فيها أمير المؤمنين تاريخ الخلافة، وشكا بأن أولى الأمر أعرضوا عنه مع أنه أحق الناس بالخلافة، لكنه اصطبر على هذا العدوان حتى أصر عليه الناس مرة رابعة بأن يتحمل أعباء الخلافة، بيد أنه خالفه بعض الناس بعد البيعة ونشبت الحرب بين المسلمين. فلو لم يكن أنصاره، ولو لم يأمر الله بنصرة الظالم والمظلوم لطوى كشحه عن الخلافة. وتبدأ هذه الخطبة بكلمات تالية:

«أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير.» [ج ١ ص ٢٥]

وروى هذه الخطبة عدة العلماء فى كتبهم منهم[١]:

١ ـ أبو جعفر أحمد بن خالد البرقى الشيعى المتوفى ٢٧٤ هـ [٨٨٧ م] فى كتاب المحاسن والآداب.

٢ ـ إبراهيم بن محمد الثقفى الكوفى المتوفى ٢٨٣ هـ [٨٩٦ م] فى كتاب الغارات.

---

١ — ١ — ٤، ابن أبى الحديد ١/٤٠.

٣ ـ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى البصرى المعتزلى المتوفى ٣٠٣ هـ [٩١٥ - ١٦ م].

٤ ـ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى المعتزلى المتوفى ٣١٩ هـ [٩٣١ م] فى كتاب الانصاف.

٥ ـ أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازى المتكلم الشيعى تلميذ أبى القاسم البلخى فى كتابه.

٦ ـ أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى الشيعى الشهير بالشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١ هـ [٨٩٤ م]. فى كتاب علل الشرائع [٦٨] ومعانى الأخبار [ج ١ ص ١٣٢].

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن النعمان الشيعى المعروف بالشيخ المفيد المتوفى ٤١٣ هـ [١٠٢٢ م] فى كتاب الارشاد [١٦٦].

٨ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى ٤٦٠ هـ [١٠٦٨ م] فى كتاب الأمالى [٢٣٧].

روى هؤلاء الشيوخ هذه الخطبة بأسانيدهم الخاصة.

رواها الشيخ الصدوق فى كتابيه بسندين تاليين:

١ ـ «حدثنا محمد بن على ماجيلويه، عن عمه محمد بن القاسم، عن أحمد بن أبى عبد الله البرقى، عن أبيه، عن ابن أبى عمير عن إبان بن عثمان عن إبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه» [علل الشرائع ومعانى الأخبار].

ـ «حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحق الطالقانى، ثنا عبد العزيز بن يحيى

الجلودى، ثنا أبو عبد الله أحمد بن عمار بن خالد، ثنى يحيى بن عبد الحميد الحمانى، ثنى عيسى بن راشد، عن على بن خزيمة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم». [معانى الأخبار]

٣ ـ الخطبة الثالثة :

«بنا اهتديتم فى الظلماء، وتسنمتم العلياء. وبنا انفجرتم عن السرار» الخ. [ج ١ ص ٣٣] أوردها الشيخ المفيد فى الارشاد» [١٤٧].

٤ ـ الخطبة الرابعة :

«أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة» الخ [ج ١ ص ٣٥].

نقل إبراهيم بن محمد البيهقى من هذه الخطبة فى كتاب المحاسن والمساوى [ج ٢ ص ١٣٩] ما يليه :

«وإن أسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات بعد اللتيا والتى، والله لابن أبيطالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه».

٥ ـ الخطبة الخامسة :

«والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم، حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها» [ج ١ ص ٣٦].

والجملة قد وردت فى غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى البغدادى [١٩٦ ألف] بتغير يسير، ونصها «والله لا أكون مثل الضبع، تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد».

ورواها الطبرى فى تاريخه [ج ٥ ص ١٧١] وشيخ الطائفة فى الأمالى [٣٣] بتفاصيلها ولكن بتغير فى الألفاظ.

٦ ـ الخطبة التاسعة:

« ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وإن معى لبصيرتى » الخ [ج ١ ص ٣٨].

نقلها الشيخ المفيد فى الارشاد [١٤٦] والخطبة نفسها ذكرت تحت رقمى ٢١ و ١٢٣، ولكن بتغير غير قليل فى اللفظ والمعنى.

٧ ـ الكلام الحادى عشر من نهج البلاغة:

« فقال له عليه السلام — أهوى أخيك معنا؟ فقال: نعم — قال: فقد شهدنا ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام فى أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الايمان » [ج ١ ص ٣٩].

وأورده البرقى فى كتاب المحاسن والآداب [الورق ١٠٥ الف] بكلمات مختلفة فى اللفظ متقاربة فى المعنى.

٨ ـ والكلام الثانى عشر فى ذم أهل البصرة:

« كنتم جند المرأة، وأتباع البهيمة، رغا، فأجبتم وعقر فهربتم. أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق » الخ [ج ١ ص ٤٠].

رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ١ ص ٢١٦] وأبو عمر وأحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى المتوفى ٣٢٨ هـ [٩٤٠] فى العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٩، ٢٨٢] وأبو على الحسن بن محمد بن الحسن الطوسى الشهير بابن شيخ الطائفة فى أماليه [٧٨] والشيخ المفيد فى كتاب الجمل [٢٠٣ و ٢١٠].

والكلام الرابع عشر:

« والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان

في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق» [ج ١ ص ٤٢].

رواه أبو بلال الحسن بن عبد الله بن العسكري المتوفى بعد ٣٩٥ هـ [١٠٠٥ م] في كتاب الأوائل [١٠٢ ب] ضمن خطبة طويلة. وقال ابن أبي الحديد في الشرح [ج ١ ص ٥٠]: «وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه».

٩ ـ الكلام الخامس عشر:

«ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم. إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات — ألا وإن بليتكم قد عادت كهيأتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم» الخ [ج ١ ص ٤٢].

وروى الجاحظ بعض هذا الكلام في البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧٠]، وابن قتيبة في عيون الأخبار [ج ٢ ص ٢٣٦] وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٢] والعسكري في الأوائل [١٠٢ ألف]. وروى أكثره أوكله أبو جعفر ومحمد بن يعقوب الكليني المتوفى ٣٢٨ [٩٤٠ م] في أصول الكافي [٩٧] وكتاب الروضة من فروع الكافي [ج ٣ ص ٣٢]، والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٥ و ١٤٠] وشيخ الطائفة في الأمالي [١٤٧].

١٠ ـ الكلام السادس عشر:

«إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به

فى حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته» الخ [ج ١ ص ٤٧].

روى ابن قتيبة هذه الخطبة فى غريب الحديث له [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٥٢]، كما رواها الكلينى فى أصول الكافى [١٣] والشيخ المفيد فى الارشاد [١٣٥].

١١ ـ الكلام الثامن عشر، قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب — فمضى فى بعض كلامه شىء اعترضه الأشعث، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك. فخفض عليه السلام إليه بصره، ثم قال:

«ما يدريك ما على مما لى؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين» الخ. [ج ١ ص ٥١].

روى هذا الخطاب أبو الفرج على بن الحسين القرشى الاصبهانى المتوفى ٣٥٦ﻫ [٩٦٧ م] فى كتاب الأغانى [ج ١٨ ص ١٥٩].

١٢ ـ الخطبة العشرين وهى جزء من الخطبة ١٦٢:

«فان الغاية أمامكم، وإن وراءكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فانما تنتظر بأولكم آخركم» [ج ١ ص ٥٤ و ج ٢ ص ٩٧].

رواها الطبرى فى تاريخه [ج ٥ ص ١٥٧].

١٣ ـ الخطبة الحادية والعشرون:

«ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه» [ج ١ ص ٥٥].

رواها الشيخ المفيد فى الارشاد (١٤٦)، وشيخ الطائفة فى الأمالى (١٠٦) وكتاب الجمل (١٢٩).

4

١٤ ـ الخطبة الثانية والعشرون :

« أما بعد فان الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر » ، إلى أن قال رضى الله عنه « كان كالفالج الياسر » .

روى أبو عبيد هذه الجملة فى غريب الحديث (الورق ٢٠١ ب) وروى نصر ابن مزاحم الكوفى المتوفى ٢١٢ ﻫ (٨٢٧ م) فى كتاب الصفين (٧) قوله « فاحذروا من الله » إلى قوله « لمن عمل له » .

١٥ ـ الخطبة الرابعة والعشرون :

« أنبئت بسرا قد اطلع اليمن . وإنى والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم » الخ [ج ١ ص ٦٠] .

رواها أبو الحسن على بن الحسين المسعودى المتوفى ٣٤٦ ﻫ [٩٥٧ م] باختلاف يسير فى مروج الذهب [ج ٢ ص ١١٢] . وروى منها الشيخ المفيد فى الارشاد (١٦٣) :

« أللهم إنى قد مللتهم » إلى قوله « الملح فى الماء » .

١٦ ـ الخطبة الخامسة والعشرون :

« إن الله بعث محمداً نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شر دين وفى شر دار » الخ [ج ١ ص ٦٢] .

روى ابن قتيبة الجزء الأول فى الامامة والسياسة (١٤٦) ورواها إبراهيم الثقفى بتفاصيلها فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٢٩٥] .

١٧ ـ الخطبة السادسة والعشرون :

« أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه

رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء» الخ [ج ١ ص ٦٣].

رواها الجاحظ بتغير يسير فى البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧٠] والمبرد فى الكامل [ج ١ ص ١٣]، وابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٢٣٦]. وابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٣]. وأبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الأغانى [ج ١٥ ص ٤٣] والشيخ الصدوق فى معانى الأخبار (ص ١١٣)، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٦٠ - ١٦٤).

١٨ ـ الخطبة السابعة والعشرون:

«أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة أشرفت باطلاع، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، والسبقة الجنة والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟» الخ [ج ١ ص ٦٦].

رواها الجاحظ فى البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧١]، وابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٢٣٥]، والثقفى فى كتاب الغارات [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٦]، وابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٣]، وأبو محمد الحسن بن على بن شعبة الحرانى المتوفى ٤٣٢ (٩٤٣ م) فى تحف العقول (٣٥)، والقاضى أبوبكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ (١٠١٢ - ١٣ م) فى إعجاز القران [المطبوع على حاشية الاتقان للسيوطى ج ١ ص ١٩٤]، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٣٨).

١٩ ـ الخطبة الثامنة والعشرون، يعاتب فيها أمير المومنين أتباعه فيقول:

«أيها الناس، المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهى الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون فى المجالس كيت وكيت. فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد» الخ [ج ١ ص ٦٩].

رواها الجاحظ فى البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧١]، وابن قتيبة فى الامامة

والسياسة (١٤٢)، والكليني في كتابه [ابن أبي الحديد ج ١ ص ٨٥]، وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٤]. والشيخ المفيد في الارشاد [١٥٨]. وشيخ الطائفة في الأمالي (١١٣).

٢٠ - الكلام الثلاثون. خاطب فيه أمير المؤمنين ابن عباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل:

« لا تلقين طلحة. فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه، يركب الصعب ويقول هو الذلول» الخ [ج ١ ص ٧٢].

رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار [ج ١ ص ١٩٥].

٢١ - الخطبة الواحدة والثلاثون:

« أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عنود. وزمن كنود. يعد فيه المحسن مسيئا» الخ [ج ١ ص ٧٣].

وقد ذكرناها في بداية المقال عند ذكر مصادر الكتاب. ورواها الجاحظ في البيان والتبيين [ج ١ ص ١٧٢] وابن قتيبة في عيون الأخبار [ج ٢ ص ٢٣٧]، وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٧٢]، ورواها الباقلاني في إعجاز القرآن [ج ١ ص ١٩٧] عن شعيب بن صفوان عن معاوية رضى الله عنه.

٢٢ - الخطبة الثانية والثلثون. وهي التي أوردها الجامع في محل آخر برواية مختلفة (الخطبة ١٠٠):

« إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله، وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعى نبوة. فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم». الخ [ج ١ ص ٧٧]

رواها الشيخ المفيد فى الارشاد (ص ١٤٤).

٢٣ ـ الخطبة الثالثة والثلاثون فى استنفار الناس إلى أهل الشام:

«أف لكم! لقد سئمت عتابكم، أ رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا؟ وبالذل من العز خلفاً؟ الخ [ج ١ ص ٧٨]

رواها الطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٥١] باختلاف بسيط.

٢٤ ـ الخطبة الرابعة والثلاثون، وهى الأخرى فى معاتبته أتباعه:

«الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح....

أما بعد فان معصية الناصح المشفق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة». الخ [ج ١ ص ٨٠]

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين [ابن أبى الحديد ج ١ ص ١١٠]، كما رواها ابن قتيبة فى الامامة والسياسة (١٣٥)، والطبرى فى تاريخه (ج ٦ ص ٤٣)، وأبو الفرج الاصبهانى فى الأغانى [ج ٩ ص ٥] ولو لم يروها الأخير بكلماته إلا أنه أشار إلى الشعر الأخير.

٢٥ ـ الخطبة الخامسة والثلاثون فى تخويف أهل النهروان:

«فأنا نذيركم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم». الخ [ج ١ ص ٨٢]

رواها ابن قتيبة فى الامامة والسياسة (١٤٠)، والطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٤٧] إلا مستهلها، وقال ابن أبى الحديد [ج ١ ص ١١٤]:

«وروى محمد بن حبيب البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥ (٨٥٩م) قال خطب على رضى الله عنه الخوارج يوم النهر».

٢٦ ـ الخطبة السادسة والثلاثون، وهى التى تبدأ بقوله رضى الله عنه «فقمت بالأمر» وتنتهى بقوله رضى الله عنه:

«فنظرت فى أمرى فاذا طاعتى قد سبقت بيعتى» [ج ١ ص ٨٥].

روى البيهقى هذه الجملة الأخيرة من الخطبة فى كتاب المحاسن [ج ١ ص ٣٧].

٢٧ ـ الخطبة الثامنة والثلاثون. وهى كذلك فى لومه رضى الله عنه أتباعه:

«منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبالكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم، ولا حمية تحمشكم، أقوم فيكم مستصرخا، وأناديكم متغوثا فلا تسمعون لى قولا، ولا تطيعون لى أمرا». الخ [ج ١ ص ٨٦].

رواها الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد ج ١ ص ١١٨].

٢٨ ـ الكلام التاسع والثلاثون، ردا على قول الخوارج لا حكم إلا لله:

«كلمة حق يراد بها الباطل» [ج ١ ص ٨٧].

روى المبرد القول المذكور فى الكامل [ج ٢ ص ١٣١] باختلاف الألفاظ

٢٩ ـ الخطبة الواحدة والأربعون:

«أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى، وطول الأمل. فاما أتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة». الخ [ج١ ص ٨٨].

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٤)، وأبو جعفر البرقى فى كتاب المحاسن (الورق ٨١ ب)، وابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٣٥٣] والكلينى فى فروع الكافى [ج ٣ ص ٢٩]، والحرانى فى تحف العقول (٣٥، ٤٧).

والشيخ المفيد فى الارشاد (١٣٨)، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ (١٠٣٨م) فى حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٦]، وشيخ الطائفة فى الأمالى (٧٣، ١٤٥) منسوبة إلى أمير المومنين. وعزاها أبو على اسمعيل بن القاسم القالى المتوفى ٣٥٦ ﻫ (٩٦٧ م) فى أماليه [ج ١ ص ١٨] إلى عتبة بن غزوان. ورواها الوزير أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى المتوفى ٤٨٧ ﻫ (١٠٩٤م) فى سمط اللآلى [ج ١ ص ٧٧] عن عتبة بن غزوان عن النبى عليه السلام وأوعزها إلى كتاب الحكم والأمثال لأبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى المتوفى ٤٨٢ (٩٩٢ م).

٣٠ ـ الكلام الخامس والأربعون، قاله عند عزمه على المسير إلى الشام:

« أللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر فى الأهل والمال، أللهم أنت الصاحب فى السفر، وأنت الخليفة فى الأهل، ولا يجمعها غيرك. لأن المستخلف لا يكون مستصحبا، والمستصحب لا يكون مستخلفا». [ج ١ ص ٩٢].

ولا يخفى على أهل العلم أن كلمات الدعاء إلى قوله «الأهل» مما نطق بها النبى عليه السلام. ورواها أبو عبيد فى غريب الحديث (الورق ٣٨ ب) فى ضمن الأحاديث المرفوعة كما روى ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٧١ و ٢٨٨) الكلام كله.

٣١ ـ الخطبة السابعة والأربعون، عند المسير إلى الشام:

«الحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق».

الخ [ج ١ ص ٩٣].

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٧٠ و ٧٢) كما رواها كتاب

السيرة الآخرين فى كتبهم [ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٥٩].

٣٢ - الخطبة التاسعة والاربعون :

« إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله » . الخ [ج ١ ص ٩٥]

رواها البرقى فى كتاب المحاسن والآداب (الورق ٧٩ ب و ٨٤ ألف) رواهـا الكلينى فى أصول الكافى (١٣) وكتاب الروضة من فروع الكافى [ص ٢٩] ، وعاصم بن حميد فى كتابه [بحار الانوار ج ١ ص ١٥٩ و ١٦٦]

٣٣ - الخطبة الخمسون ، قالها لما غلب أصحاب معاوية رضى الله عنه أصحابه السلام على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم الماء :

« قد استطعموكم القتال ، فأقروا على مذلة وتاخير محلة ، أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء » . الخ [ج ١ ص ٩٦] .

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٨٠

٣٤ - الخطبة الخامسة والخمسون :

« ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يريدنا ذلك إلا إيمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الألم » . الخ [ج ١ ص ١٠٠] .

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٢٨٣) ، والشيخ المفيد الارشاد (١٥٥) .

٣٥ - الخطبة السادسة والخمسون :

« أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل .... ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة منى » . الخ [ج ١ ص ١٠١] .

رواها الكلينى فى أصول الكافى (٢٠٧)، والثقفى فى كتاب الغارات باختلاف ضئيل [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٢٠٣]، وشيخ الطائفة فى الأمالى (١٣١ و ٢٣٢)، والامام أبوعبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى ٤٠٥ ﻫ (١٠١٤ م) فى المستدرك [ج ٢ ص ٣٥٨]، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٨٤).

٣٦ ـ الكلام السابع والخمسون، كلم به الخوارج:

«أصابكم حاصب، ولا بقى منكم آثر، أبعد إيمانى بالله وجهادى مع رسول الله أشهد على نفسى بالكفر؟». الخ [ج ١ ص ١٠٢] روى الطبرى هذا الكلام فى تاريخه [ج ٦ ص ٤٨].

٣٧ ـ الكلام الواحد والستون، يشتمل على الجملة التالية:

«فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا، ولم يتركم سدى». [ج ١ ص ١٠٦].

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٧) ضمن خطبة طويلة.

٣٨ ـ الكلام الثالث والستون، كان يقوله رضى الله عنه لأصحابه فى بعض أيام الصفين:

«معاشر المسلمين، استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ». الخ [ج ١ ص ١١٠].

رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ١ ص ١١٠، ١٣٣] كما رواه البيهقى فى كتاب المحاسن والمساوى [ج ١ ص ٣٢].

٣٩ ـ الكلام الرابع والستون:

«فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله وصى بأن يحسن إلى محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم» الخ. [ج ١ ص ١١٢].

رواه أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي المتوفى ٤٠٠ تقريباً (١٠١٣ م) في كتاب البصائر (٥٩ ب)، والسيد المرتضى في الأمالي [ج ص ١٩٨] بتغيير يسير.

٤٠ ـ الكلام السابع والستون في سحرة اليوم الذي ضرب فيه:

«ملكتني عيني وأنا جالس. فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: «يا رسول الله» ما ذا لقيت من أمتك من الأود واللدد» الخ. [ج ١ ص ١١٤].

رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٩٨]، وأبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين (١٦)، وأبو علي القالي في كتاب ذيل الأمالي والنوادر (١٩٠

٤١ ـ الكلام التاسع والستون، علم فيها الناس الصلوة على النبي صلى الله عليه وآ

«اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك». الخ [ج ١ ص ١١٦].

رواه أبو علي القالي في كتاب ذيل الأمالي والنوادر (١٧٥).

٤١ ـ الكلام الرابع والسبعون:

«إن بني أمية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقاً، لأنفضنهم نفض اللحام لوذام التربة».

رواه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي في غريب الحديث (١٩٦ ب)، وأ الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني [ج ١١ ص ٢٩].

٤٢ ـ الكلام السادس والسبعون، وهو مع أحد المنجمين:

«أ تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء»؟

[ج ١ ص ١٢٤].

روى الشيخ الصدوق هذه المحادثة بتغير يسير فى الأمالى (المجلس ٦٤).

٤٣ ـ الخطبة السابعة والسبعون، روى الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٥٠) والشيخ المفيد فى كتاب الاختصاص [بحار الأنوار ج ١٧ ص ٢٥] منها:
«فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر». [ج ١ ص ١٢٦].

٤٤ ـ الكلام الثامن والسبعون:
«أيها الناس! الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عند المحارم». الخ [ج ١ ص ١٢٦].
رواه الشيخ الصدوق باختلاف ضئيل فى معانى الأخبار (٩٢).

٤٥ ـ الكلام التاسع والسبعون، فى صفة الدنيا:
«ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، فى حلالها حساب، وفى حرامها عقاب». الخ [ج ١ ص ١٢٧].

روى الكلام كله المبرد فى الكامل [ج ١ ص ٨٨]، وأبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البصرى المتوفى ٣٢١ (٩٣٣ م) فى كتاب المجتنى (٣١)، والحرانى فى تحف العقول (٤٧)، وأبو على القالى فى كتاب الامالى [ج ٢ ص ١٢٢].

٤٦ ـ الخطبة الثمانون:
«الحمد لله الذى علا بحوله ودنا بطوله ــ أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب الأمثال، ووقت لكم الآجال». الخ [ج ١ ص ١٢٨].
روى أبو نعيم الاصفهانى أكثرها فى الحلية [ج ١ ص ٧٨]، كما روى على

بن محمد الواسطى جزءا منها فى عيون الحكم والمواعظ [بحار ج ١٧ ص ١١٢]

٤٧ - الكلام الثمانون فى ذكر عمرو بن العاص:

«عجبنا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فى دعابة وأنى امرؤ تلعابة». الخ [ج ١ ص ١٤٥].

رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ١ ص ١٦٤]، والبيهقى فى كتاب المحاسن والمساوى [ج ١ ص ٣٩]. وشيخ الطائفة فى الأمالى (٨٢).

٤٨ - الخطبة الرابعة والثمانون:

«أما بعد، فان الله لم يقصم جبارى دهرقط إلا بعد تميل ورخاء، ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل وبلاء». الخ [ج ١ ص ١٥٤]

رواها الكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ٣١]، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٦٨).

٤٩ - الخطبة الخامسة والثمانون:

«أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم». الخ [ج ١ ص ١٥٥].

رواها الكلينى فى أصول الكافى (١٥)، ويلوح من أقوال ابن أبى الحديد فى شرحه [ج ١ ص ٣٤٤] أن الخطبة رويت بروايات عديدة.

٥٠ - الخطبة السابعة والثمانون وتعرف بخطبة الأشباح، وهى من جلائل خطبه

«الحمد لله الذى لا يفره المنع والجمود، ولا يكديه الاعطاء والجود». الخ. [ج ١ ص ١٥٩].

رواها ابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٠٠]، والشيخ الصدوق فى كتاب التوحيد (٣٦).

٥١ ـ الخطبة الثامنة والثمانون، يخاطب بها القوم الذين أرادوه على البيعة بعد قتل عثمان رضى الله عنه:

«دعونى والتمسوا غيرى، فانا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان» الخ. [ج ١ ص ١٨٢].

رواها الطبرى فى تاريخه [ج ٥ ص ١٥٦]، كما رواها أبو على أحمد بن مسكويه المتوفى ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) فى تجارب الأمم [ج ١ ص ٥٠٨].

٥٢ ـ الخطبة التاسعة والثمانون:

«أما بعد! أيها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة، ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيرى» الخ. [ج ١ ص ١٨٢].

قال ابن أبى الحديد فى شرحه [ج ١ ص ٣٦٦]: «وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة وهى متداولة مستفيضة خطب بها على رضى الله عنه بعد انقضاء أمر النهروان. وفيها ألفاظ لم يوردها الرضى».

٥٣ ـ الخطبة الثالثة والتسعون، وهى خطبة طويلة ورد فيها:

«لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحدا منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا وقد باتوا سجدا وقياما: يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب». [ج ١ ص ١٩٠].

روى ابن قتيبة هذا الكلام فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٣٠١]، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٣٨) والمجالس [بحار ج ١٧ ص ٤٢٠]، كما رواه أبونعيم

فى حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٦]، والشيخ الطائفة فى الأمالى (٦٢).

٥٤ ـ الكلام التاسع والتسعون، روى ابن قتيبة منه فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٣٥٢] باختلاف يسير:

«وذلك زمن لا ينجو فيه إلا كل مؤمن». [ج ١ ص ١٩٨].

٥٥ ـ الخطبة الثانية بعد المائة:

«الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه على من غالبه فجعله أمنا لمن علقه وسلما لمن دخله» الخ. [ج ١ ص ٢٠٢].

رواها الكلينى فى أصول الكافى (١٦٧)، وشيخ الطائفة فى الأمالى (٢٣)، والحرانى فى تحف العقول (٣٨). وأبوعلى القالى فى ذيل الأمالى والنوادر (١٧٣)، وأبو نعيم الاصفهانى فى الحلية [ج ١ ص ٧٤]، والقاضى محمد بن سلامة القضاعى فى دستور معالم الحكم [١٢١].

٥٦ ـ الكلام الثالث بعد المائة:

«وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفاة الطغام وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف، وأنف المقدم والسنام الأعظم» الخ. [ج ١ ص ٢٠٥].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين [١٣٠]، والطبرى فى التاريخ [ج ٦ ص ١٤].

٥٧ ـ الخطبة السادسة بعد المائة:

«إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد فى سبيله فانه ذروة الاسلام، وكلمة الاخلاص فانها

الفطرة، وإقام الصلاة فانها الملة، وإيتاء الزكاة فانها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فانه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فانها مثراة فى المال ومنسأة فى الأجل، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فانها تقى مصارع الهوان». [ج ١ ص ٢١٥].

رواهـا البرقى فى المحاسن [الورق ١١٩ ألف]، والحرانى فى تحف العقول ٣١]، والشيخ الصدوق فى علل الشرائع [١١٤]، والشيخ المفيد فى الأمالى بحار ج ١٧ ص ١٠٥].

٥ ـ الخطبة السابعة بعد المائة:

«أما بعد فانى أحذركم الدنيا، فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلت بالآمال» الخ. [ج ١ ص ٢١٦].

رواها الجاحظ بتمامها عن قطرى بن الفجاءة فى البيان والتبيين [ج ١ ص١٩٦]، وابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ١٩٥]، كما روى ابن تيبة جزءا منها فى عيون الأخبار [ج ٢ ص٢٥٠]، وأبوالفرج القزوينى الكاتب ، قرب الاسناد [بحار ج ١٧ ص ٣٠٥]، والحرانى فى تحف العقول [٤٢] عن مير المومنين رضى الله عنه. وقال ابن أبى الحديد [ج ١ ص ٣٩٧]: «إن هذه لخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ورواها لقطرى ن الفجاءة. والناس يروونها لأمير المؤمنين رضى الله عنه. وقد رأيتها فى كتاب لموفق لأبى عبيد الله المرزبانى [المعتزلى المتوفى ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م] مروية لأمير لمؤمنين. وهى بكلام أمير المومنين أشبه».

٥٩ ـ الخطبة الثانية عشرة بعد المائة تنتهي بالكلمات التالية :

«أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيه أباوذحة». [ج ١ ص ٢٢٩] .

رواها المسعودي في مروج الذهب [ج ٢ ص ١١٢] باختلاف يسير.

٦٠ ـ الكلام السابع عشر بعد المائة، وقد قام إليه رجل من أصحابه، فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها. فلم ندر أي الأمرين أرشد. فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

«هذا جزاء من ترك العقدة، أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا، فان استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى. ولكن بمن؟ وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي. كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها» الخ. [ج ١ ص ٢٣٣] .

رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٥] . وروى شيخ الطائفة في الأمالي [١٣٥] من قوله رضي الله عنه «مره العيون من البكا.... غبرة الخاشعين». كما رواه ابن الشيخ في الأمالي [١٨] ، والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٩] والأمالي [بحار الانوار ج ١٧ ص ١٠٦] .

٦١ ـ الكلام التاسع عشر بعد المائة، وقاله لأصحابه في ساعة الحرب:

«إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب». [ج ٢ ص ٣] .

رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٨٧] ، وشيخ الطائفة في الأمالي [١٠٦ و ١٣٥] ، والشيخ المفيد في الارشاد [١٣٩ و ١٥٩] وكتاب

ل (١٧٥) بتغير فى الألفاظ.

- الكلام العشرون بعد المائة، يحث به أمير المؤمنين أصحابه على القتال:

«فقدموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس، فانه أنبى للسيوف عن الهام» الخ. [ج ٢ ص ٤].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (١٢٠)، والطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٩]، وابن مسكويه فى تجارب الأمم [ج ١ ص ٥٨٣]، وأبو حيان وحيدى فى كتاب البصائر (١٨٥ ألف)، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٥٤).

٦ - الكلام الحادى والعشرون بعد المائة، فى التحكيم:

«إنا لم نحكم الرجال، وإنما حكمنا القران، وهذا القران إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال». [ج ٢ ص ٧].

رواه الطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٣٧]. والشيخ المفيد فى الارشاد ١٥٧) مختصرا.

٦ - الكلام الثانى والعشرون بعد المائة، وقاله لما عوتب على التسوية فى العطاء:

«أتامرونى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟» الخ. [ج ٢ ص ١٠].

رواه شيخ الطائفة فى الأمالى (١٢١).

٦٤ - الكلام السادس والعشرون بعد المائة يخاطب فيه أمير المومنين أباذر الغفارى رضى الله عنه لما خرج إلى الربذة:

«يا أباذر إنك غضبت الله، فارج من غضبت له، إن القوم خافوك

على دنياهم وخفتهم على دينك ». الخ [ج ٢ ص ١٧].

رواه أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى كتاب السقيفة مفصلا، ابن أبى الحديد [ج ١ ص ٤٥٦]، والكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ٩٨] مختصرا.

٦٦ ـ الكلام الثانى والثلاثون بعد المائة:

«لم تكن بيعتكم إياى فلتة، وليس أمرى وأمركم واحد، إنى أريدكم لله وأنتم تريدوننى لأنفسكم » الخ. [ج ٢ ص ٢٦].

وهذا الكلام جزء من الخطبة التى رواها الشيخ المفيد فى الارشاد (١٤٢).

٦٧ ـ الكلام الثالث والثلاثون بعد المائة:

« والله ما أنكروا على منكرا » الخ. [ج ٢ ص ٢٦].

روى الشيخ المفيد هذه الخطبة فى الارشاد (١٤٦) وكتاب الجمل (١٢٩)، وقد مر منها جزء فى رقمى ٩ و ٢١، والجزء الثانى من هذا الكلام كما يتلو:

« فأقبلتم إلى إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة، قبضت يدى فبسطتموها، ونازعتكم يدى فجذبتموها ». [ج ٢ ص ٢٨].

رواه ابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٤ و ٢٧٧]، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٤٢) وكتاب الجمل (١٢٨)، بتغيير الألفاظ.

٦٨ ـ الكلام الخامس والثلاثون بعد المائة:

«لم يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق وصلة الرحم وعائدة كرم » الخ. [ج ٢ ص ٣١].

رواه الطبرى بتمامه فى تاريخه [ج ٥ ص ٣٩].

٦٩ ـ الخطبة الحادية والأربعون بعد المائة :

«أيها النـاس إنما أنتم فى هـذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، مع كل جرعة شرق، وفى كل أكلة غصص». الخ [ج ٢ ص ٣٨].

رواها أبو على القالى فى كتاب الأمالى [ج ٢ ص ٥٧]، والشيخ المفـيد فى الارشـاد (١٣٩) والأمالى [بحار الأنوار ج ٧ ص ١٠٦]، وشيخ الطائفـة فى الأمالى (١٣٥) عن أمير المؤمنين، والحرانى فى تحف العقول (٧٣) عن الامام محمد باقرع باختلاف يسير، والقـالى فى الأمالى [ج ٢ ص ١٠٢] عن عمر بن عبد العزيز الأموى.

٧٠ ـ الكلام الثانى والأربعون بعد المائة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد استشاره فى غزو الفرس بنفسه :

« إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذى أظهره، وجنده الذى أعده وأمده » الخ. [ج ٢ ص ٣٩].

روى الطبرى من هذا الكلام ما يبتدىء من قوله رضى الله عنه « فانك إن شخصت » الخ. [ج ٤ ص ٢٣٨]، كما رواه ابن مسكويه فى تجارب الأمم [ج ١ ص ٤١٩]. وروى الشيخ المفيد الكلام كله فى الارشاد (١٢١).

٧١ ـ الخطبة الثالثة والأربعون بعد المائة :

« فبعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته » الخ. [ج ٢ ص ٤٠].

رواها الكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ١٧٩]. وأما الجزء الثانى من الخطبة نفسها أى : « أيها الناس إنه من استنصح لله وفق » الخ. [ج ٢ ص ٤٢]، فرواه الحرانى فى تحف العقول (٥٣) ضمن أقوال الامام الحسن بن

على رضى الله عنه. ومما يذكر أن الخطبة ٢٣٤ من نهج البلاغة مقتبسة من هذه الخطبة.

٧٢ - الخطبة الثامنة والأربعون بعد المائة:

« الحمد لله الدال على وجوده بخلقه » الخ. [ج ٢ ص ٥٣]:
رواها الكلينى فى أصول الكافى (٣٣) باختلاف بسيط.

٧٣ - الخطبة الثانية والخمسون بعد المائة. ورد فيها:

« عباد الله! الله، الله، فى أعز الأنفس عليكم » [ج ٢ ص ٦٧].
رواه على بن محمد الواسطى فى عيون الحكم والمواعظ [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١١٣].

٧٤ - الكلام السابع والخمسون بعد المائة. قاله لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:

« يا أخا بنى أسد. إنك لقلق الوضين » الخ. [ج ٢ ص ٧٩].
رواه الشيخ المفيد فى الارشاد (١٧٠).

٧٥ - الكلام التاسع والخمسون بعد المائة، لما اجتمع الناس عليه وشكوا مما نقموه على عثمان رضى الله عنه. وسألوه مخاطبته عنهم و استعتابه لهم، فدخل عليه، فقال:

« إن الناس ورائى وقد استفسرونى بينك وبينهم، ووالله ما أدرى ما أقول لك؟ ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على شىء لا تعرفه » الخ. [ج ٢ ص ٨٣].

رواه أحمد بن يحيى البلاذرى المتوفى ٢٧٩ (٨٩٢م) فى أنساب الأشراف [ج ٥ ص ٦٠]، والطبرى فى التاريخ [ج ٥ ص ٩٦]، وابن عبد ربه فى العقد

الفريد [ج ٢ ص ٢٧٣]. وابن مسكويه فى تجارب الأمم [ج ١ ص ٤٧٨] والشيخ المفيد فى كتاب الجمل (٨٤).

٧٦ - الخطبة الحادية والستون بعد المائة:

« ليتأس صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية » الخ. [ج ٢ ص ٩٥].

رواها الكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ٣١]. مما يلوح أنها جزء من الخطبة ٨٤.

٧٧ - الكلام الثالث والستون بعد المائة، بعد ما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجاب على عثمان. فقال:

« يا إخوتاه! إنى لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لى بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم » الخ. [ج ٢ ص ٩٨].

رواه الطبرى فى تاريخه [٥ ص ١٥٨]، وابن مسكويه فى تجارب الأمم [ج ١ ص ٥١٠].

٧٧ - الخطبة الرابعة والستون بعد المائة:

« إن الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وأمر قائم. لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات المشبهات هن المهلكات إلا ما حفظ الله منها » الخ. [ج ٢ ص ٩٩].

روى الطبرى فى تاريخه هذه الخطبة إلى قوله رضى الله عنه « حتى يأزر الأمر إلى غيركم » [ج ٥ ص ١٦٣].

٧٩ - الخطبة السادسة والستون بعد المائة لما عزم على لقاء القوم بصفين:

« اللهم رب السقف المرفوع، والجو المكفوف، الذى جعلته مغيضا

لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر» الخ. [ج ٢ ص ١٠١].

رواها الطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٨]، ورواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (١١٩).

٨٠ـ الخطبة السابعة والستون بعد المائة:

«الحمد لله الذى لا توارى عنه سماء سماءً. ولا أرض أرضاً». [ج ٢ ص ١٠٢].

رواها الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٢٩٥] مفصلا، وروى الشيخ المفيد منها الجزء الثالث فى كتاب الجمل (٤٥ و ٧٦) بألفاظ قريبة المعنى من ما ورد فى نهج البلاغة.

٨١ـ الخطبة الثامنة والستون بعد المائة، وردت فيها الكلمات التالية:

«ألا وإن هذه الدنيا التى أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها ليست بداركم» الخ. [ج ٢ ص ١٠٦].

روى الحرانى هذه الكلمات إلى قوله «لا تبقون عليها» فى تحف العقول (٤٢).

٨٢ـ الكلام التاسع والستون بعد المائة فى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه:

«قد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب» الخ. [ج ٢ ص ١٠٧].

رواه شيخ الطائفة فى الأمالى (١٠٦) باختلاف يسير.

٨٣ـ الخطبة الواحدة والسبعون بعد المائة:

«ألا وإن الظلم ثلاثة» الخ. [ج ٢ ص ١١٦].

روى الشيخ الصدوق هذه العبارة فى الأمالى (المجلس ٤٤)، كما رواها

الحرانى فى تحف العقول (٧١) عن الامام محمد باقر رحمة الله عليه.

٨٤ ـ الكلام الرابع والسبعون بعد المائة، وهو مع ذعلب اليمانى فى رؤية الله:

« لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان » [ج ٢ ص ١٢٠].

رواه الكلينى فى أصول الكافى (٣٢)، والشيخ الصدوق فى كتاب الأمالى (المجلس ٥٥) وكتاب التوحيد (٣٢٠ و ٣٢٤)، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٣١) باختلاف الألفاظ.

٨٥ ـ الخطبة الخامسة والسبعون بعد المائة فى ذم أصحابه:

« أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائى بكم، أيتها الفرقة التى إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب » [ج ٢ ص ١٢١].

رواها الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٢٩٤].

٨٧ ـ الخطبة الواحدة والثمانون بعد المائة فى التوحيد:

« ما وحده من كيفه ولا حقيقته أصاب من مثله » الخ. [ج ٢ ص ١٤٢].

روى الشيخ الصدوق بعضها فى كتاب التوحيد (٢٤)، وشيخ الطائفة فى الأمالى (١٤) عن الامام رضا، كما روى الشيخ الصدوق بعضها الآخر فى كتاب التوحيد (٣٢٠ و ٣٢٤) والشيخ المفيد فى الارشاد (١٣١) فى كلام أمير المؤمنين مع ذعلب اليمانى وروى السيد المرتضى جملة منها فى الأمالى [ج ١ ص ١٠٣]، عن أمير المومنين رضى الله عنه.

٨٨ ـ الخطبة الثامنة والثمانون بعد المائة:

« أما بعد! فان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم » الخ. [ج ٢ ص ١٨٥].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٨٤) .

٨٩ ـ الكلام الثانى والتسعون بعد المائة :

« لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنى لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة » الخ . [ج ٢ ص ١٩٦] .

رواه الشيخ المفيد فى الأمالى ، [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٥] . باختلاف يسير .

٩٠ ـ الكلام الخامس والتسعون بعد المائة :

« والله ، ما معاوية بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ولو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس » الخ . [ج ٢ ص ٢٠٦] .

رواه الكلينى فى أصول الكافى (٣٣٢) .

٩١ ـ الكلام السابع والتسعون بعد المائة ، وقاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجى به رسول الله ص عند قبره :

« السلام عليك ، يا رسول الله ، عنى وعن ابنتك النازلة فى جوارك » الخ . [ج ٢ ص ٢٠٧] .

رواه شيخ الطائفة فى الأمالى (٦٧) .

٩٢ ـ الكلام الثامن والتسعون بعد المائة :

« أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم » الخ . [ج ٢ ص ٢٠٩] .

رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٢٥٣] ، والمبرد فى الكامل [ابن أبى الحديد ج ٢ ص ٢] ، وابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٠٠] ، وأبو على القالى فى الأمالى [ج ١ ص ٢٥٨] ، والبيهقى فى المحاسن والمساوى

[ج ٢ ص ٣١]، والبكرى فى سمط اللآلى [ج ١ ص ٥٦٩] عن أعرابى، ورواه ابن نباته المصرى المتوفى ٧٦٨ھ (١٣٦٦م) فى شرح العيون (الورق ٤٣ ألف) عن سحبان بن زفر الوائلى المتوفى ٥٤ (٦٧٤م)، والشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٢٣ و ٣٩) عن أمير المومنين رضى الله عنه.

٩٣ - الكلام الواحد بعد المائتين قاله وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

«إنى أكره لكم أن تكونوا سبابين» الخ. [ج ٢ ص ٢١١].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين [بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٧٥].

٩٤ - الكلام الثالث بعد المائتين. وقاله لما اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومة:

«أيها الناس إنه لم يزل أمرى معكم، على ما أحب حتى نهكتكم الحرب. وقد والله أخذت منكم وتركت، وهى لعدوكم أنهك».

[ج ٢ ص ٢١٢].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٢٦١).

٩٤ - الكلام الخامس بعد المائتين، وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما فى أيدى الناس من اختلاف الخبر، فقال:

«إن فى أيدى الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما. ولقد كُذب على رسول الله ص على عهده، حتى قام خطيبا فقال: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» الخ. [ج ٢ ص ٢١٤].

رواه أبو صادق سليم بن قيس الهلالى العامرى الكوفى صاحب أمير المؤمنين وحسن وحسين وزين العابدين رضى الله عنهم فى كتابه على ما ذكره محمد بن على

الأسترابادى المتوفى ١٠٢٨ (١٦١٩ م). فى منهج المقال [ج ١ ألف ص ١٦٢]، ورواه أيضاً الحرانى فى تحف العقول (٤٥) والكلينى فى أصول الكافى (١٥).

٩٥ ـ الخطبة الحادية عشرة بعد المائتين وخطبها بصفين:

«أما بعد، فقد جعل الله لى عليكم حقا بولاية أمركم، ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم» الخ. [ج ٢ ص ٢٢٣].

رواها الكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ١٦٣].

٩٦ ـ الكلام الثانى عشر بعد المائتين:

«اللهم إنى أستعديك على قريش، فانهم قد قطعوا رحمى واكفأوا إنائى وأجمعوا على منازعتى حقا كنت أولى به من غيرى» الخ. [ج ٢ ص ٢٢٧].

رواه الثقفى فى كتاب الغارات ضمن خطبة طويلة [ابن أبى الحديد ج ١ ص ٢٩٥]، ويقرب من هذا الكلام ما رواه الشيخ المفيد فى كتاب الجمل (٤٥ و ٧٦).

٩٧ ـ الكلام الرابع عشر بعد المائتين، لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل:

«لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريبا! أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» الخ. (ج ٢ ص ٢٢٩).

رواه المبرد فى الكامل (ج ١ ص ١٢٦)، وابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٩)، والبيهقى فى المحاسن والمساوى (ج ٢ ص ٥٣) باختلاف الألفاظ.

٩٨ ـ الكلام السادس عشر بعد المائتين، قاله بعد تلاوته «ألهاكم التكاثر»:

«يا له مراما ما أبعده وزورا ما أغفله، وخطرا ما أفظعه» الخ. (ج ٢ ص ٢٣٠).

رواه على بن محمد الواسطى فى عيون الحكم والمواعظ (بحار الانوار ج ١٧ ص ١٣).

٩٩ ـ الكلام التاسع عشر بعد المائتين:

«والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأجر فى الأغلال مصفدا، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الحطام» الخ. (ج ٢ ص ٢٤٣).

رواه الشيخ الصدوق فى أماليه (المجلس ٩٠).

١٠٠ ـ الخطبة الحادية والعشرون بعد المائتين:

«واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم» الخ. (ج ٢ ص ٢٤٦).

رواها على بن محمد الواسطى فى عيون الحكم (بحار الأنوار ج ١٧ ص ١١٤).

١٠١ ـ الكلام الثالث والعشرون بعد المائتين فى مدح عمر رضى الله عنه:

«لله بلاد فلان، فقد قوم الأود، وداوى العمد» [ج ١ ص ٢٤٩].

وروى الطبرى [ج ٥ ص ٢٨] باسناده عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: لما مات عمر رضى الله عنه بكته ابنة أبى حثمة فقالت: «وا عمراه! أقام الأود، وأبرأ العمد، أمات الفتن وأحيا السنن، خرج نقى الثوب، بريئا من العيب». قال المغيرة بن شعبة: لما دفن عمر، أتيت عليا رضى الله عنه، وأنا أحب أن أسمع منه فى عمر رضى الله عنه شيئا، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل، وهو ملتحف بثوب، لايشك أن الأمر يصير إليه، فقال: «يرحم

الله ابن الخطاب! لقــد صدقت ابنة أبي حثمة، لقد ذهب بخيرها، ونجا من شرها، أمَ والله، ما قالت ولكن قولت».

١٠١ ـ الكلام الرابع والعشرون بعد المائتين فى وصف بيعته بالخلافة:

«وبسطتم يدى فكففتها. ومددتموها، فقبضتموها. ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها» الخ. [ج ٢ ص ٢٤٩].

رواه الشيخ المفيد فى الارشاد (١٤٢) وكتاب الجمل (١٢٨)، وروى ابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ١٦٥] كتابا له عليه السلام فيه ما يشبه هذا الكلام.

١٠٣ ـ الخطبة السادسة والعشرون بعد المائتين، خطبها بذى قار وهو متوجه الى البصرة:

«فصدع بما أمر به، وبلغ رسالات ربه، فلم الله به الصدع، ورتق به الفتق» الخ. [ج ٢ ص ٢٥٣].

رواها الشيخ المفيد فى الارشاد (١٤٢) وكتاب الجمل (١٢٨).

١٠٤ ـ الخطبة الثالثة والثلاثون بعد المائتين فى شأن الحكمين وذم أهل الشام:

«جفاة طغام، عبيد أقزام، جمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب» الخ. [ج ٢ ص ٢٥٨].

رواها إبراهيم الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٩٦] بتفاصيلها.

١٠٥ ـ الخطبة الرابعة والثلاثون بعد المائتين، يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

«هم عيش العلم وموت الجهل» الخ. [ج ٢ ص ٢٥٩].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٥٣)، والكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ١٨٠].

مصادر الكتب

وإلى جانب الخطب توجد فى نهج البلاغة كتب عدة. وندرس فيما يلى تلك الكتب ونحاول البحث عن مصادرها.

١ ـ الكتاب الأول إلى أهل الكوفة:

«أما بعد فانى أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه. إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه» الخ. [جـ ٣ صـ ٣].

رواه ابن قتيبة فى الامامة والسياسة (٦٨)، وابن الشيخ فى الأمالى (٨٧)، والشيخ المفيد فى كتاب الجمل (١١٦، ١٣٤).

٢ ـ الكتاب الثالث إلى قاضيه شريح بن الحارث:

«يا شريح، أما إنه سيأتيك من لا ينظر فى كتابك ولا يسألك عن بينتك» الخ. [جـ ٣ صـ ٥]

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٥١).

٣ ـ الكتاب الخامس إلى الأشعث بن قيس وهو عامل أذربيجان:

«وإن عملك ليس بطعمة، ولكنه فى عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك» الخ. [جـ ٣ صـ ٧].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (١٣)، وابن قتيبة فى الامامة والسياسة (٩٢)، وابن عبد ربه فى العقد الفريد [جـ ٢ صـ ٢٨٣].

٤ ـ الكتاب السادس إلى معاوية رض:

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد» الخ. [ج ٣ ص ٨].

رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (١٨)، وابن قتيبة في الامامة والسياسة (٩٣)، وأبو حنيفة أحمد بن داوٗد الدينوري المتوفى ٢٩٠ (٩٠٣ م) في الأخبار الطوال (١٦٦)، وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٨٤].

٥ ـ الكتاب الثامن إلى معاوية أيضاً:

«أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة» الخ. [ج ٣ ص ٨].

رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٣٣، ٣٤)، وابن قتيبة في الامامة والسياسة (١٠١) والمبرد في الكامل [ج ١ ص ١٩٣]، وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٨٤].

٦ ـ الكتاب الثامن إلى جزير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية رضي الله:

«أما بعد فاذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم» الخ. [ج ٣ ص ٩].

رواه ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٣٢)، وابن عبد ربه في العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٨٤].

٧ ـ الكتاب التاسع إلى معاوية رضي الله عنه:

«فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل» الخ. [ج ٣ ص ١٠].

رواه بأسره ابن مزاحم الكوفي في كتاب الصفين (٤٨)، كما روى العبارة

الثالثة منه ابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٨٦] .

٨ ـ الكتاب العاشر وهو أيضاً إلى معاوية رضى الله عنه :

« وكيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها » الخ. [ج ٢ ص ١٢] .

روى ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٥٩) من هذا الكتاب قوله « وإن يوشك أن يقفك واقف » إلى قوله « ولا شرف باسق » .

٩ ـ ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو :

« فاذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم فى قبل الاشراف وسفاح الجبال » الخ. [ج ٣ ص ١٤] .

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٦٦)، والحرانى فى تحف العقول (٤٤) .

١٠ ـ ومن وصية له لمعقل بن قيس الرياحى حين أنفذه إلى الشام :

« اتق الله الذى لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه » الخ. (ج ٣ ص ١٥) .

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٧٨) .

١١ ـ الكتاب الثالث عشر الى أميرين من أمراء جيشه :

« وقد أمرت عليكما وعلى من فى حيزكما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعا ومجنا » الخ. [ج ٣ ص ١٥] .

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٨١) ، والطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٢٣٨] .

١٢ ـ ومن وصية له لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

«لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فانكم بحمد الله على حجة» الخ. [ج ٣ ص ١٦].

رواها ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (١٠٦).

١٣ ـ الكتاب السابع عشر إلى معاوية رضى الله عنه:

«فأما طلبك إلى الشام فانى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس» الخ. [ج ٣ ص ١٨].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٧٩ و ٢٥٢) وابن قتيبة فى الامامة والسياسة (١١٥)، والدينورى فى الأخبار الطوال (١٩٩). والمسعودى فى مروج الذهب [ج ٢ ص ٤٨]، والبيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ١ ص ٣٨].

١٤ ـ الكتاب الثامن عشر إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة:

«اعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالاحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم» الخ. [ج ٣ ص ٢٠].

روى ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٥٧) نبذة من هذا الكتاب.

١٥ ـ الكتاب الثانى والعشرون إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه:

«أما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه» الخ. [ج ٣ ص ٢٣].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٥٨)، والحرانى فى تحف العقول (٤٦)، وأبو على القالى فى الأمالى [ج ٢ ص ٩٦]، والكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ١١٣]، وأبو حيان التوحيدى فى كتاب البصائر (٣٥٣)، والباقلانى فى إعجاز القران [ج ١ ص ١٩٥].

١٦ ـ الكتاب السابع والعشرون، وهو عهد له رضى الله عنه إلى محمد بن أبى بكر حين قلده مصر:

«فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك» الخ. [ج ٣ ص ٣١].

رواه الشيخ المفيد فى المجالس والأمالى [بحار ج ١٧ ص ١٠١]، وشيخ الطائفة فى الأمالى (٦١)، والحرانى فى تحف العقول (٤١).

١٧ ـ الكتاب الثلاثون إلى معاوية رضى الله عنه:

«فاتق الله فيما لديك، وانظر فى حقه عليك، وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته» الخ. [ج ٣ ص ٤١].

والظاهر من كلام ابن أبى الحديد [ج ٢ ص ٢٦٠] أن كتاب السير رووا هذا الكتاب أطول وأكمل مما هنا، فكان أمير المؤمنين بدأ كتابه هذا بالكلمات التالية:

«أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى».

١٨ ـ الكتاب الواحد والثلاثون، وهو وصية له رضى الله عنه للحسن بن على رضى الله عنه كتبها إليه بحاضرين منصرفا من صفين:

«من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر» الخ. [ج ٣ ص ٤٢].

رواه أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى فى كتاب الزواجر والمواعظ [بحار الأنوار ج ١٧ ص ٥٧]، والكلينى فى كتاب الرسائل [بحار الأنوار ج ١٧ ص ٥٧]، والحرانى فى تحف العقول (١٤).

١٩ ـ الكتاب الثانى والثلاثون إلى معاوية رضى الله عنه:

«وأرديت جيلا من الناس كثيرا، خدعتهم بغيك وألقيتهم فى موج بحرك» الخ. [ج ٣ ص ٦٤].

رواه أبوالحسن على بن محمد المدائنى المتوفى ٢٢٤ (٨٣٩ م) فى تاريخه وقال إن الكتاب يبدأ بقوله رضى الله عنه: «أما بعد فان الدنيا دار تجارة وربحها أو خسرها فى الآخرة» [ابن أبى الحديد جـ ٢ صـ ٢٨١].

٢٠ ـ الكتاب الرابع والثلاثون إلى محمد بن أبى بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر من مصر:

«أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، وإنى لم أفعل ذلك استبطاء لك فى الجهد» الخ. [جـ ٣ صـ ٦٦].

رواه الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد جـ ٢ صـ ٢٩٢]، والطبرى فى تاريخه [جـ ٦ صـ ٥٥].

٢١ ـ الكتاب الخامس والثلاثون إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه بعد مقتل محمد بن أبى بكر:

«أما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن أبى بكر، رحمه الله، قد استشهد» الخ. [جـ ٣ صـ ٦٧].

رواه الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد جـ ١ صـ ٢٩٥]، والطبرى فى تاريخه [جـ ٦ صـ ٦٣].

٢٢ ـ الكتاب السادس والثلاثون إلى أخيه عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه:

«فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين، فلما بلغه ذلك شمر هارباً» الخ. [جـ ٣ صـ ٦٧].

رواه ابن قتيبة فى الامامة والسياسة (٥٧) وأبو الفرج الاصفهانى فى الأغانى [جـ ١٥ صـ ٤٤].

٢٣ ـ الكتاب الثامن والثلاثون إلى أهل مصر:

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصى فى أمر منه وذهب بحقه » الخ. [ج ٣ ص ٧٠].

رواه الطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٥٥].

٢٤ ـ الكتاب التاسع والثلاثون:

« فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرء ظاهر غيه مهتوك ستره » الخ. [ج ٣ ص ٧١].

قال ابن أبى الحديد [ج ٢ ص ٣٨٥]: « وذكر نصر بن مزاحم فى كتاب صفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضى ».

٢٥ ـ الكتاب الأربعون إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه:

« أما بعد، فقد بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك ».

رواه ابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٩٥].

٢٦ ـ الكتاب الواحد والأربعون:

« أما بعد فانى كنت أشركتك فى أمانتى وجعلتك شعارى وبطانتى » الخ. [ج ٣ ص ٧٢].

رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ١ ص ٥٧]، وابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ٢ ص ٢٩٦]، وأبو هلال العسكرى فى كتاب الأوائل (١٥١ ب).

٢٧ ـ الكتاب السادس والأربعون إلى أحد الحكام:

« أما بعد فانك ممن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم » الخ. [ج ٣ ص ٨٤].

روى الطبرى هـذا المكتوب فى تاريخه [جـ ٦ صـ ٥٤]. وقال إن المكتوب إليه هو الأشتر.

٢٨ ـ الكتاب السابع والأربعون، إلى السيدين حسن وحسين رضى الله عنهما يوصيهما.

« أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شىء منها زوى عنكما، وقولا للحق واعملا للأجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا » الخ. [جـ ٣ صـ ٨٥].

روى المبرد هذه الوصية مختصراً فى الكامل [جـ ٢ صـ ١٥٢]، والطبرى فى تاريخه [جـ ٦ صـ ٨٥]. وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجى المتوفى ٣٣٧ (٩٤٨ م) فى كتاب الأمالى (١١٥)، والحرانى فى تحف العقول (٤٦)، وأبو الفرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبين (١٥).

٢٩ ـ الكتاب الثامن والأربعون:

« وإن البغى والزور يذيعان بالمرء فى دينه ودنياه » الخ. [جـ ٣ صـ ٨٧].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٢٦٧)، والثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد جـ ١ صـ ١٠٤].

٣٠ ـ الكتاب التاسع والأربعون:

« أما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصا عليها » [جـ ٣ صـ ٨٨].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٦٠ و ٢٦٩)، والدينورى فى الأخبار الطوال (١٧٤).

٣١ ـ الكتاب الخمسون:

«أما بعد، فان حقا على الوالى أن لا يغيره على رعيته فضل ناله» الخ. [جـ ٣ صـ ٨١].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٥٨).

٣٢ - الكتاب الواحد والخمسون:

«أما بعد. فان من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها» الخ. [جـ ٣ صـ ٩٠]. رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٥٨).

٣٣ - الكتاب الثالث والخمسون:

«هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك ابن الأشتر فى عهده إليه حين ولاه مصر» [جـ ٣ صـ ٩٢].

رواه الحرانى فى تحف العقول (٢٨).

٣٤ - الكتاب الرابع والخمسون:

«أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما أنى لم أرد الناس حتى أرادونى» الخ. [جـ ٣ صـ ١٢٢].

رواه ابن قتيبة فى الامامة والسياسة (٧٢)، وأعثم الكوفى فى كتاب الفتوح [مناقب ابن شهر آشوب جـ ٢ صـ ٩٠].

٣٥ - الكتاب الستون:

«أما بعد، فانى قد سيرت جنوداً هى مارة بكم» الخ. [جـ ٣ صـ ١٢٨].

رواه ابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٦٨) بتغير الألفاظ.

٣٦ - الكتاب الثانى والستون إلى أهل مصر:

«أما بعد، فان الله سبحانه بعث محمدا نذيرا للعالمين» الخ. [جـ ٣ صـ ١٣٠].

روى الثقفى فى كتاب الغارات [ابن أبى الحديد جـ ١ صـ ٢٩٥] خطبة طويلة، فيها بعض ما روى فى هذا الكتاب.

٣٧ ـ الكتاب الثامن والستون إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه. وكتبه قبل خلافته:

«أما بعد! فان مثل الدنيا مثل الحية، لين مسها، قاتل سمها» الخ. [جـ ٣ صـ ١٢١].

رواه الكلينى فى أصول الكافى (١٨٧)، والشيخ المفيد فى الارشاد (١٣٧).

مآخذ الحكم

ونَدرس الآن حكما مروية عن على رضى الله عنه مما سجلت فى الباب الثالث من نهج البلاغة. وهى كثيرة. ومعظمها صحيحة، بحيث لا يبقى ريب فى تصديقها وليس البحث عن مراجع جميع الحكم بأمر هين، حتى يستطيع أحد إتمامه وقت قصير، ومن أجل هذا لا أذكر هنا إلا ما اطلعت على مراجعها أثناء دراستى

١ ـ «إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه» [ج ص ١٥٣].

رواها ابن دريد فى المجتنى، (٣٢).

٢ ـ «أعجز النـاس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم» [ج ٣ ص ١٥٣].

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٣ ص ١]. والقالى فى ذيل الأمالى والنوادر، (١١٢).

٣ ـ «ما كل مفتون يعاتب» [ج ٣ ص ١٥٤].

رواها أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء والشيخ المفيد فى كتاب الجمل (٣٠).

٤ ـ «قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان».

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ١٢٣]. والقالى فى الأمالى [ج ١ ص ١٩٧ و ج ٢ ص ٩٥]، والحرانى فى تحف العقول (٤٧) وابن الشيخ فى

الأمالى، (٤١) .

٥ ـ «لنا حق، فان أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الابل وإن طال السرى» [ج ٣ ص ١٥٥].

روى الطبرى [ج ٥ ص ٣٩]. هذه الحكمة فى خطبة طويلة. ورواها أبو عبيد الهروى أيضا فى كتاب الغريبين (الورق ١٧٦ ألف) بتغيير يسير.

٦ ـ «وسئل عن الايمان، فقال، الايمان على أربع دعائم، الصبر واليقين والعدل والجهاد» الخ. [ج ٣ ص ١٥٧] .

رواها الحرانى فى تحف العقول (٣٨) والكلينى فى أصول الكافى (١٦٨) والقالى فى ذيل الأمالى والنوادر (١٧٣) وأبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٤]. ورواها شيخ الطائفة فى الأمالى (٢٣) والقاضى محمد بن سلامة القضاعى فى دستور معالم الحكم (١٢١).

٧ ـ «الكفر على أربع دعائم: على التعمق، والتنازع، والزيغ، والشقاق» الخ. [ج ٣ ص ١٥٨].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٣٨) .

٨ ـ «يا بنى احفظ عنى أربعا أربعا، لايغرك ما عملت معهن» [ج ٣ ص ١٦٠] .

رواها ابن دريد فى المجتنى (٣٠) .

٩ ـ «لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل» [ج ٣ ص ١٦٤].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٢٠) باضافة عدة كلمات.

١٠ ـ «القناعة مال لاينفك» [ج ٣ ص ١٦٤، ٢٣٦، ٢٦٦].

رواها الحرانى فى تحف العقول (١٩، ٢١).

[ج ١ ص ١٧٧]، بتغيير الألفاظ .

٢٠ ـ « من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس » [ج ٣ ص ١٧٠].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٩).

٢١ ـ « الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله » [ج ٣ ص ١٧٠].

رواها الكلينى فى أصول الكافى، والحرانى فى تحف العقول (٤٧)، والشيخ الصدوق فى معانى الأخبار (٨٤)، وابن لال فى مكارم الأخلاق، الكنز [ج ٥ ص ٢١١]، وأبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٧]، عن أمير المؤمنين رضى الله عنه. ورواها فى كتاب الجعفريات [بحار ج ١٧ ص ٤٠٧]، عن النبى عليه السلام.

٢٢ ـ « لا يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل ما يتقبل » [ج ٣ ص ١٧٢].

رواها الحرانى فى تحف العقول [بحار ج ١٧ ص ١٥٣] والكلينى فى أصول الكافى (١٧٣) وأبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٥] وشيخ الطائفة فى الأمالى (٣٨).

٢٣ ـ « يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل، ولا يظرف فيه إلا الفاجر » الخ. [ج ٣ ص ١٧٣].

رواها المبرد فى الكامل [ج ١ ص ١٧٧].

٢٤ ـ « روئى عليه إزار خلق مرقوع، فقيل له فى ذلك، فقال يخشع له القلب وتذل به النفس ويقتدى به المؤمنون » الخ. [ج ٣ ص ١٧٣].

رواها أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء، [ج ١ ص ٨٣] باختلاف الألفاظ .

٢٥ ـ « طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة » الخ. [ج ٣ ص ١٧٣].

رواها أبو نعيم الاصفهانى فى حليـــة الأولياء [ج ١ ص ٧٩]. والشيخ الصدوق فى إكمال الدين، [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٥].

٢٦ ـ « إن الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها » الخ. [ج ٣ ص ١٧٤].

رواها شيخ الطائفة فى الأمالى (٣٢٥) باختلاف يسير.

٢٧ ـ « لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هى أعجب ما فيـــه وذلك القلب » الخ. [ج ٣ ص ١٧٥].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٢٠) والشيخ المفيد فى الارشاد (١٧٣).

٢٨ ـ « نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالى، وإليها يرجع الغالى » [ج ٣ ص ١٧٦].

رواها أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى فى غريب الحديث، (الورق ٢٠٤ ألف)، وابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ١ ص ٣٢٦]. وابن شيخ الطائفة فى الأمالى، (٤٢) إلا أن الراويـين الأولين قالا: « خير هذه الأمـة النمط الأوسط »، بينما روى الثالث: « إلا أن خير شيعتى النمط الأوسط ». ورواها أبو سعيد منصور بن الحسين الآبى الوزير المتوفى ٤٢٢، ١٠٣١ م، فى نثر الدر [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٦٧] وروى على لسان الامام محمد باقر رحمة الله عليه: « اتقوا الله، شيعة آل محمد، وكونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالى ويلحق بكم التالى ».

٢٩ ـ « من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا ». [ج ٣ ص ١٧٦].

رواها أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى فى غريب الحديث (الورق ٢٠١ ألف) وابن قتيبة فى غريب الحديث [أمالى المرتضى ج ١ ص ١٣].

٣٠ ـ « لا مال أعود من العقل » الخ. [ج ٣ ص ١٧٧].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٢٠) والكلينى فى كتاب الروضة من فروع

الكافى [ج ٣ ص ١٠] وشيخ الطائفة فى الأمالى (٩١).

٣١ - «كم من مستدرج بالاحسان إليه» الخ. [ج ٣ ص ١٧٨ و ٢١٠].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٤٧) وشيخ الطائفة فى الأمالى (٢٨٣).

٣٢ - «مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها». [ج ٣ ص ١٧٨].

رواها ابن دريد فى المجتنى (٣٢) وأبو حيان التوحيدى فى كتاب البصائر (١٠ ألف) والكلينى فى أصول الكافى (١٨٧). ويلوح منه أن القول جزء من كتاب له رضى الله عنه.

٣٣ - «كأن الموت على غيرنا كتب» [ج ٣ ص ١٧٩].

رواها على بن إبراهيم القمى فى تفسيره [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٤].

٣٤ - «طوبى لمن ذل فى نفسه وطاب مكسبه» [ج ٣ ص ١٧٩].

رواها أيضا على القمى فى تفسيره [بحار ج ١٧ ص ١٠٤].

٣٥ - «لأنسبن الاسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلى، الاسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الاقرار، والاقرار هو الأداء، والأداء هو العمل». [ج ٣ ص ١٨٠].

رواها البرقى فى المحاسن والآداب (الورق ٨٥ ب)، والشيخ الصدوق فى معانى الأخبار (٧٠) والأمالى (المجلس ٥٦) ورواها شيخ الطائفة أيضا فى أماليه (٣٣٣).

٣٦ - «يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق» [ج ٣ ص ١٨١].

رواها الجاحظ فى البيان والتبيين، [ج ٢ ص ٩٤] وابن مزاحم الكوفى فى كتاب الصفين (٢٨٩) والطبرى فى تاريخه [ج ٦ ص ٣٤] والبيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ٢ ص ٤٤] والشيخ المفيد فى الأمالى . [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٥] والشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٢٣)، وشيخ الطائفة فى الأمالى (٣٥) وأبو حيان التوحيدى فى كتاب البصائر (٦٩ ب)، وذلك باختلاف الألفاظ مع حذف وزيادة.

٣٧ـ أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها. أتغتر بالدنيا ثم تذمها، [ج ٣ ص ١٨١].

رواها الجاحظ فى البيان [ج ١ ص ٢١٩]. وابن قتيبة فى عيون الاخبار [ج ١ ص ٣٢٩]، والحرانى فى تحف العقول (٤٣)، والبيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ٢ ص ٤٤]، والشيخ المفيد فى الأمالى [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٥ والارشاد ١٧١]، والحسين بن سعيد فى كتاب النوادر. [بحار الأنوار ج ١٧ ص ٤٠٢]، وابن شيخ الطائفة فى أماليه (٢٦) وأبوحيان التوحيدى فى كتاب البصائر (٦٩ ب).

٣٨ـ « الدنيا دار ممر لا دار مقر » [ج ٣ ص ١٨٣].

رواها ابن دريد فى المجتنى (٣٢).

٣٩ـ « قلة العيال أحد اليسارين » [ج ٣ ص ١٨٥].

رواها الشيخ الصدوق فى أماليه (المجلس ٦٨) والحرانى فى تحف العقول (٥٠ و ٥٢).

٤٠ـ « يا كميل! إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها » [ج ٣ ص ١٨٢ و ١٨٧].

رواها أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء [ج ١ ص ٧٩]، وشيخ الطائفة

فى الأمالى (١٣) وروى ابن عبد ربه فى العقد الفريد [ج ١ ص ٢٠٠]، والشيـ المفيـد فى الارشاد (١٣٣) وروى البيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ٢ ص ٧٥ أجزاء مختلفة منها.

٤١ ـ «المرء مخبوء تحت لسانه» [ج ٣ ص ١٨٩].

رواهـا الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٦٨) والشيخ المفيد فى الارشـ (١٧٣) وشيخ الطائفة فى الأمالى (٣١٥).

٤٢ ـ «هلك امرؤ لم يعرف قدره» [ج ٣ ص ١٨٩].

رواهـا الشيخ الصدوق فى الأمالى. (المجلس ٦٨) ونصها: «ما هلك امر عرف قدره».

٤٣ ـ «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل» الخ. [ج ٣ ص ١٨٩].

رواها ابن دريد فى المجتنى (٣٠) والحرانى فى تحف العقول (٣٦).

٤٤ ـ «من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن» [ج ص ١٩٢].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٥٠) والحرانى فى تحف العقول (٥٢) والكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ٧٤].

ورواها الشيخ المفيد فى كتاب الاختصاص [بحار الأنوار، جـ١٧ صـ ١٢٥ عن أمير المؤمنين رضى الله عنه. ورواهـا البيهقى فى المحاسن والمساوى، [ج صـ٥٧] عن النبى ص.

٤٥ ـ «من كتم سره كانت الخيرة بيده». [جـ٣ صـ١٩٢].

رواهـا الشيخ الصدوق فى الأمالى، (المجلس ٥٠) والشيخ المفيـد فى كتاد

الاختصاص، والحرانى فى تحف العقول (٥٢) والكلينى فى كتـاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ٧٤]، عن أمير المؤمنين رضى الله عنه. ورواها البيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ٢ ص ٥٧] عن النبى ص.

٤٦ ـ «الفقر الموت الأكبر» [ج ٣ ص ١٩٢].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٥٠).

٤٧ ـ «الناس أعداء لما جهلوا» [ج ٣ ص ١٩٣].

رواها الثعالبى فى الايجاز والاعجاز (٨) وروى الشيخ المفيد فى الأمالى [بحار الانوار ج ١٧ ص ١٠٧] وشيخ الطائفة فى الأمالى (٣١٥) بلفظ «من جهل شيئا عاداه».

٤٨ ـ «يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك».

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٣٧١].

٤٩ ـ «إن القلب إذا أكره عمى».

رواها المبرد فى الكامل [ج ٢ ص ٢].

٥٠ ـ «لم يذهب من مالك ما وعظك». [ج ٣ ص ١٩٧].

رواها المبرد فى الكامل [ج ١ ص ١٢٠]. وقال: «من أمثال العرب».

٥١ ـ «أيها الناس! اتقوا الله الذى إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم» [ج ٣ ص ١٩٩].

رواها المبرد فى الكامل [ج ١ ص ٢٢٣] وقال: قال على ابن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له.

٥٢ ـ «اتقوا الله تقية من شمر تجريدا» الخ. [ج ٣ ص ٢٠٠].

رواها ابن دريد فى المجتنى (٣٤) والحرانى فى تحف العقول (٤٦).

٥٣ - قال فى قوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والاحسان: «العدل الانصاف، والاحسان التفضل» [ج ٣ ص ٢٠٤].

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٣ ص ١٩].

٥٤ - «لا تدعون إلى مبارزة وإن دعيت إليها فأجب».

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ١ ص ١٢٨] باختلاف فى الألفاظ.

٥٥ - «هذا الخطيب الشحشح» [ج ٣ ص ٢١١].

رواها أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى فى غريب الحديث (الورق ١٩٧ ألف). وروى الطبرى فى تاريخه [ج ٥ ص ١٩٤] «السحسح» بالسين فى موضعين.

٥٦ - «يا ابن آدم، لا تحمل هم يومك الذى لم يأتك على يومك الذى قد أتاك» [ج ٣ ص ٢١١].

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٢ ص ٣٧١] والمبرد فى الكامل [ج ١ ص٩٢].

٥٧ - «أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما» [ج ٣ ص ٢١٧].

رواها الترمذى المتوفى [٢٧٩، ٨٩٢م] فى كتاب الجامع، والطبرانى المتوفى، (٣٦٠، ٩٧١م) فى المعجم الصغير، والدار قطنى المتوفى (٣٨٥، ٩٩٥م) فى الأفراد مرفوعا إلى النبى عليه السلام، بينما نسبها إلى على المرتضى البخارى المتوفى (٢٥٦، ٨٧٠م) فى الأدب المفرد (١٩١) والبلاذرى فى أنساب الأشراف [ج ٥ ص ٩٥] والقالى فى الأمالى [ج ٢ ص ٢٠٦] وكتاب ذيل الأمالى والنوادر وأبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء النحوى المتوفى (٣٢٥، ٩٣٧م) فى كتاب الموشى المعروف بكتاب الظرف والظرفاء، والحرانى فى تحف العقول (٤٧) وأبو هلال

العسكرى فى جمهرة الأمثال (٤٩)، وابن شيخ الطائفة فى الأمالى (٧٩) وسمط اللآلى [ج ٣ ص ٨٠].

٥٨ - «كان لى فى ما مضى أخ فى الله» الخ. [ج ٣ ص ٢٢٣].

رواها الحرانى فى تحف العقول [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٤٥] عن أمير المؤمنين رضى الله عنه. ورواها الكلينى فى أصول الكافى (٢١٠) عن الامام حسن رضى الله عنه، مختصراً.

٥٩ - «يا أشعث، إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك الرحم» [ج ٣ ص ٢٢٤].

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٣ ص ٦١] والحرانى فى تحف العقول (٤٦) باختلاف الكلمات.

٦٠ - «لا تصحب المائق، فانه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله» الخ. [ج ٣ ص ٢٢٥.

رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار [ج ٣ ص ٧٩]، والحرانى فى تحف العقول (٤٨) والكلينى فى أصول الكافى (٢٣٩)، والشيخ الصدوق فى مصادقة الاخوان (٥٢).

٦١ - قال أمير المؤمنين مجيبا على سوال وجه إليه، عن المسير بين الشرق والغرب: «مسيرة يوم للشمس» [ج ٣ ص ٢٢٥].

رواها أبو حيان التوحيدى فى كتاب البصائر (٦٨ ألف) والسيد المرتضى فى الأمالى [ج ١ ص ١٩٨].

٦٢ - «الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان» [ج ٣ ص ٢٢٧].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٤٥) وشيخ الطائفة فى الأمالى

(٢٨٦) منسوبا إلى النبي عليه السلام.

٦٣ - «أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار». [ج ٣ ص ٢٢٩].

رواها عنه أبو القاسم الزجاجي فى كتاب الأمالى (١٩) والشيخ الصدوق فى إكمال الدين [بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٠٧] ورواها شيخ الطائفة فى أماليه (٣١) وابن شيخ الطائفة فى الأمالى (٦) عن النبي عليه السلام.

٦٤ - «المؤمن بشره فى وجهه، وحزنه فى قلبه» الخ. [ج ٣ ص ٢٣٢].

رواها الكليني فى أصول الكافى (٢٠٨) والشيخ الصدوق فى الأمالى [بحار الانوار ج ١٧ ص ٢٨٨ و ٢٨٩] باختلاف كثير فى الألفاظ.

٦٥ - «من نظر فى عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره» [ج ٣ ص ٢٣٥].

رواها الكليني فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ١٠] والحرانى فى تحف العقول (١٩ و ٢٠).

٦٦ - وهنأ بحضرته رضى الله عنه رجل رجلا بغلام ولد له، فقال له: «ليهنئك الفارس»، فقال رضى الله عنه: «لا تقل ذلك وقل شكرت الواهب وبورك لك فى المواهب» [ج ٣ ص ٢٣٦].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٥٥) من لسان الحسن بن على رضى الله عنه باختلاف يسير.

٦٧ - «لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها فى الخير محتملا» [ج ٣ ص ٢٣٨].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٥٠) والشيخ المفيد فى كتاب الاختصاص [بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٢٥]، والكليني فى أصول الكافى (٢٣٦) ورواها البيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ٢ ص ٥٧] عن النبي عليه السلام.

٦٨ - « يا أيها الناس متاع الدنيا حطام » الخ. [ج ٣ ص ٢٣٩].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٥٢).

٦٩ - « لا شرف أعلى من الاسلام » الخ. [ج ٣ ص ٢٤٢].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٢٠) والكلينى فى كتاب الروضة من فروع الكافى [ج ٣ ص ١٠] والشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٥٢).

٧٠ - « للمؤمن ثلث ساعات » الخ. [ج ٣ ص ٢٤٧].

رواها شيخ الطائفة فى الأمالى (٩١) والحرانى فى تحف العقول (٤٧).

٧١ - « المنية ولا الدنية، والدهر يومان » الخ. [ج ٣ ص ٢٤٨].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٢٠ و ٤٨) والشيخ المفيد فى الارشاد (١٧٢) بألفاظ متغيرة.

٧٢ - « سئل عن معنى قولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: « إنا لا نملك مع الله شيئاً » الخ. [ج ٣ ص ٢٥٠].

رواها ابن دريد فى المجتنى (٣٠).

٧٣ - وقال لقائل قال بحضرته « استغفر الله »: « ثكلتك أمك! أ تدرى ما الاستغفار » الخ. [ج ٣ ص ٢٥٢].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٤٦).

٧٤ - « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ». [ج ٣ ص ٢٥٤].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى (المجلس ٩).

٧٥ - « إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا، إذا نظر الناس إلى ظاهرها ». [ج ٣ ص ٢٥٦].

رواها أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء [ج ١ ص ١٠] عن عيسى عليه السلام. ورواها الشيخ المفيد فى المجالس [بحار الأنوار ج ١٧ ص ٤١٩] عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه.

٧٦ ـ «ما لك وما مالك. لو كان جيلا لكان فندا» الخ. [ج ٣ ص ٢٥٨].

رواها أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى المتوفى ٣٥٠ (٩٦١م)، فى كتاب الولاة (٢٤).

٧٧ ـ «الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك» [ج ٣ ص ٢٦١].

رواها الحرانى فى تحف العقول (٥١) ورواها البرقى فى المحاسن والآداب (٧٨ ألف).

٧٨ ـ «يهلك فى رجلان محب غال ومبغض قال» [ج ٣ ص ٢٦٤].

رواها الشيخ الصدوق فى الأمالى، والبيهقى فى المحاسن والمساوى [ج ١ ص ٢٩].

٧٩ ـ «شر الاخوان من تكلف له» [ج ٣ ص ٢٦٦].

رواها أبو حيان التوحيدى فى كتاب الصداقة والصديق (١٨٦) وكتاب البصائر (٧٣ ألف).

ويظهر مما سبق أن الشيخ الرضى لم يكن أول من اعتنى بتدوين الخطب والكتب والحكم المنسوبة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، بل سبقه المؤلفون الآخرون. أشرت إلى بعضهم حين ذكر مراجع نهج البلاغة ومصادره. وأرى أن أذكر فيما يلى أسماء الذين لم أذكرهم فى الأوراق السابقة لأجل ضياع مولفاتهم، أو ذكرتهم ولكن لم أذكر مؤلفاتهم الضائعة التى أظنها قد احتوت الخطب

والكتب جزما أو احتمالا وقال المسعودى فى مروج الذهب [ج ٢ ص٣٦]:

« والذى حفظ النـاس عنه من خطبه فى سائر مقاماته أربع مائـة ونيف وثمانون خطبـة، يوردهـا على البديهـة، تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا ».

١ ـ زيد بن وهب الجهنى الكوفى، المتوفى ٩٦هـ، وله «كتاب خطب أمير المؤمنين على المنـابر فى الجمع والأعياد وغيرها». وكان الكتاب باقياً حتى القرن الخامس الهجرى، إذ روى عنــه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسى صاحب الفهرست المتوفى عام ٤٦٠ هـ، ١٠٦٨ م.[١]

٢ ـ أبو يعقوب إسمعيل بن مهران بن محمد السكونى الكوفى المتوفى بعد سنة ١٤٨ هـ، ٧١٥ م. وله «كتاب خطب أمير المؤمنين»، وكان متداولا حتى القرن الخامس من الهجرة، وذلك لأن النجاشى، صاحب كتاب الرجال، كان يروى عنه. وقـد توفى النجاشى سنة ٤٥٠ هـ، ١٠٥٨ م.[٢]

٣ ـ أبو مخنف لوط بن يحيي الأزدى الغامدى المؤرخ الشهير المتوفى قبل العام، ١٧٠، ٧٨٦ م، ذكره ابن النديم وعد ٣٣ كتابا من ما ألفه، ولا يخفى أن الكتب التالية منها اشتملت على خطب أمير المؤمنين رضى الله عنه:

كتاب الجمل، كتاب الصفين، كتـاب أهل النهروان والخوارج، كتاب الغارات، كتاب مقتل على، كتاب مقتل محمد بن أبى بكر والأشتر ومحمد بن أبى حذيفة، كتاب الشورى ومقتل عثمان.[٣]

٤ ـ أبو محمد (أبو بشر) مسعدة بن صدقة العبـدى الكوفى، تلميذ الامام

---

١ ـ فهرست الطوسى ١٤٨، منهج المقال الورق ١٤٢، كشف الحجب ٢٠٦.

٢ ـ فهرست الطوسى ٦١، رجال النجاشى ١٩، لسان الميزان ٤٣٩/١.

٣ ـ فهرست ابن النديم ١٣٦، منهج المقال الورق ٢٧٧ ب.

موسى الكاظم المتوفى ١٨٣ (٧٩٩). قال النجاشي: «له كتب منها كتاب خطب أمير المؤمنين». أخبرنا ابن شاذان باسناده عنه.[١]

٥ - أبو إسحق إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي، صاحب التفسير عن السدي وتلميذ القاضي شريك المتوفى ١٧٧، ٧٩٣ م، له «كتاب خطب علي رضي الله عنه» رواه النجاشي باسناده عنه.[٢]

٦ - أبو إسحق إبراهيم بن سليمان النهمي الكوفي الخزاز. كان تلميذا لابراهيم الفزاري وألف كتاب الخطب وكتاب الدعا وكتاب خلق السموات وكتاب مقتل أمير المؤمنين. رواها الطوسي باسناده عنه.[٣]

٧ - أبو منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى ٢٠٦، ٨٢١ م، ذكر ابن النديم ٢٨ كتابا من مؤلفاته، منها: كتاب مقتل عثمان، وكتاب الجمل وكتاب الصفين وكتاب النهروان وكتاب الغارات وكتاب مقتل أمير المؤمنين، ومنها كتاب خطب علي رضي الله عنه. الذي قرأه النجاشي ورواه باسناده إلى المؤلف.[٤]

٨ - أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المدني قاضي بغداد المتوفى ٢٠٧-٨٢٣ م. وأورد ابن النديم قائمة لمؤلفاته، أشار الشيخ الرضي منها إلى كتاب الجمل، ومنها كتاب الصفين وكتاب السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج في الفتن.[٥]

٩ - أبو المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار المتوفى ٢١٢-٨٢٧ م. ذكرنا في الفصات السابقة من كتبه كتاب الصفين، وقرأ النجاشي من مؤلفاته

١ — رجال النجاشي ٢٩٥، منهج المقال الورق ٣٤٢ ب، لسان الميزان ٢٢/٦.

٢ — فهرست الطوسي ١١، رجال النجاشي ١١، منهج المقال الورق ٧ ب، كشف الحجب ٢٠٦.

٣ — فهرست الطوسي ١٣، منهج المقال الورق ٨ ب، لسان الميزان ٦٦/١.

٤ — فهرست ابن النديم ١٤٠، رجال النجاشي ٣٠٥، منهج المقال الورق ٣٧٤ ب.

٥ — فهرست ابن النديم ١٤٤.

كتاب الجمل وكتاب النهروان وكتاب الغارات، وكانت كلها تشمل خطب
كتب أمير المؤمنين على رضى الله عنه.[١]

بو الخير صالح بن أبى حماد الرازى المتوفى بعد عام ٢١٤-٨٢٩ م، روى
لنجاشى عنه كتاب خطب أمير المؤمنين.[٢]

بو الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى ٢٢٤-٨٣٩ م، ذكر ابن النديم
ن مؤلفاته كتاب خطب على رضى الله عنه وكتبه إلى عماله، بجانب «تاريخ
لخلفاء» وكتاب الأحداث.[٣]

أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن على الحسنى الرازى المتوفى ٢٥٠-
٨٦٤ م. وله أيضاً كتاب خطب على رضى الله عنه.[٤]

أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى الكوفى المتوفى ٢٨٣-٨٩٦ م،
أشرنا من مؤلفاته إلى كتاب الغارات. ومن كتبه الأخرى المستحقة الذكر
كتاب رسائل على وكتاب كلام على فى الشورى وكتاب الخطب المعربات،
والغالب أنه روى كثيرا من خطب ورسائل على رضى الله عنه فى مؤلفاته
الأخرى، مثلا كتاب السقيفة وكتاب مقتل عثمان رضى الله عنه وكتاب بيعة
أمير المؤمنين وكتاب الجمل وكتاب الصفين وكتاب الحكمين وكتاب النهروان
وكتاب مقتل أمير المؤمنين، قال الطوسى: «أخبرنا بجميع هذه الكتب
أحمد بن عبدون باسناده إلى الثقفى».[٥]

---

[١] جال النجاشى ٣٠١، منهج المقال الورق ٣٦٢ الف.
[٢] جال النجاشى ١٤٠، منهج المقال الورق ١٧١ ب.
[٣] ست ابن النديم ١٤٩، معجم الأدباء لياقوت ١٢٤/١٤.
[٤] ج المقال الورق ١٨٩ ب، فهرست كتاب خانه عموى معارف، تهران، ١٣٩.
[٥] ست الطوسى ١٦، معجم الأدباء لياقوت ٢٣٢/١، منهج المقال الورق ١٢ ب، منهاج نهج البلاغة
ستاذ سبط الحسن الهنسوى الهندى، ٣١.

١٤ ـ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبرى، أحد معاصرى ابن جرير الطبرى المؤرخ الشهير. ألف كتاب المسترشد فى الامامة وكتاب الرواة عن أهل البيت وجمع فيهما خطبه ورسائله رضى الله عنه.[1]

١٥ ـ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينى المتوفى، ٣٢٨ ـ ٩٣٩م. ألف كتاب الكافى الذى أشرنا إليه فى الصفحات السابقة، كما ألف كتاب رسائل الأئمة.[2]

١٦ ـ أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودى الأزدى البصرى المتوفى، ٣٣٢ ـ ٩٤١م. ألف كتاب الجمل وكتاب الصفين وكتاب الحكمين وكتاب الغارات وكتاب الخوارج وكتاب حروب على رضى الله عنه وكتاب خطب على رضى الله عنه وكتاب شعر على رضى الله عنه وكتاب رسائل على رضى الله عنه وكتاب مواعظ على رضى الله عنه وكتاب ذكر كلام على فى الملاحم وكتاب قول على فى الشورى وكتاب ما كان بين على وعثمان من الكلام وكتاب قضاء على رضى الله عنه، وكتاب الدعاء عن على رضى الله عنه، وكتاب الأدب عن على رضى الله عنه.[3]

١٧ ـ أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى ٣٤٦. (٩٥٧م). ألف «حدائق الأذهان فى أخبار آل محمد» و «مزاهر الأخبار وظرائف الآثار» وزينهما بكثير من خطب على رضى الله عنه وحكمه، وهذا بجانب مؤلفاته الشهيرة وكتاب أخبار الزمان وكتاب الأوسط، ومروج الذهب.[4]

١٨ ـ أبو طالب عبيد الله بن أبى زيد أحمد بن يعقوب بن نصر الأنبارى

١ ـ منهج المقال الورق ٢٩٦ ألف، لسان الميزان ٥/١٠٣، فهرست كتاب خانه عموى ١٣٨.
٢ ـ منهج المقال الورق ٣٣٩ ألف، فهرست كتاب خانه عموى ١٣٨.
٣ ـ الرجال للنجاشى ١٦٧، فهرست ابن النديم ١٦٧، نقد الايضاح ١٨٣، منهج المقال الورق ١٨٨ ب.
٤ ـ مروج الذهب ٢/٣٩.

المتوفى ٣٥٦، (٩٦٧م)، ألف مائة وأربعين كتابا. منها كتاب أدعية الأئمة جمع فيها الأدعية المروية عن على رضى الله عنه. قال النجاشى. أخبرنى أحمد بن عبد الواحد عنه بجميع كتبه.[1]

١ - أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبى رافع الكوفى البغدادى أستاذ الشيخ المفيد، ودون كلامه رضى الله عنه فى كتاب الكشف فيما يتعلق بالسقيفة وكتاب الضياء (أو الصفاء) فى تاريخ الأئمة. قال النجاشى: «أخبرنا عنه بكتبه الحسين بن عبيد الله» وقال الطوسى: أخبرنا بكتبه وروایاته الشيخ المفيد أبو عبد الله والحسين بن عبيد الله وأحمد بن عبدون وغيرهم عنه بسائر كتبه وروایاته.[2]

٢ - أبو العباس يعقوب بن أحمد الصيمرى، ألف كتاب فى كلام على وخطبه.[3] ويلوح أنه ابن أبى عبد الله الصميرى المتقدم ذكره.

٢ - أبو سعيد منصور بن الحسين الأبى الوزير المتوفى ٤٢٢ (١٠٣١م)، جمع كلام على رضى الله عنه فى «نزهة الأدب فى المحاضرات» ثم لخصه وسماه «نثر الدر» وتوجد من الملخص نسخة فى مكتبة النجف الأشرف.[4]

بحثت فى هذا المقال عن استناد «نهج البلاغة» ومصادره، ولا أقول إن راستى القصيرة هذه مستوعبة جامعة، بيد أنها كل ما اهتديت إليها باحثا عن لحقيقة، وسأحاول فيما بعد لمناقشة محتويات نهج البلاغة دراية وسأفحص إذا كان لى، رضى الله عنه قد نطق بكل ما سجلت فى دفتى كتاب نهج البلاغة، وهل صح انتسابه إلى أمير المؤمنين رضى الله عنه.

---

[1] — فهرست الطوسى ١٨٦، رجال النجاشى ١٦١، منهج المقال الورق ١٩٢ ألف، وفيه عبد الله بن أبى زيد الانبارى.

[2] — فهرست الطوسى ١٩، رجال النجاشى ٦١، منهج المقال الورق ١٦ ألف.

[3] — شرح ابن أبى الحديد ٢/٢٢٠.

[4] — كشف الظنون، ٢/العمود ١٩٢٩، فهرست كتاب خانه عمومى ١٣٨، ١٣٩.

فهرس المراجع

وفي الختام أذكر أسماء الكتب التي راجعتها حين البحث والتنقيب. وأردف كل كتاب بعام الطبع ومقامه. ليسهل الرجوع إلى صفحات تلك الكتب:

١ - الأخبار الطوال للدينوري، ليدن، ١٨٨٨ م.

٢ - أدب الدنيا والدين للماوردي، قسطنطنيه، ١٢٩٩ هـ.

٣ - الأدب المفرد للبخاري، مصر، ١٣٠٩ هـ.

٤ - الارشاد للشيخ المفيد، إيران، ١٢٩٩ هـ.

٥ - أصول الكافي للكليني، إيران، ١٢٧٨ هـ.

٦ - إعجاز القرآن للباقلاني، مصر، ١٣١٧ هـ.

٧ - إعلام نهج البلاغة، مخطوطة رامبور.

٨ - الأغاني للاصبهاني، مصر، ١٣٢٢ هـ.

٩ - إكتفاء القنوع للأمريكاني، مصر، ١٣١٣ هـ.

١٠ - أمالي الزجاجي، مصر، ١٣٢٤ هـ.

١١ - أمالي الشيخ الصدوق، إيران، ١٢٨٧ هـ.

١٢ - أمالي شيخ الطائفة، إيران، ١٣١٣ هـ.

١٣ - أمالي ابن الشيخ الطائفة، أيضاً.

١٤ - أمالي القالي، مصر، ١٣٢٤ هـ.

١٥ - أمالي المرتضى، مصر، ١٣٢٥ هـ.

١٦ - الامامة والسياسة لابن قتيبة، مصر، ١٣٢٧ هـ.

١٧ - أنساب الأشراف للبلاذرى، يروشلم، ١٩٣٦ م.
١٨ - أنساب السمعانى، ليدن، ١٩١٢ م.
١٩ - الأوائل للعسكرى، مخطوطة رامبور.
٢٠ - الايجاز والاعجاز للثعالبى، قسطنطنيه، ١٣٠١ هـ.
٢١ - بحار الأنوار للمجلسى، إيران، ١٣٠٤ هـ.
٢٢ - البصائر للتوحيدى، مخطوطة رامبور.
٢٣ - البيان والتبيين للجاحظ، مصر، ١٣١١ هـ.
٢٤ - تاريخ آداب اللغة العربية للدكتور بروكلمان الألمانوى. ألمانيا. ١٨٩٨ - ١٩٠٢ م.
٢٥ - أيضاً، الطبعة الثانية، ليدن، ٣٩ - ١٩٣٧.
٢٦ - تاريخ بغداد للخطيب، مصر، ١٣٤٩ هـ.
٢٧ - تاريخ الطبرى، مصر، ١٣٢٦ هـ.
٢٨ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، مصر، ١٣٢٦ هـ.
٢ - تتمة اليتيمة للثعالبى، تهران، ١٣٥٣ هـ.
٣ - تجارب الأمم لابن مسكويه، ليدن، ١٩٠٩ م.
٣ - تحف العقول للحرانى، إيران، ١٣٠٣ هـ.
٣ - التوحيد للشيخ الصدوق، إيران، ١٣٢١ هـ.
٣ - تهذيب التهذيب، حيدرآباد، ١٣٢٦ هـ.
٣ - جمهرة الأمثال، بمبئى، ١٣٠٧ هـ.
٣ - حقائق التنزيل للرضى، النجف الأشرف، ١٣٥٥ هـ.
٣ - حلية الأولياء لأبى نعيم، مصر، ١٣٥١ هـ.
٣ - خصائص الأئمة للرضى، مخطوطة رامبور.
٣ - رجال النجاشى، بمبئى، ١٣١٧ هـ.
١ - روضات الجنات، إيران، ١٣٠٧ هـ.

٤٠ - سرح العيون. مخطوطة رامبور.
٤١ - سمط اللآلى للوزير البكرى، مصر، ١٣٥٤ هـ.
٤٢ - شذرات الذهب، مصر، ١٣٥٠ هـ.
٤٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، إيران.
٤٤ - أيضا لابن ميثم. إيران.
٤٥ - الظرف والظرفاء — الموشى.
٤٦ - العقد الفريد. مصر، ١٢٩٣ هـ.
٤٧ - علل الشرائع، إيران، ١٢٨٩ هـ.
٤٨ - عيون الأخبار، مصر، ١٣٤٣ هـ.
٤٩ - غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى، مخطوطة رامبور.
٥٠ - الغريبين لأبى عبيد الهروى، مخطوطة رامبور، وقد كتبت قبل ٥٠٤ هـ.
٥١ - فروع الكافى (كتاب الروضة)، لكهنؤ، ١٣٠٢ هـ.
٥٢ - فهرست ابن النديم، مصر، ١٣٤٨ هـ.
٥٣ - فهرست الطوسى، كلكته، ١٢٧١ هـ.
٥٤ - فهرست كتابخانهٔ عمومى معارف، تهران.
٥٥ - الكامل للمبرد، مصر، ١٢٩٠ هـ.
٥٦ - الكامل فى التاريخ، مصر، ١٣٠٨ هـ.
٥٧ - كتاب الجمل للشيخ المفيد، النجف الأشرف.
٥٨ - كتاب الصفين لابن مزاحم الكوفى. إيران.
٥٩ - كتاب فى الصداقة والصديق، مصر، ١٣٢٣ هـ.
٦٠ - كتاب الولاة للكندى، بيروت، ١٩٠٨ م.
٦١ - كشف الحجب، كلكته، ١٣٣٠ هـ.
٦٢ - كشف الظنون، إستانبول، ٦٢—١٣٦٠ هـ.

٦٣ - كنز العمال، حيدرآباد، ١٥ — ١٣١٢ هـ.
٦٤ - لسان الميزان، حيدرآباد، ١٣٣١ هـ.
٦٥ - مجازات الآثار النبوية للرضى، بغداد، ١٣٢٨.
٦٦ - المجتنى لابن دريد، حيدرآباد، ١٣٤٢ هـ.
٦٧ - المحاسن والآداب للبرقى، مخطوطة رامبور.
٦٨ - المحاسن والمساوى للبيهقى، مصر، ١٣٢٥ هـ.
٦٩ - مرآة الجنان لليافعى، حيدرآباد، ١٣٣٥ هـ.
٧٠ - مروج الذهب، مصر، ١٢٨٣ هـ.
٧١ - المستدرك للحاكم، حيدرآباد، ٤٢ — ١٣٣٤ هـ.
٧٢ - مصادقة الاخوان، تهران.
٧٣ - معانى الأخبار، إيران، ١٢٨٩ هـ.
٧٤ - معجم الأدباء للحموى، مصر، ١٣٥٧ هـ.
٧٥ - مقاتل الطالبيين، تهران، ١٣٠٧ هـ.
٧٦ - مناقب ابن شهرآشوب، بمبئى.
٧٧ - منتخبات البيان والتبيين للثعالبى، قسطنطنيه، ١٣٠١ هـ.
٧٨ - منهاج نهج البلاغة، لكهنؤ.
٧٩ - منهج المقال، مخطوطة رامبور.
٨٠ - الموشى، مصر، ١٣٢٤ هـ.
٨١ - ميزان الاعتدال، لكهنؤ، ١٣٠١ هـ.
٨٢ - نقد الايضاح، كلكته، ١٢٧١ هـ.
٨٣ - نهج البلاغة، مصر، بتصحيح محى الدين عبد الحميد.
٨٤ - وفيات الأعيان لابن خلكان، مصر، ١٢٧٥ هـ.
٨٥ - يتيمة الدهر للثعالبى، دمشق، ١٣٠٣ هـ.

من أخبار الهند الثقافية

أقيم فى القاهرة معرض للكتب الهندية. وكان من بين الكتب المعروضة عدد كبير من المؤلفات التى تلق الضوء على مساهمة الهند فى الحقول الفنية والأدبية والثقافية والاجتماعية. ويجمل بنا أن نذكر بهذه المناسبة أن الهند ما زالت تساهم فى الآداب العربية أوفى مساهمة. ولم يترك أبناء الهند ناحية من ميدان الأدب العربى إلا وقد ارتادوها. وخلفوا وسيخلفون آثارا خالدة فى الحديث والتفسير والتاريخ، وما برحت دور الكتب الهندية ملاى بالمجلدات الضخمة مما ألفها الهنود باللغة العربية. ولم تنفك دور النشر تنشر تصدر كتبا عربية، وهذا بجانب المعاهد الكثيرة التى يدرس فيها الشباب اللغة العربية وآدابها بجد واجتهاد.

* * * *

سبق أن اعتزمت الحكومة الهندية إصدار كتاب جامع يعالج أعمال الزعيم غاندى معالجة وافيه. حتى يتسنى لأبناء الوطن أن يقدروا زعيمهم أحسن تقدير، ويطلع الشعوب الأخرى على مكانة سامية لهذا الرجل الفذ، وقدرت تكاليف إصدار هذا الكتاب بملائين من الروبيات، ويتوقع أن يصدر الجزء الأول من هذا العمل الهام عن ما قريب، وتتلوه الأجزاء الأخرى بمجرد اكتمالها.

* * * *

شاهدت دلهى الجديدة منظرا رائعا وغمرتها موجة من الحماس حينما عقد مهرجان الشباب الجامعى الرابع، واستمرت الحفلات فى جو أدبى وفنى أياما تزيد على أسبوع. واشترك فيها زهاء ألف وستمائة طالب وطالبة من سبع وثلاثين جامعة، وكانت الغاية المنشودة وراء هذا المهرجان، تشجيع الشباب

على التخلق بآداب كريمة، تجعل منهم مثلا عليا، وتعزز بينهم روح الانسانية، وتعرفهم بالأعمال الهامة التى يطمع العالم فى قيامهم بها وكان رئيس الوزراء جواهرلال نهرو من الشخصيات الكبار الذين شرفوا المهرجان بالحضور.

* * * *

عقد بكلكتا مؤتمر المؤلفين لعموم الهند. ودامت الاجتماعات ثلاثة أيام، حضرها المندوبون من مختلف أنحاء الاتحاد الهندى، إلى جانب الضيوف الأجانب الذين تفضلوا بحضور المؤتمر، والتشجيع والترحيب بأعماله.

* * * *

أسفرت التنقيبات تحت إشراف مصلحة الآثار فى مدينة أجين. عن سدود وسيعة منيعة، شيدت فى عصر يتراوح بين القرنين السابع والثامن قبل الميلاد ويغلب على الظن أن البناة استهدفوا بهذا السدود وقاية المدينة عن مياه النهر «سيپرا» التى كانت تفيض فيضانا هائلا وتبتلع الأنفس وتزدرد الأموال، ويتوقع أن المكتشفات ستشير إلى صلة بين تاريخ المدينة وحضارة «مالوا».

* * * *

ازاحت الحفريات الستار عن مقبرة قديمة واقعة فى الطريق المودى إلى المعابد الهندوسية عند جبال هملايا. وكانت الجثث تدفن فى هذه المقابر راكعة، وتوضع معها الظروف والأوانى التى ربما كانت مليئة بالطعام والشراب للموتى، وما اكتشف فيها من الهياكل جد قديمة، حتى تفتتت العظام بمجرد المس. ولا يخفى أن هذا الاكتشاف عظيم وله قيمة تاريخية إذ سيلقى الأضواء على التاريخ البشرى فى القرون الأولى الميلادية.

* * * *

قامت مصلحة الآثار الحكومية بحفريات فى مقاطعة اترايرديش، وأبانت لنا معالم وشواهد تعود بنا إلى العصر القديم نحو ١٠٠٠ قبل الميلاد، لعله العصر الذى كان فاتحة عهد الآريين. وذلك نظرا إلى الأوانى المكتشفة التى تشبه بما كان منها فى تلك العصور.

تكاد قلوبنا تتشقق حزنا وكمدا إذ ننعى إلى العالم العربي والشرقي زعيم الهند مولانا أبا الكلام آزاد وزير المعارف للحكومة الهندية ورئيس مجلس الهند للروابط الثقافية.

ولقد وقعت الواقعة ففزعت النفوس ووجمت الألسنة. لقد آثر الفقيد الحياة الدائمة على العيشة الفانية. وغادرنا صبيحة اليوم الثاني والعشرين من شهر فبراير سنه ١٩٥٨. كان المغفور له في ٦٩ من عمره الحافل بالآثار الخالدة، وكان فذا فريدا. وله من الحكمة والمعرفة حظ لا يمكننا أن نتقصى أطرافه أو نحيط به. وسنختص العدد القادم من المجلة لذكراه.

THAQAFAT-UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1	About the *Nahj al Balaghah*	Imtiyaz Ali 'Arshi .	2
2	Culturl News of India	... ...	88

ANNUAL SUBSCRIPTION: Inland Rs 8 Abroad Sh 8. **SINGLE COPY:** Rs. 2.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY

Khaleel Shujauddin 46a Memonwada Road, Bombay 3, and Published by Mr. I. R Khan

Secretary Indian Council for Cultural Relations, Pataudi House, New Delhi 1

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

DECEMBER 1957